

الإنهاء في الكناية

بـ الكناية والمعروف
والشعرين

للأبي منصور إسماعيل الثعالبي

تحقيق فرج الحوار



دار المعارف للطباعة والنشر
سوسة - تونس



الإنهاء في الكناية
بـ الكناية والمعروف والتعريض

الإنهاء في الكناية

بـ الكناية والمعروف
والتعريض

للأديب منصور إسماعيل الشاذلي

تحقيق فرج الحوار



دار المعارف للطباعة والنشر
سوسة - تونس

الرقم المسند من طرف الناشر 95/522
تدمك : 9 - 243 - 16 - ISBN 9973

الكاتب والكتاب والمحقق

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي (350 هـ - 428 هـ)، لُقِّبَ بالثعالبي نسبة إلى حرفته الأولى، إذ كان فَرَّاءً يَخِيطُ جلود الثعالب، فسُمِّيَ بذلك (1) - وهناك من قال : كان أبوه يحترف تجارة جلود الثعالب فنسب إليها (2)

وهو أديب وشاعر ومؤلف، صاحب التصانيف الأدبية السائرة في الدنيا. نبغ في تصنيف الكثير من الكتب، لم يتسنَّ إلى اليوم حصرها بدقة (3). منها 27 أثراً مطبوعاً، و32 أثراً مخطوطاً، و45 أثراً مفقوداً. من أشهر كتبه «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» في أربعة أجزاء وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها.

قال ابن بسّام صاحب الذخيرة : « كان في وقته راعي بليغات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم أقرانه، سار ذكره سير المثل » (4).

* * *

1 (شذرات الذهب 246/3 . والاعلام للزركلي 163/4 .

2 (مقدمة التوفيق للتلفيق، ص 16 / طبعة المجمع العلمي العراقي 1985 .

3 (نفس المصدر ص 27 .

4 (شذرات الذهب، 246/3 .

احترف الثعالبي لفترة مهنة تأديب الصبيان، ثم تركها لما اتصل بالملوك، وأعيان زمانه، فكتب وأهدى إليهم عددًا من مصنفاته، وكان كتاب « الكناية والتعريض » من نصيب أبي العباس مأمون بن مأمون حاكم خوارزم، وكان ذوّاقًا محبًا للأدب، فصنّف له الثعالبي عددًا من مؤلفاته زيادة على كتابنا هذا.

قال بروكلمان (5) « كتاب الكناية والتعريض » (6) كتاب في البلاغة، ويسمّى : « الكفاية في الكناية » (7) أو « النهاية في التعريض والكناية » (8) وأيسده الزركلي (9) فقال : « الكناية والتعريض » ويسمّى « النهاية في الكناية » (10).

أما صاحب كشف الظنون، فلم يذكر شيئًا من هذه العناوين، وقال : « له كتاب بعنوان « نهاية الكفاية » (11).

والذي نستنتجه من هذا الخلط في العنوان، أنّ الكتاب واحد وليس كتابين كما ذهب إليه البعض (12)، ويبدو أن مسألة تحريف عناوين

5 (تاريخ الأدب العربي - ج 5 / 189 .

6 (يوجد منه : نسخة في برلين رقم 7336، ونسخة بقينا 84 رقم 2 . ونسخة ثالثة بالاسكوريال رقم 281 .

7 (نسخة باريس رقم 5934 .

8 (نسخة ليزيغ رقم 863 - والاسكوريال رقم 28 . ونسخة بالمتحف البريطاني رقم 1/1110 ونسخة كويريلس رقم 2/1197، وبايزيد رقم 2/3207، ودمادزاده رقم 1582 . ونسخة راغب باشا رقم 1/1473، وعاشر أفندي 315/2، ومخطوطتين بالقاهرة الأولى رقم 309/4، والثانية رقم 422/3 .

9 (الاعلام، 163/4، 164 .

10 (يوجد مخطوط بهذا العنوان في المكتبة الوطنية التونسية، بخط مشرقى عتيق، رقم 4670 .

11 (كشف الظنون، 625/5 . حاجي خليفة .

12 (مقدمة التوفيق للتلفيق ص 16 .

الكتب وأحيانا تغييرها أمر أصبح مألوفاً من قِبَلِ النّسّاخ، إذ كثيراً ما تتلف صفحات من المخطوط، فيجتهد النّاسخ أو المؤرخ في إعطائه عنواناً من عنده، يتفق وموضوع الكتاب، ونجد مثلاً هذا في أحد كتب الثعالبي نفسه، إذ له مخطوط بعنوان « الأمثال » وفي نسخ أخرى نجده بعنوان « الفرائد والقلائد » (13) وهو كتاب واحد ولا فرق بين المخطوطين في المضمون.

وقد طبع الكتاب لأول مرة في مكّة بعنوان : « النهاية في الكناية » سنة 1301 هـ (14). ثم طبع في القاهرة سنة 1326، مع « المنتخب من كنايات الأدباء واستعارات البلغاء » للجرجاني (15)، وعن طبعة القاهرة، أعادت عدّة دور نشر لبنانية طبعه بالأوفسات، فكانت جميعها مليئة بالتحريف والأخطاء.

إذا كان الثعالبي غنياً عن التعريف لجمهور المثقفين، وما هذه الترجمة المختصرة، إلا إحدى ضروريات النشر والتأليف الحديث، فإنّي أرى من الضروري أن أشير، ولو في كلمة موجزة إلى المحقق الأستاذ فرج الحوار، الذي دفعه تواضعه إلى تحميلي مسؤولية كتابة كلمة لهذا الكتاب، الذي قال عنه مؤرخو الأدب : كتاب خفيف في وزنه، ثقیل في مادّته . وإذا استطعت أن أحوصل في فقرات قصيرة ما يعطي فكرة عن تاريخ الكتاب وكتابه . . فإنه من الصعب جداً أن ننصف المحقق في أسطر قليلة . . والحقيقة أن الكتابة عن فرج الحوار كان يجب أن تنال حظّها من المساحة التي تستوعب جميع مواهب هذا الشابّ الفذّ، الذي قال عنه

(13) الزركلي، الأعلام 4/164.

(14) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 5/189.

(15) الاسم الأصلي لكتاب الجرجاني، هو « كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ». (كشف الظنون)، لم يطبع منه إلا منتخبات مع كتاب الثعالبي كما سبق ذكره.

النقاد منذ باكورة انتاجه الروائي : إنه أعاد إنارة مشعل أئمة البيان في الأدب العربي . . وهو الذي رغم تدريسه الأدب الفرنسي في الجامعة، فإنه يعود إلى بيته وينهل بنهم عجيب من التراث العربي .

ويكفي أن أقول إن تحقيقه لهذا الكتاب وهو تجربته الأولى في هذا المجال، الذي لا يقوم به إلا من تحلى بصبر أيوب إلى جانب كثرة اطلاعه، وإن المتمعن في منهجية هذا العمل ووفرة فهارسه وتحاريجه، يدرك ان مثل هذا الانجاز ليس بالأمر الهين، وليس في متناول أي كان . . .

كان الله في عونهِ على الأعمال الأخرى التي بين يديه، ونحن واثقون بأنها ستكون رصيذا قيما في اثراء المكتبة العربية .

الناشر

حسن أحمد جغام

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

عونك اللهم على شكر نعمتك في ملكك كملك، وبحر في قصر، وبدر في دشت (1)، وغيث يصدر عن ليث، وعالم في ثوب عالم، وسلطان بين حُسن وإحسان.

لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب

هذه صفة تُغني عن التسمية، ولا تُحوج إلى التكنية، إذ هي مُختصة بمولانا الأمير السيد الملك المؤيد ولي النعم أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه (2) مولى أمير المؤمنين (3) أدام الله سلطانه، وحرس عزه ومكانه، وخالصة له دون الوري، وجامعة لديه محاسن الدنيا، اللهم فكما فضلت على عبادك بالفضائل التي لا تُحصى، والفواضل التي لا تنسى، ففضله بطول العمر، ودوام الملك، واتصال الصنع (4)، ورغد العيش، وسكون الجأش، وعلو اليد، وسعادة الجدد (5)، وكفاية المهم، وإزالة الملم، وانظر للمكارم والمعالي بالدفاع عن مهجته، وحراسة دولته، وتثبيت وطأته، برحمتك يا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين آمين، وصلواتك على النبي محمد وآله أجمعين.

(1) الدشت . الديوان والرياسة، وهو كناية عن الجلال والأبهة. والدست أيضا الصحراء، وقد وردت في شعر الأعشى ميمون بهذا المعنى.

(2) أبو العباس خوارزم شاه : لم يقع له على ترجمة ضافية ذكر بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » أنه توفي سنة 408 هـ، وكان ظالماً غشوماً.

(3) أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، القادر بالله

(4) الصنع . الرزق. (5) الجدد : الحظ.

ثم إنَّ هذا الكتاب خفيف الحجم، ثقيل الوزن، صغير الحجم (٦). كبير الغنم، في الكنايات عما يُستهجن ذكره، ويُستقبح نشره، أو يُستحيا من تسميته، أو يُتطير (٧) منه، أو يُسترفع ويُصان عنه، بألفاظ مقبولة تؤدي المعنى، وتُفصح عن المغزى، وتُحسن القبيح، وتُلطف الكثيف، وتكسوه المِعْرَض (٨) الأنيق في مخاطبة الملوك، ومكاتبة المحتشمين، ومُذاكرة أهل الفضل، ومحاوره ذوي المروءة والظرف، فيحصل المراد، ويلوح النجاح مع العدول عما ينبو عنه السَّمع، ولا يأنس به الطبع إلى ما يقوم مقامه، وينوب منابه، من كلام تأذن (٩) له الأذن، ولا يحجبه القلب، وما ذلك إلا من البيان في النفوس، وخصائص البلاغة، ونتائج البراعة، ولطائف الصَّناعة.

وأراني لم أُسبق إلى تأليف مثله، وترصيف شبهه، وترصيع عقده، من كتاب الله وأخبار النبي ﷺ. وكلام السلف، ومن قلائد الشعراء، ونصوص البلغاء، ومُلح الظرفاء، في أنواع النثر والنظم، وفنون الجِدِّ والهزل.

وقد كنت ألفتُه بنيسابور في سنة أربعمائة، فلما جرى ذكره على اللسان العالي، أدام الله علاه، وخرج الأمر الممثل، أدام لله رفعته، بانفاذ نسخة منه إلى الخزانة المعمورة أدام الله شرفها، أنشأته نشأة أخرى وسبكته ثانية بعد أولى ورددت في تبويبه وترتيبه وتأنقت في تهذيبه وتذهيبه وترجمته (بكتاب

(٦) الجِم : الغوغاء والسَّخْل، ومعناه هنا قلة الكلام وصغر الحجم.

(٧) تطير : تشاءم، لأنَّ الطَّائِر عند العرب هو الحظ من الخير والشر.

(٨) المِعْرَض : الثوب تعرض فيه الجارية وتُجلى، والألفاظ معاريف المعاني لأنها تُجملها.

(٩) تأذن : تسمع وتميل.

الكناية والتعريض) وشرفته بالاسم العالي، ثبته الله ما دامت الأيام والليالي، وأخرجته في سبعة أبواب يشتمل كل باب منها على عدة فصول مترجمة بمودوعاتها.

فالباب الأول، في الكناية عن النساء والحرم وما يجري معهن ويتصل بذكرهن من سائر شؤونهن وأحوالهن، وفصوله خمسة.

والباب الثاني، في ذكر الغلمان ومن يقول بهم والكناية عن أوصافهم وأحوالهم، وفصوله خمسة.

والباب الثالث، في الكناية عن بعض فصول الطعام وعن المكان المهيأ له، وفصوله أربعة.

والباب الرابع، في الكناية عن المقابح والعاهات، وفصوله اثنا عشر.

والباب الخامس، في الكنايات عن المرض والشيب والكبر والموت، وفصوله ثمانية.

والباب السادس، فيما يوجب الوقت والحال من الكناية عن الطعام والشراب وما يتصل بهاء في فصلين.

والباب السابع، في فنون شتى من الكناية والتعريض مختلفة الترتيب، وفصوله سبعة.

وها أنا أفتح سياقها وأوفيها حقوقها وشرائطها، بعون الله تعالى ودولة مولانا الملك السيد ولي النعم خوازم شاه، ثبتها الله وأدامها.

الباب الأول

في الكناية عن النساء والحرم
وما يجري معهن ويتصل بذكرهن
من سائر شؤونهن وأحوالهن
فصل في الكناية عن المرأة

العرب تُكنّي عن المرأة بالنعجة، والشاة، والقلوص (1)، والسرحة (2)،
والحرث، والفراش، والعتبة، والقارورة (3) والقوصرة (4)، والنعل،
والغل، والقيد، والظلة (5)، والجارة، ويكلّها جاءت الأخبار ونطقت
الأشعار.

فأمّا الكناية بالنعجة فقد أوضح عنها القرآن في قصّة داود عليه
السّلام : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً ﴾ (6)،
أي امرأة.

(1) القُلُوص : الفتية من الابل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء.

(2) السَّرْحُ : واحدتها سرحة، شجر كبار عظام طوال لا يُرعى وإنما يُستظلّ فيه، له ثمرة
أصفر.

(3) القارورة . واحدة القوارير من الزجاج، والعرب تُسمّي المرأة القارورة وتُكنّي عنها بها.
والقارورة أيضا حدقة العين، على التشبيه بالقارورة من الزجاج لصفائها.

(4) القوصرة والقوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.

(5) الظلّة : أول سحابة تُظلل، الشيء يُستترّ به من الحرّ والبرد.

(6) سورة ص، الآية 33.

وأما الكناية بالشاة فكما قال عنترة العبسي (٧)
يا شاة ما قنصر لمن حلت له حُرمت عليّ وليتها لم تحرم
فكنى عن امرأة وقال : أيّ صيّد أنتِ لمن يحلّ له أن يصيدكِ ، فأما أنا
فإن حرمة الجوار قد حرمتكِ عليّ .

وأما الكناية بالقلوص فكما كتب رجل من مغزّي كان فيه إلى عمر بن
الخطّاب رضي الله عنه يوصيه بنسائه :
ألا أبلغ ، أبا حفص (٨) ، رسولا فدى لك ، من أخي ثقة ، إزاري
قلائصنا ، هداك الله ، إنا شغلنا عنكُم زمن الحصار (٩)
وأما الكناية بالسرحة ، وهي شجرة ، فكما قال حميد بن ثور (١٥) :
أبي الله ألا أن سرحة مالكٍ على كلّ أفنان (١١) العضاه تروق (١٢)

(٧) عنترة العبسي : (توفي نحو 22 ق هـ) أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء
الطاقة الأولى يوصف بالحلم على شدة بطشه ، وفي شعره رقة وعذوبة . وكان معروفاً بابنة عمه
« عبلة » فقلّ أن تخلو له قصيدة من ذكرها . يُنسب إليه ديوان شعر أكثر ما فيه موضوع و « قصّة
عنترة » الخيالية ، وهي التي يعدّها الأفرنج من بدائع آداب العرب . (الاعلام 91/5) .

(٨) أبو حفص . كنية عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .
(٩) الأبيات لنُفيلة الأكبر الأشجعيّ ، وكنيته أبو المنهال ، وقصّتها كما وردت في اللسان أن أبا
المنهال « كتب إلى عمر بن الخطّاب أبياتاً من الشعر يُشير فيها إلى رجل ، كان والياً على مدينتهم ،
يُخرج الجوّاري إلى سلعٍ عند خروج أزواجهنّ إلى الغزو ، فيعقلهنّ ويقول لا يمشي في العقال
إلا الحصان ، فربّما وقعت فتكشفت . . . (ونظام الأبيات ستة) فلما وقف عمر ، رضي الله عنه ،
على الأبيات عرله وسأله عن ذلك الأمر فاعترف ، فحلده مائة معقولا وأطرده إلى السّام .
(اللسان 18/17/4) .

(١٥) حميد بن ثور : أحد المخضرمين من الشعراء ، أدرك الجاهلية والإسلام وقيل إنه رأى
الرسول صلى الله عليه وسلّم . مات حميد بن ثور في خلافة عثمان بن عفّان . (معجم الأدباء)
(١١) أفنان ، مفردة فتن : الغض المستقيم طولاً وعرضاً .
(١٢) وجاء في « معجم الأدباء » أن « عمر بن الخطّاب تقدّم إلى الشعراء ، ألا يُشّب أحد =

وإنما كنى عن امرأة مالك بسرحة مالك أحسن كناية وعبر عن إتقانها في الحسن على سائر الغواني أحسن عبارة، وقد سلك طريقته في هذه الكناية من قال :

ومالي من ذنب إليهم علمته سوى أنني قد قلت يا سرحة أسلمي
نعم (13) فأسلمي ثم أسلمي ثم (14) أسلمي ثلاث تحيات . وإن لم تكلمي (15)

وإنما تقع مثل هذه الكناية عمّن لا يجسرون على تسميتها أو يتذمّون من التصريح بها كما قال الشاعر :

وإني لأكفي عن قدور (16) بغيرها وأعرب أحياناً بها فأصرح

وأما الحرث، فمنه قول الشاعر وألقاه على طريق الألغاز :
إذا أكل الجراد حرث قوم فحرثي همّه أكل الجراد

يعني، بحرثه امرأة. وفي القرآن : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ (17)

= بامرأة، فقال حميد بن ثور :

أبى الله إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاة تروق
فقد ذهبت عرضاً وما فوق طولها من السرح إلا عشة وسحوق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفياء من بعد العشي تذوق
فهل أنا إن عللت نفسي بسرحة من السرح مسدود علي طريق ؟
(معجم الأدباء 10/11).

(13) في « معجم الأدباء » بلى

(14) في « معجم الأدباء » ثمت

(15) ورد البيتان في « معجم الأدباء » وهما لحميد بن ثور، أيضاً لما حظّر عمر على الشعراء ذكر النساء، وهي ثلاثة أبيات أولها :

تجرّم أهلوها لأن كنت مشعراً جنوناً بها يا طول هذا التجرّم
والتجرّم إدعاء من غير جرم (معجم الأدباء 13/12/11).

(16) القدور من النساء : التي تتنزّه عن الأقدار والريب.

(17) سورة البقرة، الآية 223 .

وأما الفراش، فقد قال الله تعالى في وصف الجنة : ﴿ وفُروشٌ مرفوعةٌ ﴾ يعني النساء، ألا تراه يقول على أثرها : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ (18)

وروي عن بعضهم أنه قال لرجل أراد أن يتزوج : استوثر فراشك أي تخير السمينه من النساء.

وأما العتبه، ففي قصة إبراهيم عليه السلام أنه زار ابنه اسماعيل عليه السلام فوافق حضوره غيبته عن المنزل، فقدّمت عليه امرأته وأخبرته بحاله ولم تعرض عليه القرى (19)، فقال لها : قولي لابني إن أباك يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تغير عتبتك. فلما رجع اسماعيل عليه السلام وقصّت عليه المرأة القصة وأدّت إليه الرسالة طلقها في الساعة امتثالا لأمر أبيه، لأنّ قوله غير عتبتك كناية عن طلاقها والاستبدال بها (20).

وأما الكناية بالقارورة فمن قول رسول الله ﷺ لسائق الابل التي عليها نساؤه : « رفقا بالقوارير » (21).

(18) سورة الواقعة، الآية 36.

(19) القرى : الضيافة.

(20) وردت هذه القصة في كتاب « قصص الأنبياء » للثعلبي، وهذه خلاصتها . « قدم إبراهيم عليه السلام مكة [و] ذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته : « أين صاحبك ؟ » قالت : « ليس ههنا، ذهب يتصيد » فقال لها : « هل عندك ضيافة ؟ هل عندك طعام أو شراب ؟ » قالت : « ليس عندي شيء وما عندي أحد » فقال لها : « إذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام وقولي له فلغير عتبه بيته » فلما عاد إسماعيل وأخبرته زوجته [بما حدث] طلقها وتزوج أخرى . »

(21) جاء في اللسان « أنّ الرسول شبه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن وقلة دوامهن على العهد . (. . .) وكان أنجشة يحدو بين ركابهن ويرتجز بنسيب الشعر والرجز وراءهن، فلم يؤمن (الرسول) أن يصيبن ما يسمعن من رقيق الشعر فيهن أو يقع في قلوبهن جداؤه، فامر =

وأما الكناية بالقوصرة فمنها قول الراجز :
أفلح مَنْ كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة

وأما النعل، فمنها قول عمر رضي الله تعالى عنه : « المرأة نعل يلبسها
الرجل إذا شاء لا إذا شاءت هي » .

وأما الغلّ، فمنه قول بعض الحكماء من العرب وهو يذكر
النساء : « ومنهن الودود والولود القعود، ومنهن غلّ يضعه الله في عنق من
يشاء ويفكه عمن يشاء » (22) .

وأما القيد، فمنه قول أبي الحسن الجوهري الجرجاني (23) من قصيدة في
الصّاحب (24) يذكر استعداده للسّير إلى حضرته ويكنى عن طلاق امرأته :

= أنجشة بالكف عن نشيده وحداثه حذار صبوتهنّ إلى غير الجميل . « ويشبه هذا ما حكى عن
سليمان بن عبد الملك « أنه دعا بوضوء، فجاءت به جارية . فبينما هي تصبّ الماء على يده إذ
استمدّها وأشار إليها مرتين أو ثلاثا، فلم تصبّ عليه، فأنكر ذلك ورفع رأسه، فإذا هي مصغية
بسمعها مائلة بجسدها إلى صوت غناء . « فدعا سليمان بالمغني وأمر به فخصي وقال « هدر
الفحل فضيبت الناقة، ونبّ التيس فشكرت الشاة، وهذل الحمام فزافت الحمامة، وغنى الرجل
فطربت المرأة . « (المحاسن والأضداد للجاحظ .)

(22) وجاء في « عيون الأخبار » لابن قتيبة أن الأصمعيّ قال : « أخبرنا شيخ من بني العنبر
قال . كان يُقال : النساء ثلاث : فهينة لينة عفيفة مسلمة تُعين أهلها على العيش ولا تُعين
العيش على أهلها، وأخرى وعاء للولد، وأخرى « غلّ قمل » يضعه الله في عنق من يشاء ويفكه
عمن يشاء . « وأصل « الغلّ القمل » أن العرب إذا أسروا أسيرا غلّوه بغلّ من قدّ وعليه شعر
فربما قمل في عنقه فتجتمع عليه نمّتان الغلّ والقمل .

(23) أبو الحسن علي بن أحمد الجوهريّ : قال عنه الثعالبي في « اليتيمة » : نعم جرجان،
وهو من صنائع الصّاحب وندمائه وشعرائه . كان الصّاحب يصرفه في الأعمال والسّفارات، توفي
في جرجان (يتيمة الدّهر، 4/ 29، 32) .

(24) الصّاحب بن عبّاد (327 - 385 هـ) وزير وشاعر وأديب . من مؤلفاته : « المحيط في
اللّغة » و « الكشف عن مساوئ المتنبي » وله ديوان شعر.

جوادي قدامي وذيلي مشمّرٌ وقلبي مع شوق يجيء ويذهب
وقد كنت معقولا بأهلي مقيّداً وها أنا من ذاك العقل مسيب

وعلى ذكر الطلاق فإني أستحسن وأستظرف جداً ما كتبه ابن العميد
(25) في الكناية عن حلف بعض الملوك بالطلاق، وهو قوله في فصل من
كتاب حلف يميناً سمى فيها حرائره.

وأما الظلة، فهي عند بعض الكوفيين أصلية وعند بعضهم مكنية
وكذلك الحليلة ويُشَدُّ :
وإني لمحتاج إلى موت ظلتي ولكن متاع السوء باقٍ مُعَمَّر

وأما الجارة، ففيها يقول الأعشى (26) :
أجارتنا بيني فإنك طالق (27)

ومن إحسان المتنبي (28) المشهور قوله لسيف الدولة (29) وقد أوقع بيني
كلاب وسبى نساءهم ثم ردهن عليهم :

(25) ابن العميد (337 - 366 هـ) : وزير ركن الدولة والد عضد الدولة الديلمي، وكان
متوسعا في علم الفلسفة والنجوم. وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه، وكان يُسمى
الجاحظ الثاني. ولما تمكن من الدولة خافه مؤيد الدولة خليفة ركن الدولة وقبض عليه وقتله
(الاعلام 143/5 والكنى والألقاب 366/1).

(26) الأعشى : ميمون، أحد فحول الشعراء الجاهليين. وكان يسمى صنّاجة العرب إذ كان
يُغنى بشعره لرقته وعذوبته. أدرك الاسلام ولم يُسلم. توفي في 7 هـ.
(27) وفي الديوان :

« يا جارتني بيني، فإنك طالق كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارق
(28) المتنبي (303 - 354) : أعظم شعراء العربية اشتهر بالمديح وشعر الحكمة وعرف عنه
تعصبه للعروبة. مات مقتولا.

(29) سيف الدولة الحمداني : صاحب حلب وممدوح المتنبي. وكان جوادا كريما شجاعا،
وأخباره مشهورة في ذلك، ولد سنة 303 هـ. وتوفي بحلب سنة 356 هـ.

ولو غير الأمير سبى كلاباً ثناه عن شُموسهم الضباب (30)

وإنما كنى عن النساء بالشُموس، وعن الحمامة دونهن بالضباب،
والعرب قد تُكني أيضاً عن النساء بالجابذ (31) والظباء والمها والبقر.

وأتى النعمان بن المنذر (32) بهذه الكناية، وكان فيها دمه، وذلك أنه كان
وتر زيد بن عديّ إذ قتل أباه عديّ بن زيد (33)، وزيد ترجمان الملك
أبرويز، وكان يترىض بالنعمان الدوائر ويبغي له الغوائل. ولما علم ميل
الملك إلى النساء وصف له بنات النعمان وأشار عليه بخطبتهن، وهو يعرف
امتناعه من تزويج العجم لما في نفسه من النخوة، فأرسل إليه رسولا في
الخطبة، فقال النعمان: أما للملك غنية ببقر العراق عن هؤلاء
الأغرابيات السود؟ وترجم زيد هذه اللفظة بالفارسية وقبح المعنى وأساء
المحضر، وقال إنه يُعير الملك بنيك البقر، فأمر أبرويز بإشخاص النعمان
وإلقائه إلى الفيلة حتى خبطته بأرجلها وأتت على بقيته (34).

(30) في الديوان بشرح البرقوقيّ. « كنى بالشُموس عن النساء والضباب عن الحمامة
دونهم: لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر إليها. » 212/1

(31) الجاذر: البقر الوحشي.

(32) النعمان بن المنذر: آخر ملوك اللخميّين في الحيرة، وهو صاحب يومي البؤس والنعيم.
توفي سنة 602 م.

(33) عديّ بن زيد العباديّ: من شعراء الجاهلية، ومن أهل الحيرة. كان يُحسن العربية
والفارسية والرّمي بالنشأب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسروي. تزوّج هنداً بنت
النعمان بن المنذر، ولكنّ النعمان سجنه ثم قتله سنة 587 م.

(34) أتت على بقيته: قتله. وقصة النعمان مع عديّ بن زيد، نقلا عن كتاب « أيام العرب
في الجاهلية »، وذلك أن النعمان قتل والده عديّا بن زيد، فظّل عديّ يتحين الفرصة للأخذ بثأر
أبيه. « وكانت الملوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، وكانوا يبعثون في طلب من يكون
على هذه الصفة من النساء، فإذا وجدت حُملت إلى الملك، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض »

وَمَا لَا نَهَايَةَ لِحُسْنِهِ كُنَايَةَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ الْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ فِي الْمُنَبِّتِ

العرب، ولا يظنونها عدهيم، ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواحي، ودخل إليه زيد بن عدي، وهو في ذلك القول، فخاطبه في ما دخل إليه فيه، ثم قال: إني رأيت الملك قد كتب في سؤفه يطلس له، وقرأت الصفة، وقد كتبت بال المذرع عارقاً، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال: فاكتب فيهن. قال: أيها الملك، إن شئني في العرب وفي النعمان خاصة أنهم يتكرمون - زعموا في أنفسهم - عن العحم، فأنا أكره أن يُغييهن عمن تبعن إليه، أو يعرض عليه غيرهن، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك، فابعتني وابعت معي رجلاً من تقاتك يفهم العربية، حتى أبلغ ما تُحبّه. فبعث معه رجلاً جليداً فهِماً، وخرج به ريذ، وحمل يكرم الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة، ودخلا على النعمان، فأعظمه ريذ وقال له: إن كسرى احتاح إلى ساءٍ لنفسه وولده وأهل بيته، وأراد كرامتك بصهره، فبعث إليك، فقال: ما هؤلاء النسوة؟

فقال: هذه صفتهن قد جئنا بها. وكانت الصفة أن المندر الأكبر أهدي إلى أبو شروان حارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي سمر العسائي، فكتب إلى أبو شروان بصفتها، وقال: إني قد وجهت إلى الملك جارية مُعتدلة الخلق، نقيّة اللون والثغر، بيضاء قمراً وطفاء كحلأء دُعجاء حوراء عيناء قنواء شماء برجاء رجاء أسيلة الحد، شهية المقتل، حثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء، عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مُشاش المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سطة السنن، ضامرة البطن، حميدة الحصر، غرثى الوشاح، رداخ الأقبال، راية الكفل، لفاء الفخذين، رياء الروادف، ضخمة المأكمتين، مفعمة الساق، مُشبعة الخُلخال، لطيفة الكعب والقدم، قُطوف المشي، مكسال الصُحى، بضّة المتجرّد، سموعاً للسيد، ليست بحساء ولا سمعاء، رقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تُغدّ في بؤس، حيّة رزينة، حليلة ركيّة، كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيا رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صنّاع الكفين، قطيعة اللسان، رهوة الصوت ساكنته، تريض الولي وتشين العدو، إن أردتها إشتهت، وإن تركتها إنتهت، تحملق عيناها، وتحمر وجتاها، وتدبدب شفتاها، وتبادرك الوثبة، إذا قُمت، ولا تُجلس إلا بأمرك إذا جلست.

ولما قرأ زيد هذه الصفة على النعمان شقّ عليه، وقال لزيد، والرّسول يسمع. أما في مها السّواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته؟ فقال الرّسول لزيد بالفارسيّة: رما المها=

السوء : « إياكم وخضراء الدّمن » (35).

= والعين ؟ فقال له بالفارسيّة . « كاوان » أي البقر « وكان في هذه الكناية هلاك النّعمان ، على ما ذكره الجرجاني .

(35) ورد الحديث في « المستطرف » للإبشيhi متبوعاً ببيتين من الشعر :
« إذا تزوّجت فكى حادقاً وأسأل عن الغض ومنبته »
« وأول خبث الماء خبث تراه وأول حبت القوم خبث المناكح »

فصل في الكِنَايات عن الحُرْم

لما نقل أبو الجيش خُمارويّه بن طولون (١)، والي مصر ابنته المسماة قطر الندى (٢)، إلى المعتضد (٣)، كتب إليه يُذَكِّره حرمة سلفها بسلفه، ويصف ما يرد عليها من أبهة الخلافة وروعة السلطان ووحشة الغربة، ويسأله إيناسها وبسطها وتقريبها، فأراد الوزير عبيد الله بن سليمان (٤)، أن يجيب عن الكتاب بخطه، فسأله جعفر بن محمد بن ثوابه (٥)، أن يعتمد عليه في الجواب، ففعل، فكتب جعفر بن محمد كتاباً قال في فصل منه :

« وأما الوديعة - أعزك الله فهي بمنزلة ما انتقل من شما لك إلى يمينك، [عناية بها، وحيطة لها، ورعاية لمؤالاتك فيها] : (٦)

(١) أبو الجيش خُمارويه بن طولون : خلف أباه في حكم مصر والشام. تزوج المعتضد ابنته قطر الندى على مهر مقداره ألف ألف درهم. وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل. قتل خمارويه سنة 282 هـ بدمشق.

(٢) قطر الندى : من ربات الحسن والجمال والعقل، خطبها المعتضد وجهازها أبوها بجهاز عظيم فقيل . إنه كان في جهازها عشرون صينية ذهب في عشرة منها مشام صندل وزنها أربعة وثمانون رطلاً وعشرون صينية فضة في عشرة منها مشام صندل زنتها ياق وثلاثون رطلاً وخمس خلع قيمتها خمسة آلاف دينار، وفيه أيضا ألف هاون ذهباً . . . توفيت سنة 287 هـ. (أعلام النساء. 213/4 وما بعدها)

(٣) المعتضد بالله (242 - 289 هـ) خليفة عباسي، ولد ومات ببغداد، قضى فترة خلافته يحارب الزنج، وكان عارفاً بالأدب موصوفاً بالحلم، إلا في مواضع الشدة.

(٤) عبيد الله بن سليمان : وزير المعتمد والمعتضد، كان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب، توفي سنة 288 هـ.

(٥) جعفر بن ثوابه : أشهر كتاب الدواوين في العصر العباسي.

(٦) في الأصل المطبوع : « صنّا منها بها وحيطة لها ورعاية لمؤدتك فيها » وما أتبتاه من « يتيمة الدهر » 315/1.

فلما عرضه على الوزير عبيد الله ارتضاه جداً [واستحسنه]، وقال له : [تسميتك إياها] (٧)، بالوديعة نصف البلاغة . ووقع له بالزيادة في [إقطاعه ومُشَاهَرته] (٨) .

ولما كانت أيام عز الدولة [بختيار] (٩)، بن معز الدولة (١٠)، ونقل ابنته إلى عمدة الدولة أبي ثعلب الحمداني (١١)، كتب عنه أبو إسحاق الصّابي (١٢)، إلى أبي ثعلب كتاباً استحسنه أهل الصّناعة وتحفظوا منه هذا الفصل، لأشتماله على عدّة كنايات لطيفة ونُسخته :

« قد توجه أبو النّجم بذر الحرّمي (١٣)، وهو الأمين على ما يلحظه،

-
- (٧) في الأصل المطبوع : « كنايةك عنها »، وما أثبتناه من اليتيمة 315/1
- (٨) في الأصل المطبوع : « جرياته وإقطاعيه »، وما أثبتناه من اليتيمة 315/1
- (٩) مز الدولة بختيار بن معز الدولة : ولي الملك بعد موت أبيه، وكان جميل الصّورة، قويّ المدن، إلّا أنّه ضعيف الرّأي حاربه ابن عمّه عضد الدولة وانتصر عليه فقتله في السنة 367 هـ وهو ابن 36 سنة، وطالت إمارته 11 سنة وشهوراً. (نشوار المحاصرة للتنوخي 24/1).
- (١٠) معز الدولة : ملك العراق وورد إليه سنة 334 ولقي المستكفي بمنحه وأخويه (عماد الدولة وركن الدولة) ألقابهم . ثمّ عزل المستكفي ونصب المطيع لله خليفة بدله، ومرض معز الدولة ببغداد وتوفي وعمره 53 سنة، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً (نشوار المحاضرة 138/1).
- (١١) عمدة الدولة أبي ثعلب الحمداني : أحد أمراء « بني حمدان »، ملوك الموصل والجزيرة وحلب، في العصر العبّاسيّ، منهم سيف الدولة صاحب حلب وأكثر السّام وديار بكر، وأبو فراس الشّاعر، وآخرون . وكان عمدة الدولة الحمداني أمير الموصّل . (يتيمة الدّهر 314/1).
- (١٢) أبو إسحاق الصّابي (313 - 384) بابغة كتاب جيله . كان أسلافه يُعرفون بصناعة الطّب، ومال هو إلى الأدب، فتقلّد دواوين الرّسائل والمظالم في أيام المطيع العبّاسيّ . وكان صلماً في دين الصّائبة، ولكنّه كان يحفظ القرآن ويشارك المسلمين في صوم رمضان من مصنفاته : كتاب « التّاجي » وديوان شعرو « الهفوات النّادرة » (الأعلام 78/1)
- (١٣) بدر الحرّميّ (توفي سنة 310 هـ) أبو النّجم : قائد تركيّ الأصل من أمراء الجيش العبّاسيّ . كان من غلمان الطّولونيّين وخدم الخلفاء العبّاسيّين توفي وهو عامل على شيراز . (الأعلام 45/2)

الوفى بها يحفظه ، نحوك يا سيدي ومولاي أدام الله عزك ! - بالوديعة ، وإنما نُقلت من وطنٍ إلى سكنٍ ، ومن مَعْرَسٍ إلى مَعْرَسٍ ، ومن مأوى [برّ +] ، وأنعطاف ، إلى مثوى كرامة وإلطاف [ومن منبتٍ درّت لها نعاؤه ، إلى منشأ تجود عليها سماؤه] (15) ، وهي بضعة مني انفصلت إليك وثمره من جنى قلبي حصّلت لديك (16) . وما بان عني من وصلت حبله بحبلك ، وتخيّرت له بارع فضلك وبوّأته المنزل الرّحب من جميل خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم (17) شيمك وطرائقك ، ولا ضياع على ما تضمّه ، أمانتك ويشتمل عليه حفظك ورعايتك (18) . »

قال مؤلّف الكتاب : وكثيراً ما يُكنّي ابنُ العميد (19) والصّاحب (20) والصّابي (21) وعبد العزيز بن يوسف (22) وهم بلغاء العصر وأفراد الدّهر

(14) في اليتيمة « تر » بدل « مري »

(15) الزيادة التي بين حاصرتين من اليتيمة .

(16) في الأصل المطبوع : « وهي بضعة مني حصلت لديك ، وثمره من جنى قلبي انفصلت إليك » وما أثبتناه من اليتيمة .

(17) في الأصل المطبوع : « كريم » ، وما أثبتناه من اليتيمة .

(18) في الأصل المطبوع : « تشتمل عليه صيانتك » وما أثبتناه من اليتيمة . وفيها تنمة لهذه الرسالة نوردها فيما يلي : « وأرجو أن يقرن الله موردها بالطائر السعيد ، والأمر الرّشيد ، والعزّ الزائد ، والمجد الصّاعد ، والنّماء في الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف ؛ حتّى تكون عوائد البركة بأحوالها منوطة ، وعن عوادي الأيام وغيرها محوطة . » (يتيمة الدهر 1 / 314) .

(19) سبق ترجمته .

(20) سبق ترجمته .

(21) سبق ترجمته .

(22) عبد العزيز بن يوسف (توفي سنة 388 هـ) ، الشّيرازي الجكّار : وزير ، من الكتاب الشعراء . تقلّد ديوان الرّسائل لعضد الدّولة البويهّي طول أيامه ، وعدّ من وزرائه وخواصّ نعيائه . أورد الثّعالبي طائفة من نثره وشعره في « يتيمة الدّهر » . (الأعلام 4 / 29)

عن البنت بالكريمة وعن الصّغيرة بالريحانة، وعن الأم بالحرّة والبرّة، وعن الأخت بالشقيقة، وعن الزّوجة بكبيرة البيت، وعن الحُرْم بمن وراء السّتر، وعن الزّفاف بتأليف الشّمل واتّصال الحبل. ولو كتبت الفصول المتضمّنة لهذه الكنايات لامتدّ نفسُ الباب، وفيما أوردته من هذه النّكت كفاية.

وحدّثني أبو النّصر محمّد بن عبد الجبّار العُتبيّ⁽²³⁾، قال : لما تُوفيت والدّة الأمير الرّضى أبي القاسم نوح بن منصور⁽²⁴⁾ احتاج خالي أبو النّصر العتبيّ إلى مكاتبة الحضرة في التعزية عنها، فلم يرتض لفظة الأمّ والوالدة في ذكرها، فكتب كتابا قال في فصل منه : « وقد قرع الأسماع نفوذ قضاء الله فيمن كان البيت المعمور ببقائها مصعدّ الدّعوات المقبولة، ومهبط البركات المأمولة، فارتضاه كتاب الحضرة وتحفظوه.

(23) محمّد بن عبد الجبّار العُتبيّ (توفي سنة 427 هـ) . مؤرّخ من الكتاب الشعراء . أصله من الريّ ونشأ في خراسان . من تصانيفه : « لطائف الكتاب » و« اليميني » .

(24) المنصور السّامانيّ (353 - 387 هـ) : أمير ما وراء النّهر . مولده ووفاته في بخارى (عاصمة إمارته) لم تسكن الفتن مدّة ولايته إلّا قليلا، وكان موقفا في قمعها، عزيز الجاب، مطاعا.

فصل في الكناية عن عورة المرأة

أنشدني أبو القاسم الرّسوريّ (1) لبعض العرب :
وإذا الكريمُ أضاعَ مطلبَ أنفه أو عرسه لِكريمةٍ لم يغضبِ
والعربُ تقولُ : إنّ الجنين إذا نمت أيامه في الرّحم وأراد الخروجَ منه
طلبَ بأنفه الموضعَ الذي يخرجُ منه ، فقال لي الأستاذ أبو بكر الطّبري (2)
: انظر كيف لطف هذا الشّاعر بحذقه للكناية عن فرج الأمّ بقوله مطلب
أنفه .

ومعنى البيت أنّ الرّجل متى لم يُحمِ فرج أمّه أو امرأته لم يغضب من
شيء يؤتى إليه بعد ذلك .

وقال الصّاحب (3) في رسالته الموسومة « بالتنبيه على مساوئ شعر
المتنبّي » : قد كانت الشعراء تصف المآزر وتُكنّي بها عمّا وراءها تنزيها
لألفاظها عمّا يُستبشع ذكره حتّى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التّصريح
الذي لم يهتد إليه غيره ، فقال :
إني على شغفي بها في خمرها لأعفّ عمّا في سراويلاتها (4)

(1) أبو القاسم الرّسوريّ : لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر .

(2) الأستاذ أبو بكر الطّبري : لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر .

(3) سبقت ترجمته .

(4) هكذا أثبت البيت في الدّيوان بشرح البرقوقي ، وفي طبعة « دار صادر » استبدلت
« سراويلاتها » بـ « سَرَابيلاتها » - « والخمر جمع خمار . وهو ما تغطّي به المرأة رأسها
والسراويلات جمع سراويل : فارس معرّب وهو اللباس الذي يستر النصف الأسفل من =

وكثير من العهر أحسن من هذه العفاف (5).

ومما يستحسن للحجاج (6) قوله لأُم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (7) :
« عمـدت إلى مال الله فوضعتـه تحت ذيلك » ، لأنه كره أن يقول
تحت أستك كما تقوله العامة ، خوفا من أن يكون قد جازف ، كما عيب به
عبد الله بن الزبير (8) لما قال لامرأة عبد الله بن حازم : أخرجني المال
الذي تحت أستك ، فقالت : ما ظننت أحدا يلي شيئا من أمور المسلمين
فيتكلم بهذا ، فقال بعض الحاضرين : أما ترون إلى الخلع الخفي الذي
أشارت إليه ؟

وقال أبو منصور الأزهري (9) في نهي النبي ﷺ عن إثيان النساء في

=الجسم . « وأضاف البرقوقي ، بعد أن ذكر ما عاب به الصاحب هذا البيت ، « وإنما قال المتنبّي
عما في سراييلاتها : جمع سربال ، وهو القيمص ، وكذا رواه الخوارزمي . « شرح ديوان المتنبّي
لعبد الرحمن الرقوقي 1/ 349 .

(5) في الأصل المطبوع « العفافة » وما أثبتناه من شرح البرقوقي

(6) الحجاج بن يوسف الثقفي (40 - 95 هـ) يضرب بظلمه وعسفه وجوره المثل ، حاصر مكة
سنة 73 هـ ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل عبد الله بن الزبير ومنع الناس من الصلاة عليه عند دفنه
وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص . قتل صبّرا - سوى من قتل في حربه - مائة وعشرين
ألفا ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة ، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع
واحد . (نشوار المحاصرة 1/ 136) .

(7) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (توفي سنة 85 هـ) أمير ، من القادة الشجعان الدهاة ،
وهو صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي . مات مقتولا .

(8) عبد الله بن الزبير : كان من المبغضين لبني هاشم . روي أنه بقي أربعين يوما لا يُصلي
على النبي في خطبته حتى ألتا عليه الناس فقال : إن له صلى الله عليه وآله أهل بيت سوء إذا
ذكرته إشرأبت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك ، فلا أحب أن أقر أعينهم بذلك . قتله الحجاج بمكة
سنة 73 هـ وصلبه . (الكنى والألقاب 1/ 294)

(9) أبو منصور الأزهري (282 - 370 هـ) : أحد الأئمة في اللغة والأدب . مولده ووفاته هراة =

محاشهن أنها كناية عن أدبارهن وأصلها من الحش (١٥).

وقال الجاحظ (١١) في قول الله عز اسمه : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (١٢). وقوله : ﴿ وَمَرِيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (١٣) إنها كناية عن العورة، ولما كثر في الكلام قال بعض المفسرين : إنه يحتاج إلى كناية، فقال في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ (١٤). إنها كناية عن الفروج كأنه لم يعلم أن كلام الجلد من أعجب العجَب، ولو كان كذلك لقال عند ذكر الفروج والذين هم لجلودهم حافظون، ولقال : ومريم ابنة عمران التي أحصنت جِلْدَهَا.

وروى الفقهاء أن رفاعة طلق امرأته فتزوجت برجل يقال له عبد الرحمن بن الزبير، بفتح الزاي وجر الباء، ثم شكته إلى النبي ﷺ وقالت له : إن الذي معه كهدة (١٥) الثوب، فقال ﷺ : أتريدين أن تراجعني رفاعة. لا، حتى تذوقي عُسَيْلَتَهُ ويذوق عُسَيْلَتِكَ. فانظر إلى لطافة هذا الكلام وكثرة رونقه وحسن كنياته عن العورة والنكاح بالعُسيلة التي هي تصغير العسل وهو يُذكر ويؤنث.

بحراسان وقع في إसार القرامطة فكان مع فريق من هوارن « يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في مسقطهم لحن » من مصنفاته . « تهذيب اللغة » و« تفسير القرآن » (الأعلام 311/5).

(10) المحشة : الدئر

(11) الجاحظ (159 - 254 هـ) أديب ومفكر ومتكلم بصري المولد والسنة، غرير التأليف تُنسب إليه فرقة الجاحظية وهي إحدى فرق المعتزلة.

(12) سورة المؤمن، الآية 5.

(13) سورة التحريم، الآية 12

(14) سورة فصلت، الآية 21.

(15) الهدة كناية عن الذكر، أي أنه رخو مثل طرف التوب

وذهب من أنكر تأنيثه إلى أنه تصغير عسلة يقال عسلة وعسل كما يقال
تمرة وتمر.

ومن نادر الكناية وجيدها قول أبي حكيمة (16) راشد بن إسحاق
الكاتب (17) في فنه الذي شهر به من قصيدة :

سم فما عندك خير يرتجى أيها الأيرُ القليل المنفعة
طالما جدلت فرسان الوغى وافتحت القلعة الممتعة
وتقحمت مطامير الهوى فعرفت الضيق منها والسعة (18)

(16) في « معجم الأدباء » لياقوت الحموي . أبو حكيمة 122/11

(17) أبو حكيمة راشد بن إسحاق . كان أديبا كاتباً شاعراً، ذكره ابن المرزبان في طبقات
الشعراء وقال . كان أكثر شعره في رثاء متاعه . اتصل راشد بالوزير محمد بن عبد الله الزيات ،
وله معه أخبار . (معجم الأدباء 122/11) .

(18) ذكر ابن المعتز في « طبقات الشعراء » أن كنية راشد بن إسحاق هي « أبو حليمة » ،
وأضاف أن أبا حكيمة « هو الذي رثى متاعه - أي أيرُهُ - بما لم يجئ أحد بمثله » فقال من
قصيدة .

أيها الأير تنبهه	خلع الجشيف إزاره
ما اعتذاري عنده فيـ	ك وقد صرت شعاره
يا ثقیل الرأس يُغفـي	طول ليل ونهاره
جاعلاً جلدة خضيهـ	ه من القر دثاره
ليس ينحاش بخيـر	لمدير إن أرادته
إن نـوم الأير ذلّ	فاحذر الذلّ وعاره
قلما تهوى الغواني	حلم أير ووقـاره
إنما يزهدن فيهـ	حين يعرفن إنكساره
ويواطئن عليهـ	حين يحمدن إختباره
أين ما كنت عليهـ	من نشاط وحراره
فلعهدي بك دهرًا	قائمًا مثل المناره
ما يـراك الناس إلّا	من حديد أو حجاره

وعهدي بالأستاذ الطبري ينشد هذه الأبيات ويعجب من جودتها في معناها، ويقول إن من يُكَنِّي عن الأُحْراح (19) والفِقَاح (20) بمطامير الهوى لمن شياطين الأنس الذين سُخِّر لهم الكلام حتى قادوه بألین زمام.

ومما يليق بهذا الفصل قول البُحْثري (21) في رجل تزوّج قينة :
 تزوّجَتْهَا بَعْدَ إِحْرَاقِهَا قُلُوبُ النَّدَامَى ، وَإِفْلَاقِهَا
 وَكَيْفَ (22) انْبَسَطَتْ ، وَلَمْ تَنْقَبِضْ ، لِإِجْلَاسِهَا مَعَ عَشَّاقِهَا
 إِذَا كُنْتَ تُمَكِّنُ مِنْ حُبِّهَا فَإِنَّكَ تُمَكِّنُ مِنْ سَاقِهَا (23)

-
- (19) الأُحْراح : واحده جِرْجٍ ويُخَفَّف على جِرٍّ : وهو سوء المرأة .
 (20) الفِقَاح : واحدتها الفَقْحة : حلقة الدُّبُر وقيل الدُّبُر الواسع وقيل الدُّبُر بحمّتها .
 (21) البُحْثريّ (206 - 284) شاعر كبير، يُقال عن شعره « سلاسل الذهب » ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم : المتنبي وأبو تمام والبُحْثري . اتّصل بجماعة من خلفاء بني العباس أولهم المتوكّل وتوفي بمنيع . له ديوان مطبوع . ومن تصانيفه : كتاب « الحماسة » على مثال حماسة أبي تمام (الأعلام 8/ 121)
 (22) في الأصل المطبوع « فكيف » وما أثبتناه من الديوان .
 (23) لا وجود لهذا البيت في الديوان . وهذه الأبيات من قصيدة ، من خمس أبيات ، بعنوان « تزوّجَتْهَا » ، نوردها في ما يلي : (الديوان ، دار صادر . 2/ 178)

تزوَّجَتْهَا ،	بعد	إحراقها	قلوبُ	النَّدَامَى ،	وإفلاقها
وقد أعطتِ القومَ من عهدِها	رضاهمُ ،	ومن عهدِ	ميثاقها		
فكيف أمنتِ خياناتِها ،	وأنتِ	عليمُ	باخلاقيها		
وكيف انبسطتْ ، ولم تنقبضْ ،	لإجلالِها	مع	عشاقها		
تحدثهم بمعاني العنا	ء ،	عن	نفسٍ ،	وأشواقها	

فصل

يتصل به في الكناية عن عورة الرجل

قال النبي ﷺ : « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه (1) بهن أبيه ولا تكنوا ». وقال عليه الصلاة والسلام : « من وقاه الله شر ما بين فكّيه ورجليه دخل الجنة ».

وقال الشاعر في مثل هاتين الكنايتين :

وعضوين للانسان لا عظمَ فيها هما سببا لإصلاحه وفساده
إذا صلحا كان الصلاح لذيها وإن فسدا لم يحظَ يومَ معاده

وقد كنى عنها عبد العزيز بن محمد السبوسي (2) بالبليلة، فقال من قصيدة :

وحين قامت عليّ بلبتي، ولم أجذ حيلةً، تبليتُ

يُكنّى عن جلدِ عميرة، وعميرة كناية. وكذلك القضيب والطومار، قال أبو نعام (3) :

زرت أخاكم يا بني صالح فلم يزل ينشر طومار
حتى إذا أخشوشن في كفه أدخله مضيدة الفار

(1) ورد هذا الحديث في اللسان، وشرحه : « أي قولوا له أعضض بأير أبيك ولا تكنوا عن الأثر بالهن تنكيلا وتاديبا لمن دعا دعوى الجاهلية . ومنه الحديث أيضا : من اتصل فأعضوه، أي من انتسب نسبة الجاهلية وقال يا فلان »

(2) عبد العزيز بن محمد السبوسي : قال عنه الثعالبي في اليتيمة : « أحد شياطين الانس . » .
(426/3)

(3) أبو نعام : هي كنية قطري بن الفجاءة، وليس المقصود هو.

وقال دُعْبَلُ (4) :

يا مَنْ يُقَلِّبُ طوماراً وينشره ماذا بقلبك من حبّ الطوامير؟
فيه مشابه من شيء كلفت به طولاً بطولٍ وتدويراً بتدوير

ومن كنايات ابن الرومي (5) في هذا الباب قوله يهجو شخصاً :
ما مرّ من يومٍ وليلةٍ إلا وبعض غلامه في بعضه

وأنشدني أبو الفتح البُستيّ (6) لنفسه :

وذاتٍ دلّ إذا لاحظت صورتها رجعت عنها بقلب جدّ مفتون
تزوّر عني بنون الصّدغ حين رأت إمام لهوي يقرأ سورة النون

ولقد ملّح في الجمع بين النونين وطرف في الكناية عن متاعه بإمام
اللّهو، وعن اغوجاجه وقلة انتصابه بقراءة سورة النون، وإنّا شبّهه بسورة
النون المعروفة.

(4) دُعْبَلُ الحِراعيّ (148 - 246 هـ) شاعر مفلح مطبوع، أصله من الكوفة وأكثر مقامه ببغداد، ودخل دمشق ومصر. وكان هجاء، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا الوزراء ولا أولادهم وكان من مشاهير الشيعة، وقصيدته الثائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسى المدائح قصد بها الإمام علي بن موسى الرضا فأعطاه عشر آلاف درهم وخلع عليه بردة من ثيابه

(5) ابن الرومي (221 - 283 هـ) شاعر كبير من طلبة سار والمني، وهورومي الأصل، وحده من موالى بني العباس ولد وشتأ في بغداد، ومات فيها مسموماً له ديوان شعر كبير. (الأعلام 4/ 297)

(6) أبو الفتح البُستيّ . شاعر وكاتب وأديب معروف بجودة الشعر، صاحب حكم ومواعظ توفي ببخارى في حدود سنة 400 هـ (الكنى والألقاب 2/ 82)

وكانت جنان المدنيّة (٧) تُكنّي عن متاع الرجل بمفتاح اللّذة، وفي كتاب « ملح النوادر » أنّ رجلاً راود امرأة عذراء عن عذرتها، فقالت : هذه ختم الله، فقال وأشار إلى متاعه : وهذا مفتاح الله.

ومن الكنايات الجيدة في هذا الباب : فلان عفيف الازار وفلان طاهر الذّيل إذا كان عفيف الفرج.

وقلت في كتاب « المبهج » : من عفّ إزاره خفّت أوزاره، وإنّما يُكنّى بالازار عمّا وراءه، كما قالت امرأة من العرب :
النازليّن بكلّ معترك والطّيبين معاقد الأزر

وما أحسن كنايات زيادة بن زيد (٨) عن عفة الفرج وشرف المنكح بقوله :

فلما بلغنا الأمّهات وجدتم بني عمّكم كانوا كرام المضاجع

(٧) جنان المدنيّة : لم نقع لها على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

(٨) زيادة بن زيد : لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

فصل

في الكناية عما يجري بين الرجال والنساء من اتباع الشهوة والتماس اللذة، وطلب النسل

لا أحسن ولا أجمل ولا ألطف من كناية الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ وقد أفضى بعضكم إلى بعض ﴾ (١)، وقوله عز ذكره : ﴿ فلما تغشاها ﴾ (٢)، وقوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (٣). وقوله : ﴿ فالآن باشروهنَّ وابتغوا ما كتبَ الله لكم ﴾ (٤). وقوله : ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ (٥). وقوله : ﴿ فما استمتعتم به منهنَّ ﴾ (٦). وقوله في الكناية عن طلب ذلك حكايةً عن يوسف عليه السلام : ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ (٧). فسبحان الله ما أجمع كلامه للمحاسن واللطائف وما أظهر أثر الإعجاز على إيجازه وبسطه في معناه ولفظه.

(١) سورة النساء، الآية ٢١.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٨٧.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٢٣.

(٦) سورة النساء، الآية ٢٤.

(٧) سورة يوسف، الآية ٢٦.

ومّا جاء في حسن الكناية عن النّكاح في شعر الجاهليّة قول
الأعشى (8) :

وفي كلّ عامٍ (9) أنتَ جاشمٌ غزوة تشدّ لأقصاها عزيماً عزائكِ
مُورّثةً مالاً، وفي الحمْدِ (10) رفعةً، لما ضاع فيها من قُروءِ نسائكِ (11)

القُروء، هُنا الاطهار لأنّ الممدوح لما كان كثير الغزو لم يغش النساء
للغيبَةِ عنهنّ في مغازية أضاع أطهارهنّ.

وقد زعم نقّاد الشعر أن هذه الكناية لطيفة دالّة على حذق الشّاعر
بصنعتِهِ.

وعندي أنّ ضياع أطهار نساء الملوك ليس ممّا يخاطبون به وكذلك قول
الأخطل (12) في بني مروان :

قومٌ إذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون النّساء ولو باتت بأطهارٍ

فإنّه على حسنه من فضول القول الذي لو رُزق فضل السّكوت عنها
لحاز الفضيلة وما للشّاعر وذكر حرّم الملوك فضلاً عمّا يجري لهم معهنّ

(8) الأعشى ميعون بن قيس : أحد فحول الشعراء الجاهليين . وكان يُسمّى صنّاجة العرب إذ

كان يغنيّ بشعره لرفقته وعدوبته . أدرك الاسلام ولم يُسلم . توفي في 7 هـ .

(9) في الأصل المطبوع « يوم » وما أثبتناه من الديوان .

(10) في الأصل المطبوع « الحيّ » وما أثبتناه من الديوان .

(11) هذان البيتان من قصيدة يمدح فيها الأعشى هوزة بن علي الحنفي . (الديوان 130) .

(12) الأخطل (19 - 92 هـ) أحد أبرز شعراء العصر الأمويّ . لقّب بالأخطل لطول لسانه .

وكان نصرانيّاً . وهو شاعر الأمويّين بدون منازع . وقد اشتهر بنقائضه الهجائيّة مع جرير . وله

ديوان مطبوع .

وأما قول الربيع بن زياد⁽¹³⁾ :
أبعدُ مقتلِ مالكِ بنِ زهيرِ ترجو النساءِ عواقبَ الأظهارِ
فهو أيضا كناية عن النكاح بعد الطهر يقول : أيرجون أن يحملن مثله
في شرفه وكرمه ؟

والعرب تزعم أن أكثر ما تكون المرأة اشتمالاً على الحبل بعد موافقة
الرجل إياها بعيد طهرها من حيضها فيكون الحمل عاقبة الطهر.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع ذات ليلة وهو يطوف
إمرأة تغني بهذين :

تطاولَ هذا الليلُ وأزودَ جانبه وأرقنني أن لا خليلَ أَلأعبه
فَوَا اللهَ لولاَ اللهَ لا شيءَ غيره لمزغزعَ من هذا السريرِ جوانبه

فسأل عنها، فقيل هي مغيبة وزوجها فلان خارج في بعض البعث،
فأمر برده إليها. وزعزعة السرير كناية عن الزج⁽¹⁴⁾، العنيف⁽¹⁵⁾.

(13) الربيع بن زياد (توفي نحو 30 ق. هـ) أحد دهاة العرب وشجعانهم ورؤسائهم في
الجاهلية. اتصل بالنعمان بن المنذر وناداه، ثم أفسد لبيد الشاعر ما بينهما، حضر حرب داحس
وغبراء مع قومه من بني عبس، وله أخبار كثيرة.

(14) الزج : الدفع والادخال والإيلاج.

(15) جاءت هذه القصة في « المحاسن والأضداد » للجاحظ و« ذم الهوى » لابن الجوزي
بإسناد انتهى به إلى السائب بن جبير، مؤلى ابن عباس، و« تاريخ الخلفاء » للسيوطي. وفي
الروايات الثلاث اختلاف بين. ونحن نورد هنا موقفين بين المصادر الثلاثة : يروى أن عمر
بن الخطاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة. وكان يفعل ذلك كثيراً - إذ مرّ بامرأة من نساء العرب =

ومما يقارنها قول أبي عثمان الخالدي [في رسالة (16)] من نتفها. « وإذا
الليل كفّ كل رقيب وعاذل صرّت الفرش تحت قوم صرير المحاميل ». .
ومن الكنايات عن النكاح الحلج (17)، وقد استعمله أبو نؤاس (18) في
قوله :

== مغلقا عليها بابها، وهي تقول :

تطاول هذا الليل تنسري كواكبه وارقتي أن لا ضجيع ألاعبه
اللاعب طوراً وطوراً كأنها بدا قمرًا في ظلمة الليل حاجبه
يسرّ به من كان يلهو بقربه لطيف الحشا لا تحتويه أقاربه
فو الله لولا الله لا شيء غيره لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى رقيباً موكلًا بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه.

ثم تنفست الصعداء، وقالت : لمان على عمر بن الخطاب وحشني وغيبة زوجي عني ! وعمر واقف
يستمع قولها. فقال لها : يرحمك الله، يرحمك الله. ثم رجع عمر إلى منزله، فسأل عن المرأة فإذا زوجها
غائب. فسأل ابنته حفصة : كم تصبر المرأة عن الرجل ؟ فسكتت واستحييت وأطرقت. فقال : أربعة
أشهر ؟ خمسة أشهر ؟ ستة أشهر ؟ فرفعت [حفصة] طرفها. فعلم أنها لا تصبر أكثر من ستة أشهر.
فكتب إلى صاحب الغزو أن يقفل الرجال إلى أهاليهم إذا أتت ستة أشهر. »

(16) في الأصل المطبوع نقص واضح فأضفنا العبارة التي بين حاصرتين ليستقيم المعنى .

والخالديان : أبو عثمان سعيد المتوفى سنة 350 هـ ، وأبو بكر محمد المتوفى سنة 380 هـ . أوطنا بحلب
فكانا في حاشية سيف الدولة وبطانته . وكانا شاعرين أديبين واشتركا في التصنيف فصنفا زيادة على كتاب
« تاريخ الموصل » رسالتين في أبي تمام وابن الرومي وجمعا اختيارات من أشعار المحدثين تسمى « حماسة
الخالدين » .

(17) حلج القطن : ندفه ، والحلج هو الحركة والاضطراب .

(18) أبو نؤاس ، الحسن بن هانئ (146 - 198 هـ) : شاعر العراق في عصره . ولد في الأهواز ونشأ
بالبصرة ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ومدح بعضهم . وهو أول من نهج للشعر
طريقته الحضريّة وأخرجه من اللهجة البدويّة . وقد نظم في جميع أغراض الشعر ، وأجود شعره خمرياته . وله
ديوان شعر مطبوع ، وديوان آخر سمي « الفكاهة والانتناس في مجون أبي نؤاس » وله أخبار جمعها كل من
ابن منظور وابن هفان . (الأعلام 2/ 225) .

ثم توركتُ (19) على ممتنه كأنني طيرٌ على برجٍ
وكان منا عبثٌ ساعةٍ واندفعَ الحلاجُ في الحلجِ

وللقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (20) من قصيدة هزلٍ
ومداعبة :

تبيتُ تُحلجُ طولَ الليلِ منكمشاً وباختيارٍ ينادي أدركوا الفرقا
وقام عمرو فأتمته أكفَّ يدٍ لما أنشئ أو تحسَّى منهم المرقا
إذا هو منه مثل الرمحِ واتسعتْ كالترسِ وافقَ شئُ عندها طبقا

ومن ملحِ البُحترى (21) في هذه الكناية قوله :
لم تخط (22) بابَ الدهليزِ مُنصرفاً، إلا وخلخالها مع الشُّنْفِ (23)

وهو مسرُوق من قول غيره :
ترفُّقٌ قليلاً قد أوجعتني وألصقتْ قرطبي بخلخالها

(19) تورك : جلس مُعتمداً على وركيه.

(20) أبو الحسن الجرجاني (توفي سنة 392 هـ) قاض من العلماء بالأدب، كثير الرحلات، وله شعر حسن. وُلد بجرجان وولي قضاءها، ثم قضاء الري، فقضاء القضاة، وتوفي بنيسابور. من تصانيفه : « الوساطة بين المتنبي وخصومه » و« تفسير القرآن » و« ديوان شعر » و« رسائل » (الأعلام 300/4).

(21) البُحترى : (206-284 هـ) شاعر كبير، يُقال عن شعره « سلاسل الذهب »، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم : المتنبي وأبو تمام والبُحترى. اتصل بجماعة من خلفاء بني العباس أولهم المتوكل وتوفي بمنبج. له ديوان مطبوع. ومن تصانيفه : كتاب « الحماسة » على مثال حماسة أبي تمام. (الأعلام 121/8).

(22) في الأصل المطبوع « يخط » وما أثبتناه من الديوان.

(23) الشُّنْف : الذي يُلبس في أعلى الأذن، والجمع أشناف وشُوف.

وقد أخذ الأستاذ أبو بكر الطبري هذه الكناية وزاد فيها حيث قال :
والشأن في ظنك الظن الجميل بها وطال ما أوجعت كتفي رجلاها
وانظر إلى كعبها تُصر به ندبا من طول ما خدش الكعيب قرطاهما

وقال أيضا :

كمشترق اللحاظ إلى عروسٍ وعند سواه تضطرب الحُجُولُ (24)

وحكى الصولي (25) عن المكتفي (26) في حديث له قال : سهرت
البارحة فذكرت بعض أدوية السهر، فأنست فنمت، قال : فقلنا
له : والله ما سمعنا بأحسن من هذه الكناية قط، فقال : والله ما سمعتها
قبل وقتي هذا وإنما ساقها اللفظ. ودواء السهر كناية عن النكاح وعن
السُّكر.

وبلغني عن ابن عمر القاضي أنه كان لا يجلس للخصوم حتى ينال
من الطعام والشراب، ويُلَمُّ بأهله احتياطا على دينه وتعففا بالحلال عما
عساه تتوق نفسه إليه من الحرام إذا بدرت منه لحظة لمن عساها تتحاكم
إليه من النساء الحسان.

فقرأت لأبي إسحاق الصابي (27) فصلا في هذا المعنى بعينه من كتاب

(24) الحُجُول : واحده الحُجْل والحُجْل : الخُلخالُ

(25) الصولي (توفي سنة 335 هـ) : أديب وشاعر عباسي، نادم جملة من خلفاء بني العباس. أهم
تصانيفه : « الأوراق » و « أخبار أبي تمام » و « أخبار البُحترَي ».

(26) المكتفي (263 - 295 هـ) : من خلفاء الدولة العباسية في العراق. قام بشؤون الدولة قياما حسنا
وحارب القرامطة فأبادهم واستأصلهم.

(27) أبو إسحاق الصابي (313 - 384) نابغة كتاب جيله. كان أسلافه يُعرفون بصناعة
الطب، ومال هو إلى الأدب، فتقلد دواوين الرسائل والمظالم في أيام المطيع العباسي. وكان صلحا
في دين الصائبة، ولكنه كان يحفظ القرآن ويتشارك المسلمين في صوم رمضان. من
مصنفاته : كتاب « التاجي » ديوان شعر و « الهفوات النادرة » (الأعلام 78/1).

عهد سلطاني لبعض القضاة تعجبت من حسن عبارته ولطف كنيته وهو : « أمره أن يجلس للخصوم ، وقد نال من المطعم والمشرب طرفا يقف به عند أول الكفاية ، ولا يبلغ به إلى آخر النهاية ، وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها ، وعوارض البشرية بأسرها ، لئلا يلزم به [من ذلك] (28) مُلَمَّ أو (29) يُطيف به طائف ، فيحيلانه عن رشده ، ويحولان بينه وبين سَلَدِهِ . » (30)

وهذه نسخة رقعة للصاحب (31) في المداعبة تشتمل على كنايات حسنة من الباب « : خبر سيدي أدام الله عزّه وان كتمه عني واستأثر به دوني مصون عندي ، وقد عرفت خبره البارحة في شربه وأنسيه (32) ، وغناء الضيف الطارق وعرسه ، وكان ما كان مما لست أذكره (33) ، وجرى ما جرى تما لست أنشره . وأقول : إن مولاي (34) امتطى الأشهب فكيف وجد ظهره ؟ وركب الطيّر فكيف شاهد جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف أفي سعة أم ضيق ؟ وهل أفرد بالحجّ ، [أم تمتع بالعمرة ؟] (35) وقال في الحملة بالكرة (36) . ليتفضل بتعريفي الخبر ، فما ينفعه الانكار ، ولا يُغني عنه إلا الاقرار ، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مروة (37)

(28) ما بين الحاصرتين زيادة من يتيمة الدهر للثعالبي .

(29) في اليتيمة « و » بدل « أو » .

(30) ورد هذا الفصل في اليتيمة 2/ 296 .

(31) تقدّمت ترجمته .

(32) في الأصل المطبوع : « وقد عرفت ذلك في شربه وأنسيه » ، وما أثبتناه من اليتيمة .

(33) هذا صدر بيت وعجزه « فطنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر » ، وهو لابن المعتز .

(34) في الأصل المطبوع « سيدي » ، وما أثبتناه من اليتيمة .

(35) ما بين الحاصرتين زيادة من « يتيمة الدهر » للثعالبي .

(36) في الأصل المطبوع « وقال في الحملة بالكرة » ، وما أثبتناه من اليتيمة .

(37) أبو مروة : من كنى إبليس .

كما ساعده مرة، فنصلي للقبلة التي صلى [إليها] (38)، ونتمكن من
الدرجة التي خطب عليها، هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدان، الكثير
الفرسان . « (39)

ومما يليق بهذا الفصل فصل ذكره الأزهري (40) في كتاب « تهذيب
اللغة »، فقال : إذا أتى الرجل المرأة في غير مأتاها قيل حمض تحميصا
[أي] (41) تحول من مكان إلى مكان . والحلّة (42) ما كان حلوا، والحمض
فاكهتها . يقال : أحض القوم إحاضا إذا أفاضوا فيها يؤنسهم من الحديث
والفكاهة .

ويروى عن سعيد بن سيار (43) أنه قال لابن عمر (44) : ما تقول في

(38) ما بين الحاصرتين زيادة من اليتيمة .

(39) ورد هذا الفصل في اليتيمة 291/3 .

(40) أبو منصور الأزهري (282 - 370 هـ) : أحد الأئمة في اللغة والأدب . مولده ووفاته
بهرات بخراسان . وقع في إسمار القرامطة فكان مع فريق من هوازن « يتكلمون بطباعهم البدوية
ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن » . من مصنفاته : « تهذيب اللغة » و « تفسير القرآن »
(الأعلام 311/5) .

(41) ما بين الحاصرتين أضيفناه ليستقيم التركيب .

(42) الحلّة : كل نبت حلو . فالحمض ما كانت ملوحة ، والحلّة ما سوى ذلك .

(43) ابن سيار (توفي سنة 368 هـ) : كاتب من أهل البصرة . من تصانيفه « النوادر »
و « الغارات » . وكان يقول بالتناسخ .

(44) ابن عمر (10 ق . هـ - 73 هـ) : عبد الله ، صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية .
كان جريئاً جهيراً . هاجر مع أبيه (عمر بن الخطاب) وشهد فتح مكة . ولما قتل عثمان عرض
عليه نفر أن يبایعوه بالخلافة فأبى ، واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية . له في كتب الحديث 2630
حديثاً . (الأعلام 108/4) .

التَّحْمِيضُ (45) ؟ قال : وما التَّحْمِيضُ ؟ قال : أن يأتي الرَّجُلُ المرأةَ في دُبُرِها، قال : أو يفعل ذلك مُسْلِمٌ ؟

وقال غير الأزهري في الكناية عن الجارية المشتبهة لذلك قولهم : هي مالكيّة (46) لما روي عن مالك بن أنس (47) من إباحة ذلك .

(45) التَّحْمِيضُ في اللِّسان « قال بعض النَّاسِ . إذا أتى الرَّجُلُ المرأةَ في غير مآناها الذي يكون موضع الولد فقد حَمِضَ تحميضاً، كأنه تحوّل من خير المكانين إلى شرهما، شهوة معكوسة كقومٍ لوط . ويُقال للتَّفْخِيزِ في الجماع تحميض . ويُقال أحضت الرَّجُلَ عن الأمر، أي حولته عنه . »

(46) ذكر الرَّاعِبُ الاصبهاني في « محاضرات الأدباء » إنَّ مالك بن أنس « استدلَّ في ذلك (إتيان المرأة في دُبُرِها) بقوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم فانتوا حرثكم أُنَى شَتَمَ . » وقالت عائشة رضي الله عنها : « إذا حاضت المرأة حُرِّمَ الجُحْران » فدلَّ [ذلك] على أنَّها كانا حلالاً قبل الحيض . وقال بعض أهل اللِّغة الجُحْران بالضمِّ الفرجُ « 267/3 . ومن النوادر في هذا الصِّدْدُ ما ذكره الرَّاعِبُ من أنَّ « مرثد قال لامرأته : دعيي آتيك في أَسْتِكَ . فقالت . لا أجعل أَسْتِي ضَرَّةَ لِحْزِي مع قرب ما بينهما . وسُئِلَ أبو حفص عن إتيان المرأة في دُبُرِها فقال إنَّ الله يقول نساؤكم حرث لكم، والأَسْتُ لها مزرعة، ومن حلَّتْ له القرية، حلَّتْ له المزرعةُ وقال هُمام القاصبي :

ومذعورة جاءت على غير موعدٍ تقنصتها والنجم قد كاد يطلع
قفلت لها لما استمرَّ حديثها ونفسي إلى أشياء منها تطلع
أبيني لنا هل تؤمنين بيالكِ فإني بحبِّ المالكيّة مولعُ ؟
فقلت : نعم، إني أدين بدينه ومذهبه عدلٌ لديّ ومقنع
فبتنا إلى الإصباح ندعو للمالكِ ونؤثر فُتياه إحتساباً ونشعُ

(47) مالك بن أنس (93 - 179 هـ) . إمام وفقيه ومحدِّث وهو مؤسس المذهب المالكي . ولد وتوفي بالمدينة . وله « الموطأ » . وكان في أوّل أمره حاذقاً بالغناء، إلّا أنه عزف عنه إلى الفقه لدماة منظره .

وَمَا يُسْتَظَرَفُ لِأَبِي إِسْحَاقَ الصَّبَّاحِيِّ (٤٨) قَوْلُهُ :
بَاتَتْ وَكَلَّ مَصُونٍ لِي مِنْ حَمَاهَا مَبَاحُ
فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَعْبَهَا وَاللَّهِ إِلَّا الصَّبَّاحُ

فصل في افتضاض العذرة

من طريف الكناية عن أخذ العذرة ما قرأته في أخبار بشار بن برد (١) حين قال [لَهُ] (٢) يزيد بن منصور (٣) في دار المهدي (٤) : يا شيخ ما صِنَاعَتُكَ ؟ قال : ثَقُبَ اللُّؤْلُؤُ . وأرى الصَّاحِبَ (٥) أخذ منه قوله لأبي العلاء الأَسَدِيَّ (٦) ، وقد دخل بأهله ، من أبيات :
وقد مضى يومان من شهرنا فقل لنا هل ثَقِبَ الدرُّ ؟

(١) بشار بن برد : (٩٥ - ١٩٧ هـ) : أشعر المولدين على الإطلاق . وكان ضريرا . نشأ في البصرة وقدم بغداد ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية . وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى ، جمع بعضه في ديوان . اتهم بشار بالزندقة فقتله المهديّ ضربا بالسياط ، ودفن بالبصرة . (الأعلام ٥٢/٢) .

(٢) ما بين الحاصرتين أضافناه ليستقيم التركيب .

(٣) يزيد بن منصور (توفي سنة ١٦٥ هـ) خال المهديّ . كان من سادة الدولة العباسية ، وكانت به غفلة . هجأه بشار .

(٤) المهديّ (١٢٧ - ١٦٩ هـ) من خلفاء العباسيين في العراق . كان محمود العهد والسيرة ، محبّا إلى الرعية ، حسن الخلق والخلق .
(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) أبو العلاء الأَسَدِيّ : قال عنه الثعالبي في اليتيمة : « قديم الصّحبة ، شديد الاختصاص به ، من شعرائه وصنّاعه . وكان الصّاحب يحبّه ويأنس إليه ويكاتبه نثرا ونظما . » ٣٩٤/٣ . وتمام أبيات الصّاحب كما في اليتيمة (٢٠٦/٣) .

إنك إن قلت نعم صادقا أبعث نثارا يملأ المنزلا
وإن تُحِبَّنِي من حياء بلا أبعث إليك القطن والمغزلا

وله يقول أيضا :

قلبي على الجمرة ياأبا العلا فهل فتحت الموضع المقفلا؟
وهل فككت الكيس عن ختمه؟ وهل كحلت الناظر الأحولا؟

ولابن العميد (7) في هذا المعنى إلى أبي الحسن بن هندو (8) :
أنعم أبا حسن صباحا وأزدد بزوجتك ارتياحا
قد رُضت (9) طرفك خاليا فهل استلنت له جماحا؟ (10)
وطرقت منغلقا فهل سنى الاله له انفتاحا؟ (11)

وأنشدني أبو الفضل الميكالي (12) لنفسه في مداعبة كانت له بين أهله :

(7) ابن العميد : (337 - 366 هـ) : وزير ركن الدولة والد عضد الدولة الديلمي ، وكان متوسعا في علم الفلسفة والنجوم . وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه . وكان يُسمى الجاحظ الثاني . ولما تمكن من الدولة خافه مؤيد الدولة خليفة ركن الدولة وقبض عليه وقتله (الأعلام 143/15 والكنى والألقاب 366/1) .

(8) أبو الحسن بن هندو : (توفي سنة 420 هـ) : من المتميزين في علوم الحكمة والأدب ، وله شعر . من تصانيفه : « أنموذج الحكمة » و« الرسالة المشرقية » .

(9) راض : قاد وأسلس .

(10) الجراح : التمرد .

(11) وتقام أبيات ابن العميد كما جاءت في اليتيمة :

قد كنت أرسلت العيو ن صباح يومك والرواحا
وبعثت مصغية تبيت لديك ترقب النجاحا
فغدت علي بجملة لم تولني إلا إفتضاحا
وشكت إلي خلا خلا خرسا وأوشحة فصاحا
منعت وساوسها السا مع أن تحس لكم صياحا

(12) أبو الفضل الميكالي (توفي سنة 436 هـ) : أمير من الكتاب والشعراء ، من أهل خراسان . صنف الثعالب « ثمار القلوب » لخزائنه وأورد في « يتيمة الدهر محاسن من نظمه ونثره ، ومختارات من كتابه « المخزون » ، من تصانيفه : « المتحل » و« ملح الخواطر ومنح الجواهر » . (الأعلام 191/4) .

أبا جعفر هل فضضت الصدف وهل إذ رميت أصبت الهدف؟
وهل جئت ليلاً بلا حشمة (13) لهول السرى (14) سُدفاً (15) في سُدف؟

وأظنّ السابق إلى وصف الافتضاخ حماد عجرد (16) حيث قال
وأحسن :

قد فتحنا الحصن بعد امتناع بمبيح فاتح للقلاع
ظفرت كفي بتفريق شملٍ جاءنا تفريقه باجتماع
فإذا شعبي وشعبُ حبيبي إنما يلتام بعد انصداع

وليس بالبارد قول اليعقوبي (17) :
وهمني مذ كنت في حلّ التكك ولم يزل يعجبني ثقب الفلك

وقول أبي عبد الله بن الحجاج (18) :

(13) الحشمة : الحياء والمسلك المحمود .

(14) السرى : المسير ليلاً

(15) السُدف : الظلام

(16) حماد عجرد (توفي سنة 161 هـ) : شاعر من الموالي من أهل الكوفة من مخضرمي
الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية . نادم الوليد بن يزيد وقدم بغداد في أيام
المهدي . وكانت بينه وبين بشار أهاج فاحشة . قُتل غيلة بالأهواز . (الأعلام 272/2) .

(17) اليعقوبي (توفي سنة 260 هـ) : من شعراء العهد العباسي . كان خليعاً ما جبا يصف
نفسه بالتطفيل والجوع والفقر .

(18) عبد الله بن الحجاج : كاتب وشاعر توفي سنة 391 هـ . أخباره كثيرة وقد جمعها محمد
بن حمدون ، وشعره كثير مجموع في ديوان ضخيم كثير المجون والفحش . وقد أفرد الشريف الرضي
من شعره ما خلا من السخف . وقد عني ابن حجاج باستعمال الكلمات التي كانت تجري على
لسان العامة ببغداد والتي لم تُسجلها المعاجم ، فديوانه سجل حافل بها (أخلاق الوريرين لأبي
حيان التوحيدي ، 147) .

جميعُ مالِي (19) صدقةً لأَكْسِرَنَّ فُسْتُقَةً
لا بُدَّ أنْ أَطْعَنَ بالَ رَمَحِ صَمِيمِ الدَّرْقَةِ (20)
وأنْ أَمَدَّ (21) المِيلَ (22) في جَوْفِ سَوَادِ الحَدَقَةِ
لا بُدَّ من أنْ يَقَعَ الـ زَرْفِينِ (23) وَسَطَ الحَلْقَةِ (24)

(19) في الأصل المطبوع « مُلْكِي » وما أثبتناه من « يتيمة الدَّهر » للثعالبي .

(20) الدَّرْقَةُ : ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب . والبيت على وجهه هذا لا معنى له ، وقد جاء في اليتيمة كالتالي :

لا بُدَّ أنْ أَطْعَنَ بالَ مردي صميم الدَّرْقَةِ
(21) في اليتيمة « أمر » بدل « أمد » .

(22) المِيلُ : الحديد التي يُكتب بها في ألواح الدَفتر أو « المَلْمُول » وهو الذي يُكحل به البَصْرُ ، وهو هنا كناية عن الذِّكْر .
(23) الزَّرْفِين : حلقة للباب .

(24) وَتَمَّامُ الأَبْيَاتِ (وهي من مجزوء الرجز) كما في اليتيمة (58/3) :

جميع مالي صدقه	لأَكْسِرَنَّ فُسْتُقَةً
فبَسَّ كم تهذبن يا	سندِيَّةَ مُطْلَقَةٍ
لا بَدَّ للسَّندان أنْ	يصبر تحت المطرقة
وفيشلتني لا بَدَّ أنْ	أسكبها في البوتقة
لا بَدَّ أنْ أَطْعَنَ بالـ	مردي صميم الدَّرْقَةِ
وأنْ أَمَرَّ المِيلَ في	جوف سوادِ الحَدَقَةِ
تُرِيدُ مِنِّي أَتْرَكَ اللـ	حَمَ وَأَحْسُو المَرْقِإِ
ليس الثَّريدُ باتني	بَسِّي من المَلَّقَةِ
أريد من لحم أَسْتِ من	أعشقهَا مَدَقَّةَ
وَكَلَّ شاه في غِدِّ	برجلهَا مُعَلَّقَةِ
لا بَدَّ من أنْ يَقَعَ الـ	زَرْفِينِ جَوْفِ الحَلْقَةِ

ومن مشهور ما يقع في هذا الفصل ما يروى أن ابن القرية⁽²⁵⁾ قال للحجاج⁽²⁶⁾ وقد بنى ببعض نساء الأ Bakar : « باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر في المعركة.

ومن ملح الكناية عن البكر قول بعضهم :
قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم أشهى المطي إلى ما لم يُركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحة لؤلؤ لم تثقب

وقد ناقضه من قال :
إنالمطية لا يلد ركوها حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أصحابه حتى يعالج بالسموط ويثقبا⁽²⁷⁾

ومن حُسن الكناية عنها قولهم : فلانة بخاتم ربها.

(25) ابن القرية (توفي سنة 84 هـ) : أحد بلغاء الدهر وخطيب يضرب به المثل ، وكان أعرابياً أمياً . قتله الحجاج بعد وقعة دير الجماجم .

(26) الحجاج بن يوسف الثقفي : (40 - 95 هـ) يضرب بظلمه وعسفه وجوره المثل ، حاصر مكة سنة 73 هـ ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل عبد الله بن الزبير ومنع الناس من الصلاة عليه عند دفنه وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص . قتل صتراً - سوى من قتل في حربه - مائة وعشرين ألفاً ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة ، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد . (نشوار المحاضرة 1 / 136) .

(27) ذكر ابن الجوزي في المعظم (6 / 5) هذه الأبيات ضمن قصة نسبها إلى فضل الشاعرة وأبو دلف العجلي . قال : « وألقى (أبو دلف) عليها (فضل الشاعرة) يوماً :
فقلت :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم	أشهى المطي إلى ما لم تُركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة	لبست ، وحة لؤلؤ لم تثقب
إن المطية لا يلد ركوها	حتى تذلل بالزمام وتركب
والحب ليس بنافع أصحابه	ما لم يؤلف للنظام ويثقب

ويُروى أنّ شيخاً من العرب تزوّج بكراً فعجز عن إفتضاضها فلما أصبحت سُئِلت عن حالها فأنشدت بيتاً ما شيء أدلُّ منه على العجز عن أخذ العُدرة :

تبيت المطايا حائراتٍ (28) عن الهدى إذا ما المطايا لم تجد من يقيمها (29)

ومن عويص هذا الباب قول الشاعر لابن المدبّر (30) :
أبوك أراد أمك حين زفت فلم يوجد لأمك بنت سعد
يعني لم يوجد لها عُدرة، وبنت سعد عُدرة بنت كعب.

(28) في « المحاسن والأضداد » للجاحظ (386) « حائذات » .

(29) وردت هذه القصّة في « المحاسن والأضداد » بتفصيل أكثر، وذكر الجاحظ أنّ هذا البيت « ليس في الأرض أعفّ منه » ، وهو الضدّ لأبيات أوردناها قبل هذا الخبر نسوقها مجرّدة من الحكاية التي ضُمّنت فيها، قالت امرأة تخاطب زوجها، وهو عنيّ :

تنحّ، لن تملكني بضمّ ولا ستقيل ولا بشمّ
إلا بزعزاع يسلي همّي يسقط منه فتخي في كمّي
يطير منه حزني وغمي

(30) ابن المدبّر (توفي سنة 279 هـ) وزير، من الكتاب المترسلين والشعراء، من أهل بغداد. استوزره المعتمد العباسي، وتوفي ببغداد متولياً ديوان الصّباغ للمعتضد. (الأعلام 60/1).

فصل في الكناية عن الحيض

قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ فضحكت ﴾ (1) إنه كناية عن الحيض ، وقال النبي ﷺ : « فبما ذم النساء أوتهن ناقصات عقل ودين ؟ » . ثم قال : « تدع الصلاة أحداهن شطر عمرها » . يُكنى عن الحيض .

وحدثني سهل بن المرزبان (2) قال : كنت أحضر أحيانا ببغداد مجلس عنان (3) المسمعة ، وكان الأفاضل كثيرا ما ينتابونها للسمع الفائق ، وكانت تبتدئ بالقرآن استفتاحا ببركته فتجيد جدا ، ثم تأخذ في شأنها . فبينما أنا ذات يوم عندها إذ ابتدأت بالشعر ، فارتفعت أصوات الحاضرين باستعادة عاداتها في الابتداء بالقرآن وهي ساكتة ، فلما عاودوها مرّات قال لهم صاحب الستارة : ليس يجوز لها أن تقرأ القرآن . فلم يفتن هذه الكناية أكثرهم حتى نبهتهم أنه كنى عن حيضها .

(1) سورة هود ، الآية 31 .

(2) سهل بن المرزبان (توفي سنة 420 هـ) : أديب مُكثر من جمع نفائس الكتب . أصله من أصبهان . كرّر الرحلة إلى بغداد في طلب الكتب واستوطن بينسابور وكان معاصرا للثعالبي وبينهما مكاتبات ومداعبات . له نظم حسن ومُصنّفات منها « أخبار أبي العيناء » و « أخبار ابن الرومي » و « أخبار جحطة البرمكي » و « الآداب ، في الطعام و الشراب . » (الأعلام 143/3) .

(3) عنان الناطقية (توفيت سنة 266 هـ) : شاعرة مستهترة من أذكى النساء وأشهرهن كانت جارية لرجلٍ من بغداد يُقال له الناطقي . وكان العباس بن الاحنف يهواها ولها أخبار معه ومع أبي نواس وغيرهما ، ماتت بخراسان .

ويُحكى أنّ بوران (٤) بنت الحسن بن سهل (٥) لما زُفّت إلى المأمون (٦) حاضّت من هيبة الخلافة في غير وقت الحيض فلمّا خلا بها المأمون ومدّ يده إلى تكّتها قرأت ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ (٧). ففطن لحالها، وتعجب من حسن كنايتها وازداد إعجاباً بها.

وما أشبه وقوفه على كنايتها إلا بحال أبي فراس الحمداني (٨) حيث قال :

وكنّى الرسولُ عن الجواب تطرفاً ولئن كنّى فلقد علّنا ما غنى

وكنّت أقرأ في شعر ابن الحجاج (٩) والأمير مُفتصد، في بيت لا مجال فيه لمعنى فصد الأمير، ولا أفطن له، إلى أن ذكر لي بعض السادة أنّه كناية عن الحيض بلسان المُجان من أهل بغداد، فخرج لي معنى البيت، ولولا فرط قذعه لأوردته، ثمّ أنشدت ما يحقّق معناه لبعض العصريين :

(٤) بوران (١٩١ - ٢٧١ هـ) بنت الحسن بن سهل وزوجة المأمون العباسي . من أكمل النساء أدبا وأخلاقا . اسمها خديجة وعرفت ببوران . وليس في تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ما أنفق في زفافها على المأمون سنة ٢٠٩ هـ . توفيت ببغداد .

(٥) الحسن بن سهل (١٦٦ - ٢٣٦ هـ) وزير المأمون وأحد كبار القادة والولاة في عصره . اشتهر بالذكاء المفرط والفصاحة وحسن التوقيعات والكرم . توفي في سرخس .

(٦) المأمون (١٧٠ - ٢١٨ هـ) : من أفاضل خلفاء بني العباس وعلماهم وحكماهم . وهو أول من فحص عن علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية وشهرها .

(٧) سورة النحل ، الآية ١ .

(٨) أبو فراس الحمداني (٣٢٠ - ٣٥٨ هـ) ابن عمّ سيف الدولة صاحب حلب . له ديوان شعر، وأشهر قصائده « الروميات »، قالها في الأسر .

(٩) تقدّمت ترجمته .

مشيتُ على دَمي وركبتُ هولاً، على خطرٍ وجدَّ بي المسيرُ
إلى مَنْ بين ثوبِها الأمانِ وفي أزرارها القمرُ المنيرُ
فلما أن خطبتُ الوصلَ منها حُجبتُ وقيلَ قد فُصدَ الأميرُ
فيا لك ثمَّ يا لك من فسادٍ تعوقُ لي به حَجُّ كبيرُ

فصل في الحبل

مجاهد (١) في قول الله تعالى : ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ (٢) ، قال إنه كناية عن الحبل ، وكثيراً ما تُجرى هذه الكناية في الفارسية .

وما أحسن ما كُنِيَ به الفرزدق (٣) ، عن جارية له حبل تُوفيت ، بقوله :
وَجَفَنُ سِلَاحٍ قَدْ رَزْتُ فَلَمْ أَنْخُ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيا
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ صَارِمٍ ذِي حَفِيزَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنَايا أَنْسَأَتْهُ لَيَالِيَا

وسمعتُ أبا الفضل عبد الله (٤) بن أحمد الميكالي في المذاكرة يقول : تقول العرب في الاستخبار عن الحبل والكناية عن

(١) مجاهد (21 - 104 هـ) : تابعي ومفسر من أهل مكة . أخذ التفسير عن ابن عباس واستقر في الكوفة .

(٢) سورة الأعراف ، الآية 189 .

(٣) الفرزدق (توفي سنة 110 هـ) : شاعر من النبلاء ، من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة . كان يقال : « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس . » وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، ومهاجاته لها أشهر من أن تذكر . وكان لا يُنشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعداً . وكان مشتهراً بالنساء . توفي في بادية البصرة وقد قارب المئة . (الأعلام 8 / 93) .

(٤) ذكر الثعالبي في اليتيمة أن اسم الميكالي هو عبيد الله ، وهو يذكره هنا باسم عبد الله . وقد أشار خير الدين الزركلي إلى هذا الخلاف بين المؤرخين في قاموسه . وأبو الفضل الميكالي (توفي سنة 436 هـ) : وقد تقدّمت ترجمته .

ولادتها : أَحَلَبَتْ نَاقَتَكَ أُمَ أَجْلَبَتْ . أَي ، أَتَتْ بِأَنْثَى فَتُحَلَبُ أُمَ بِذَكَرٍ
فَيُجَلَبُ لِلْبَيْعِ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ « جَرَابُ الدَّوْلَةِ » (٥) أَنَّ قَعْبَةَ قَالَتْ لِسَحَّاقَةٍ : مَا
أَطْيَبُ الْمَوْزَ، تُكْنِي عَنْ الْأَيْرِ، قَالَتْ : نَعَمْ، وَلَكِنْ يَنْفَخُ الْبَطْنُ، تُكْنِي عَنْ
الْحَبَلِ (٦) .

(٥) جَرَابُ الدَّوْلَةِ : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَوَيْهِ، مِنْ أَهْلِ سَجِسْتَانَ، وَيُكْنَى أَبُو الْعَبَّاسِ وَكَانَ
طَبِيبُورِيًّا وَأَحَدَ الظُّرَفَاءِ الطُّيَّابِ . كَانَ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ وَأَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي بُوَيْهِ، فَلِذَلِكَ سَمَّى نَفْسَهُ
سَجَرَابَ الدَّوْلَةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْتَخِرُونَ فِي التَّسْمِيَةِ بِالدَّوْلَةِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالرَّيْحِ أَيْضًا . وَلَهُ كِتَابُ
« تَرْوِيحِ الْأَرْوَاحِ وَمِفْتَاحِ السَّرُورِ وَالْأَفْرَاحِ » (وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي قَصَدَهُ الشُّعَالِيُّ) لَمْ يُصَنَّفْ
فِي فَنِّهِ مِثْلُهُ إِشْتِمَالًا عَلَى فَنُونِ الْهَزْلِ وَالْمُضَاحِكَةِ . (مَعْجَمُ الْأَدْنَاءِ ١٩٨/٤) .
(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَلْحَةُ فِي « مُحَاضَرَاتِ الْأَدْنَاءِ » لِلرَّاعِبِ الْأَصْبَهَانِيِّ ٢٧٣/٣ .

فصل في نوادر وملح في كُنَايَات هذا الباب

هَـهُنَا أَبْيَات مشهورة متنازعة منسوبة إلى جماعة من الجوّاري والغلمان
فمنهم قَيْنَةٌ رآها صديق لها ولما خلا بها استخشن العرض وتأذى بالشَّعْرة
فنبأ عنها وهجرها ثم إنَّها أصلحت من شأنها وكتبت إليه تقول :

فديتك سهلتِ الطريقُ الذي اشتكى جوادك فيه للحفى من خشونته
فأصبحَ بعد الحزنِ ميدانَ لذةٍ يجولُ كميْتُ ، اللهُو فيه للذَّته
فإن كنت ذا عزمٍ على أن تزورنا فبادرْ وعجلْ فالهلالُ ابن ليلته

ومن كناية مُجَّانٌ بغداد عن تلك الحال في فم القَيْنَةِ ليف (١) ، قال ابن
الحجاج (٢) :

أحنُّ إذا رأيتُ الكُسَّ (٣) ليلاً بجنبي وهو متوفُّ نظيفُ
ولستُ أعافه إن جاء يوماً وفي فمه وأعلا الرأس ليفُ
إذا سُمط الخروفُ أكلتُ منه ولستُ أعافه وعليه صوفُ

(1) الكميْتُ : لونٌ ليس بأشقر ولا أدهم من أسماء الخمرة فيها حمرة وسواد وتعني هُنا
الفرس .

(2) اللَّيف : قطعة من النَّخلة ، وتعني هُنا الخرفة

(3) تقدّمت ترجمته .

(4) الكُسُّ : من أسماء الفرج

وُحْكِي أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ (٥) أَرَادَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَا يُفْعَلُ
بِالْإِمَاءِ، فَقَالَتْ :

صَاعِدُ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صَاعِدُ لَسْتُ كَمَا اعْتَدْتُ مِنَ الْوَلَائِدِ (٥)

وُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَكَاسِرَةِ خَرَجَ مُتَصَيِّدًا فَتَفَرَّدَ عَنْ أَصْحَابِهِ فَإِذَا هُوَ
بِشَيْخٍ كَبِيرٍ يَعْمَلُ فِي أَرْضٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ يَا شَيْخُ : هَلَّا أَذْلَجْتُ فَيَكُونُ لَكَ مِنْ
يَكْفِيكَ ؟ فَقَالَ : أَذْلَجْتُ وَلَكِنْ ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ، فَقَالَ لَهُ : زِهْ (٦) ، فَلَمَّا
تَلَا حَقَّ بِالْمَلِكِ أَصْحَابَهُ أَعْطَى الشَّيْخَ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ.

أَرَادَ، هَلَّا نَكَحْتَ وَأَنْتِ شَابٌّ فَيَكُونُ لَكَ الْيَوْمَ مَنْ يَكْفِيكَ مِنْ
أَوْلَادِكَ، وَقَوْلُ [الشَّيْخِ] (٨) ، ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ، أَحَدُهُمَا
أَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ شَابَّةً وَلَوْ دُونَ الْآخِرِ أَنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ.

وَحْكِي الْمَازِنِي (٩) قَالَ : جَلَسَ نِسَاءُ ظُرَافٍ إِلَى بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ فَتَحَدَّثَ
وَتَحَدَّثْنَ ثُمَّ قَلْنَ لَهُ : لَوَدِدْنَا أَنَّكَ أَبُونَا، فَقَالَ : عَلَى أَنِّي عَلَى دِينَ كَسْرَى (١٠).

(٥) الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ (٨٨ - ١٢٦ هـ) : مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ .
عُيِبَ بِالْإِنْهَاكِ فِي اللَّهْوِ وَالْغِنَاءِ فَسَعَى عَلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقَتْلُوهُ . لَهُ شَعْرٌ رَقِيقٌ وَعِلْمٌ
بِالْمَوْسِيقَى . وَلَهُ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ أَتَى عَلَيْهَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ « الْأَغَانِي »
(٦) الْوَلَائِدُ : الْجَوَارِي الْمَمْلُوكَاتُ .

(٧) زِهْ : كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ تَفِيدُ الْاسْتِحْسَانَ تُقَابِلُهَا « بَخْ » فِي الْعَرَبِيَّةِ .

(٨) الْكَلِمَةُ الَّتِي بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ أَضْفَنَاهَا رَفْعًا لِلْإِتْبَاسِ .

(٩) الْمَازِنِيُّ (تُوْفِيَ سَنَةُ ٢٤٨ هـ) : لُغَوِيٌّ بَصْرِيٌّ مِنْ أَثَمَةِ النَّحْوِ . مِنْ مُصَنِّفَاتِهِ : « مَا يُلْحَنُ
فِيهِ الْعَامَّةُ » وَ « التَّصْرِيفُ » .

(١٠) كَانَ الْأَكَاسِرَةُ يَأْتُونَ بَنَاتَهُنَّ . انْظُرْ « الْإِمْتَاعُ وَالْمَوَاسِيَةُ » لِأَبِي حَيَّانٍ التَّوْحِيدِيِّ .

وَذَكَرَ ابْنُ الْمَعْتَزِ فِي « طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ » هَذِهِ الْقِصَّةَ بِتَفْصِيلٍ أَكْثَرَ، وَجَعَلَهَا ضَمْنِ أَخْبَارِ بَشَّارِ
بْنِ بَرْدٍ . قَالَ : « دَخَلَ الْمَهْدِيُّ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ جَوَارِيهِ، وَهُنَّ مُجْتَمِعَاتٌ فِي حَجَرَةٍ
بَعْضُهُنَّ، فَجَلَسَ عِنْدَهُنَّ يَشْرَبُ، فَقَلْنَ لَهُ : لَوْ أَذْنَتُ لِبَشَّارٍ فِي الدَّخُولِ عَلَيْنَا لَنَسَامَرَهُ =

وسمعتُ أبا نصر سهل بن المرزبان (١١) يقول في المذاكرة : سُئل بعض النساء التي كان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة (١٢) يشبّب بهنّ عن حالها معه ، فقالت : لعن الله ذلك الفاسق ، جمعي وإياه مكان كذا في خلوة كذا ، فحللتُ منه بواحد غير ذي زرع ، تُكَنّي عن عجزه عن النكاح .

ولما قال أبو الصّلت (١٣) وهو أعرف بالشعر لعلّ بن الجهم (١٤) :
لعمرك ما جهم بن بدر بشاعر وهذا عليّ بعده يدعي الشعرا
ولكنّ أبي قد كان جاراً لأمه فلما ادعى الأشعار أوهمني أمرا

استظرف الناس هذه الكناية وسار البيتان كلّ مسير، فقال عليّ : والله ما هو بأبي عذرة . هذا المعنى وإنّما نسج منوال ما دار بين الفرزدق وكثير (١٥) ،

= ونحادثه - وكان من أحسن الناس حديثا ، وأطرفهم مجلسا ، وأكثرهم ملحا - فأمر به فأحضر . واجتمعن عليه فحدّثهنّ ، وجعل يسرد عليهنّ من نوادره وملحه وينشدهنّ عيون شعره ، فسررن بذلك سرورا شديدا ، وقلن له : يا بشار، ليتك ألونا فلا نفارقك أبدا . قال : نعم ، وأنا على دين كسرى . فضحك منه المهدّي ، وأمر له بجائزة . » (ص . 33)

(11) تقدّمت ترجمته

(12) عمر بن أبي ربيعة (23 - 93) . أرقّ شعراء عصره ، وهو من طبقة جرير والفرزدق . ولم يكن في قریش أشعر منه . رُفِعَ إلى عمر بن عبد العزيز أنّه يتعرّص لنساء الحاجّ ويشبّب بهنّ ، فنفاه إلى « هلك » ثمّ غزا في البحر فاحتُرقت السفينة به وبمن معه ، فمات فيها غرقا . له ديوان شعر وكتب سيرته « أخبار عمر بن أبي ربيعة » لابن بسّام (الأعلام 52/5)

(13) أبو الصّلت : عبد السلام بن سالم الهرويّ : محدّث شيعيّ كان مخالطا للعامة وراويا لأخبارهم . حبسه المأمون بعد وفاة الامام الرضا ثمّ أطلق سراحه فعاد إلى هراة (الكُنّي والألقاب 1/100) .

(14) علي بن الجهم (توفّي سنة 249 هـ) : شاعر رقيق الشعر أديب ، من أهل بغداد . كان معاصرا لأبي تمام ، وخصّ بالمتوكل العباسيّ ، ثم غضب عليه المتوكل فنفاه إلى خراسان ، فأقام هناك مدّة . قُتل غازیّا . له ديوان شعر . (الأعلام 4/270)

(15) كثير عزة : (توفّي سنة 105 هـ) أبو صخر ، شاعر متيم مشهور من أهل المدينة . يذكر أنّه من غلاة الشيعة ويُنسب إليه القول بالتناسخ .

فسئل عن ذلك، فقال : بلغني أن كثيرا أنشد لنفسه قصيدةً
استحسنها السامعون وفيهم الفرزدق، فقال كثير : يا أبا صخر (16) هل
كانت أملك ترد البصرة ؟ فقال لا يا أبا فراس (17) ولكن كان أبي كثيرا ما يردها.

ومن خبيث الهجاء المشتمل على التصريح قول أبي الحسن بن طباطبا
العلوي (18) لأبي علي بن رستم (19)، وكانت حرمة تتهم بأذريون
غلامه :

يا رستمى لقد هوت بركة أصبحت تحمي حسنها وتصون
والعرس لاهية ببركتها التي يجري إليها الماء آذريون

سئل رجل عن امرأة فقال : فيها خصلتان من خصال الجنة يُكْنَى عن
البرد والسعة (20).

وحدثني أبو سعد نصر بن يعقوب (21) فقال : طلب رجل غريب
بيغداد امرأة حسناء يتزوجها، فقالت له دلالة : عندي هنا امرأة كأنها باقة

(16) في الأصل المطبوع « أبا ضحوك »، وما أثبتاه من « معجم الأعلام » للزركلي.

(17) أبو فراس : كنية الفرزدق.

(18) ابن طباطبا العلوي : محمد بن أحمد المتوفى سنة 322 هـ بأصفهان، وكانت له وطنا ولم
يتركها أصلا. وكان معجبا بشعر ابن المعتز. وكان من توسعه في القول وقهره لأبيه أنه نظم لبعض
أصحابه قصيدة طويلة خالية من حرفي الراء والكاف للثغة شديدة كانت في لسانه تعجزه عن
نطقها.

(19) أبو علي بن رستم : لم نفع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

(20) نسب الراعب الاصهاني هذه القولة في « محاضرات الأدباء » إلى عمر بن عثمان، ولعله
من أولاد عثمان بن عفان.

(21) نصر بن يعقوب الدينوري (توفي سنة 410 هـ) علم بالأدب، من كبار الكتاب. له
مصنفات منها « روائع التوجيهات من بدائع التشبيهات » و « تمار الأنس في تشبيهات العرس »
و « التعبير القادري » في الأعلام (الأعلام 29/8).

نرجس ، فخطبها وتزوجها فلما دخل ، إذ هي عجوز دميمة فدعا بالدلالة
وقرّعها على كذبها ، فقالت : ما كذبتك حين قلت كأنها باقة نرجس ، وإنما
كنيت عن صُفرة وجهها وبياض شعرها وخضرة ساقها .

ومن نوادر ما كُني به عن المرأة الخائنة لفراش زوجها قول ابن الرومي (22) ،
ويقال لأبي علي البصير (23) :

أنت يا شيخ نائم فتنبه وانتصحي فلست من غشاشك
لك أنثى تُزف في كل وكبر وتربى الفراخ في أعشاشك

والعامّة ، تكني عن استئناف المعاشقة ومعاودة المواصلّة بعد وقوع الفترة (24) ،
حدوث السّلوة بتسخين الرُّزِّ كما كتب بعضهم لعشيقة له :
خلوتُ بذكركم إذ غاب عني رقيبٌ كنتُ قدماً أتقيه
وبردت المقليل فدنك نفسي وتسخين الرُّزِّ يطيبُ فيه

وقال آخر :

ولستُ أحبُّ الرُّزَّ أوّلَ طبخه فكيف أحبُّ الرُّزَّ وهو مسخُنُ ؟

(22) تقدّمت ترجمته

(23) أبو علي البصير : لم نقع له على ترجمة .

(24) الفترة : الجفاء والمقاطعة والهجر .

الباب الثاني

في ذكر الغلمان والذكُـرَان ومن يقول بهم والكناية عن أوصافهم وأحوالهم

فصل في الاحتلام والختان

يكنى عن الختان بالطَّهر والتَّطهير.

ومن أَمَلَح ما سمعت في ذلك قول الصَّنوبري (١) :

أرى طهراً سيثمر بعد عرساً كما قد يثمر الطَّربُ المدامة
وما قلم بمغْنٍ عنك إلَّا إذا أَلْقَيْتَ منه كالقلامة

وما ينقضي تعجُّبي من حسن هذه الكناية وملاحة هذا التَّمثيل كما لا
يتناهى اعجابي بقول أبي إبراهيم اسماعيل بن أحمد العامري الشاشي (٢)
من قصيدة مدح بها فخر الدولة (٣) وكنى عن تطهيره ولديته بأحسن كناية،
وما أَظُنُّ أن أحداً خاطب ملكاً في معناه بأحسن وأبدع منه :

أَمَسَسْتُ شَبْلَكَ في حقِّ الهدى أَلْمَا لولا التَّقَى لسفكنا فيه ألف دمٍ
جَلَوْتُ سَيْفًا ليرتاح الشجاع وقد شَذَبْتُ غَصْنًا لينمي قامة النَّسَمِ (٤)

(١) الصَّنوبري (توفي سنة 334 هـ) : الحلبي الأنطاكي : شاعر إقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار. وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة. تنقل بين حلب ودمشق وجمع الصُّوِّي ديوانه في نحو 200 ورقة. (الأعلام 1/207).

(٢) الشاشي : شاعر، ذكر الثعالبي في « يتيمة الدهر » أنه من رواد الصَّاحب بن عبَّاد، وأنه أصيب بالفالج ولم يحدِّد تاريخ وفاته (382/3).

(٣) فخر الدولة : أبو الحسن علي بن ركن الدولة، تولى بعد أخيه مؤيد الدولة، وكان المطيع قد لقَّبه فخر الدولة ولقَّبه الطَّائع بفلك الدولة. توفي سنة 387 هـ.

(٤) ورد البيتان في « يتيمة الدهر » وهما من البسيط.

كما لا أحسب أن أحداً كُنِيَ عن احتلام الغلام بأحسن من قول
ابراهيم ابن العباس (5) في المنتصر (6)، وهو إذ ذاك وليّ عهد :

هذا هلالُ العهد قد أقمرَ بالمنتصرِ
وليّ عهدُ الناسِ وابنُ امامِ البشرِ
يا ليلةً نعدّها مضتْ لنا من صغرِ
أبدتْ هلالاً وانجلتْ مع صبحها عن قمرِ

ومما يُكنّى به عن القُلْفَة (7)، قول دُعْبِلِ (8) :

ما زال عصياننا لله يوبقنا حتى دُفَعنا إلى فتحِ ودينارِ
إلى علجين (9)، لم تُقطعْ ثمارهما قد طال ما سجداً للشمس والنارِ

ومن ظريف الكناية عنها ما قاله أبو سعيد بن دُوسْت (10) في غلام أُتِّهم

(5) ابراهيم بن العباس (176 - 243 هـ) : أبو إسحاق الصّولي، كاتب العراق في عصره .
نشأ في بغداد فتأدّب وقرّنه الخلفاء، فكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكّل، وتنقّل في الدّواوين
والأعمال إلى أن مات . من مصنّفاته : « ديوان رسائل » و« ديوان شعر » و« كتاب الدّولة »
و« كتاب العطر » و« كتاب الطّبخ » . (الأعلام 45/1) .

(6) المنتصر (223 - 248 هـ) . محمّد بن جعفر المتوكّل : تويج بالخلافة بعد أن قتل أباه،
وفي أيامه قويت سلطة الغلمان، فحرّضوه على خلع أخويه المعتزّ والمؤيد فخلعهما . وهو أوّل من
عدأ على أبيه من بني العباس . ولم تطل مدّته (الأعلام 70/6) .

(7) القُلْفَة : الغرلة، وهي جلدة الذّكر التي ألْبستها الحشفة، وهي التي تُقطع من ذكر
الصبيّ

(8) تقدّمت ترجمته

(9) العُلْجُ : الرّجل من كفّار العجم، يُقال للرّجل القويّ الضّخم منهم .

(10) أبو سعيد بن دُوسْت (توفيّ سنة 431 هـ : عالم بالعربيّة من أهل خراسان . أخذ اللّغة
عن الجوهريّ، وأخذ عنه الواحدي . له تصانيف، منها « ردّ على الزّجاجي » فيها استدركه على
ابن السّكيت في إصلاح المنطق وكان أصمّ . (الأعلام 326/3) .

بمَجْوسِي :

عجبت من حسنك يا جوهري ومن مخازي فعلك المنكر
ترك ما يُقَشَّر من فولنا وتبلغُ الفولَ ولم يُقَشَّرِ

فصل في الكناية عن الغلام الذي عبث به ووصف فراهيته وسائر أوصافه

ويُكنى عنه بالعلق والمطبوع والمعاشر والمواسي.

ويقال، فلان يجيب المضطر إذا دعاه وهو من مكروه الاقتباس الذي
نبّهت عليه في كتاب الاقتباس من القرآن. وفلان من الباب، كما قال ابن
طباطبا (1) :

عند صديق لنا من البابه يهيجُ للمستهام أطراؤه

وفلان من شرط يحيى بن أكثم (2)، كما قال الأستاذ الطبري :
يدورُ بها ساقٍ تدور عيوننا على عينه من شرط يحيى بن أكثم

(1) تقدّمت ترجمته

(2) يحيى بن أكثم (159 - 242 هـ) قاض رفيع القدر، عالي المكانة من نبلاء الفقهاء. ولي
قضاء البصرة، ثم قضاء القضاة ببغداد في عهد المأمون. وكان مع تقدّمه حسن العشرة، حلو
الحديث. وكان يُتهم بأمور شاعت عنه وتناقلها الناس في أيامه وتداولها الشعراء. توفي في الرّبعة.

ويحيى بن أكثم مشهور باللوطة (3).

وقد أحسن القاضي علي بن عبد العزيز (4) في الكناية عن شرط اللاطة بقوله من قصيدة كتبها إلى أبي القاسم علي بن محمد الكرخي (5) :

(3) كان يحيى بن أكثم يرمى باللوطة ، والأخبار في ذلك كثيرة ومشهورة . من ذلك ما جاء في كتاب « أخبار القضاة » لوكيع : « كان ابن زيدان الكاتب بين يدي يحيى بن أكثم يكتب ، فقرص خذّه وأحمر وجهه ورمى بالقلم ، فقال يحيى : خذ القلم واكتب :
أيا قمرا جمشته فتغضبا فأصبح لي من تبهه متجنباً
أما كنت للتجميش والعشق كارهاً فكن أبداً يا سيدي متنقياً
ولا تظهر الأصداغ للناس فتنة وتعمل منها فوق خديك عقرباً
فتقتل معشاقا وتفتن ناسكاً وتترك قاضي القوم صباً معذباً
وأورد الجرجاني في كتاب »
بيحيى بن أكثم :

أصبح دين الله نار رمه الله بينه ويحيى يهدمه
ألوط قاض في البلاد نعلمه مذولي الحكم أبيع حرمة
وانتهكت بين القضاة حرمة واضطربت أركانه ودعومة
يا ليت يحيى لم يلد له أكثمه ولم تطأ أرض العراق قدمه
ملعونة أخلاقه وشيئمة أي دواة لم يلقها قلمه ؟
وأي حجر لم يلجئه غيلمه ؟

ومن النواذر التي تروى عن يحيى بن أكثم ما أورده الراغب الاصبهاني في « محاضرات الأدباء » : « رأى يحيى بن أكثم في دار المأمون جماعة من صباح العلماء فقال : لولا أنتم لكنا مؤمنين ارفع ذلك إلى المأمون فعاتبه فقال : إن درسي كان إنتهى إلى هنا .

وفي يحيى بن أكثم يقول أبو نؤاس :

أنا الماجن اللوطي ديني واحد ولأني في كسب المعاصي لراغب
أدين بدين الشيخ يحيى بن أكثم ولأني لم يهوى الزنا لمجانب .

(4) علي بن عبد العزيز الجرجاني : تقدمت ترجمته .

(5) أبو القاسم علي بن محمد الكرخي : لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر .

فإن يك قد سلا وثناه عني رضاعُ الكأس أو ظبي ربيبُ
تسلطه النفوس على هواها وتعطيه أزمته القلوب
بأعطافٍ تباح لها المعاصي والحاظ تحل لها الذنوب
فلي كبّد به حرى وقلب على ما فيه من كمدٍ طروب

ومن مُلح أبي نواس (٦) في هذا المعنى قوله :

مرّ بنا والعيون ترمقه تجرح منه مواضع القبل
أفرغ في قالب الجمال فما يصلح إلا لذلك العمل

ولأبي سعيد دوست (٧) في ذكر ذلك العمل :

تعلّقه علّقاً (٨) كلحمِ الجمل وهذا الربيع أوان الحمل
فرأيتك مولاي في غيره إذا ما نشطنا لذاك العمل

وعلى ذكر ذلك العمل، فإن أبا الحسن بن فارس (٩) أنشد لرجل بشيراز
يعرف بالهمداني، وقد عاتب رجلاً من كتابها على حضوره طعاماً مرض
منه :

وقيت الردى وصروف العليل ولا عرفت قدماك الزلل
شكى المرض المجد لما مرضت فلما نهضت سليماً أبل
لك الذنب لا عتب إلا عليك لماذا أكلت طعام السفّل

(6) أبو نواس، الحسن بن هانئ : تقدّمت ترجمته .

(7) أبو سعيد بن دوست : تقدّمت ترجمته .

(8) العلق : الصبي الصغير يمض أصابعه .

(9) ابن فارس (329 - 395 هـ) : من أئمة اللغة والأدب . أضله من قزوين، وأقام مدة
في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها . من تصانيفه : « معجم مقاييس اللغة » و « المجل »
و « الصّاحبي » في علم العربية، ألفه لخزانة الصّاحب بن عباد . (الأعلام 1/ 193) .

طعامٌ يُسَوَّى ببيعِ النبيذِ ويُصلَحُ من جَذْرِ (10) ذاك العمل

ومن كُنَايَاتِ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُم لِلْغُلَامِ الصَّبِيحِ شَاهِدٌ، وَمَعْنَاهُمْ فِيهِ أَنَّهُ لِحُسْنِ صُورَتِهِ شَهِيدٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ أَشْمُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ.

وَيُحْكِي أَنَّ أَصْحَابَ أَبِي عَلِيٍّ الثَّقَفِيِّ (11) تَحَامَوْا لِفِظَةِ الشَّاهِدِ بَيْنَ يَدَيْهِ هَيْبَةً لَهُ فَتَوَاصَوْا فِيهَا بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا لِلْغُلَامِ الصَّبِيحِ حُجَّةً. فَاتَّفَقَ أَنَّهُمْ صَحَبُوهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَتَرَاىَ لَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ غُلَامٌ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : حُجَّةً، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ لَا يَفْطِنُ لِمُغْزَاهُ، فَلَمَّا قَرُبَ الْغُلَامُ مِنْهُمْ كَانَ غَيْرَ مَلِيحٍ، فَالْتَفَتَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : دَاخِضَةٌ.

وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْفُقَهَاءِ يَنْسِبُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ الْمُرُوزِيِّ (12) وَنَظِيرَهَا مَا يُرَوَّى أَنَّ شَبَابَنَا مَشَوْا مَعَ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ (13) فَكَانُوا إِذَا رَأَوْا امْرَأَةً جَمِيلَةً قَالُوا بَيْنَهُمْ : قَدْ أَبْرَقْنَا، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ لَا يَفْطِنُ لِمُغْزَاهُمْ فَرَأَوْا قُبَّةً مَجَلَّلَةً (14) فَقَالَ أَحَدُهُمْ : بَارِقَةٌ، وَانْكَشَفَ جَلَالُ الْقُبَّةِ عَنْ امْرَأَةٍ قَبِيحَةٍ، فَقَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ : يَا أَخِي هَذِهِ صَاعِقَةٌ.

(10) جذر : الثمن.

(11) لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

(12) أبو إسحاق المُرُوزِيُّ (توفي سنة 340 هـ) : فقيه انتهت إليه رئاسة الشافعية بالعراق بعد ابن سريج . مولده بمرور وأقام ببغداد أكثر أيامه . وتوفي بمصر من تصانيفه « شرح مختصر الزنى » (الأعلام 28/1) .

(13) ابن المنكدر : (54 - 130 هـ) : زاهد من رجال الحديث، من أهل المدينة . أدرك بعض الصحابة وروى عنهم . له نحو مئتي حديث . (الأعلام 112/7) .

(14) المجلل : السحاب الذي يُجَلَّلُ الأرض بالمطر، أي يعم

ومن مليح الكناية عن الغلام المخنث قول سعيد بن حميد (15) :
أَلَسْتُ ترى ديمةً تهطلُ وهذا صباحك مستقبلُ
وهذا المدام وقد راعنا بطلعته الشَّادُنُ (16) الأكلُ
فبادِرْ به وينا سكرةً تُهَوِّنُ أسبابَ ما نَسألُ
فإِنِّي رأيتُ له طُرةً (17) تدلُّ على أنه يفعلُ

وأنشدت للحسن المروزي (18) الضَّرير في غلام نصراني :
وما أنسَ لا أنسَ ظبيَ الكناسِ يريدُ الكنيسةَ من دارِهِ
فيا حَسَنَ ما فوقَ أزراره ويا طيبَ ما تُحتَ زُنَّارِهِ

وكتب السَّريُّ الموصلي (19) إلى صديق له سرِّيَّة (20) في يوم الشُّكِّ
ويصف ما عنده من الملاهي :

(15) سعيد بن حميد : (توفي سنة 250 هـ) : كاتب مُترسِّل من الشعراء أصله من أبناء
الدَّهَّاقين ومولده ببغداد. قلَّده المستعين العباسي ديوان رسائله. أكثر أخباره مناقضات له مع
فضل الشَّاعرة. وشعره رقيق، كان ينحويه منحى ابن أبي ربيعة وأضرابه. جمع أحمد السَّامرائي
البغدادِي « رسائله وأشعاره » (الأعلام 94/3).

(16) الشَّادُن : ولد الظُّبي .

(17) الطُّرة : النَّاصية .

(18) الحسن المروزي الضَّرير : ذكره الثَّعالبي في « يتيمة الدَّهر » ولم يُترجم له

(19) السَّريُّ الرِّفَّاء الموصلي (توفي سنة 366 هـ) أديب من أهل الموصل، كان في صباه يرفو
ويطرزُ فُعرف بالرفاء. قصد سيف الدَّولة فمدحه وأقام عنده مدَّة. ثمَّ انتقل بعد وفاته إلى بغداد
ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، ونفق شعره إلى أن تصدَّى له الخالديان، فكانت بينه وبينهما
مهاجاة فأذياه وأبعدها عن مجالس الكبراء، فضاعت دنياه واضطرَّ للعمل في الوراقة. وركبه
الدِّين، ومات في بغداد على تلك الحال. من مصنفاته : « المحبَّ والمحبوب والمشموم
والمشروب. » (الأعلام 81/3).

(20) السَّرِّيَّة : الجارية المتَّخِذة للملك والجماع.

غداة الشك ندعوك إلى السراح تغاديهما
وعندي قينةٌ تُعطيك درّ القول من فيها
إذا دغدغت العودَ حسناً يُناغيها
وراحُ كُلِّتٍ بالطيب من أنفاس ساقيهما
ورودٌ كخدود الغيدِ تُحكِيه ويحيها
وعلق (21) يحمل الرؤية لا غشا وتمويهها
وللصاحب:

إن ابن مسرور فتى كاتب يأخذ من كل صديق قلم
مستحسن الشارة ذا شارة من أحذق الناس بحمل العلم
ولبعض العصريين من أهل نيسابور:
أرسلت في وصف صديق لنا ماحقةً كُتبت بالعسجد (22)
في الحسن طاووسٌ ولكنه أسجد في الخلوة من هُدهد 23

ولم أسمع أحسن وأبدع من قول أبي الحسن الجوهري الجرجاني (21)
لبعض الأجلة يتوسل إليه بخدمته في صباه ويكني عن المعنى اللفظ
كناية:

ألا يا أيها الملك المعلي أنلني عطاياك الجزيلة

(21) العلق: الثوب الكريم أو الترس أو السيف النفيس من كل شيء، سمي به لعلق القلب به. والعلق أيضا الخمرة لنفاستها.

(22) العسجد: الذهب، وقيل هو اسم جامع للجواهر كله من الدر والياقوت.

(23) نسب الجرجاني في كتاب الكنايات البيت الأخير إلى أبي مصور الثعالبي

(24) أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري: قال عنه الثعالبي في «اليتيمة»: «نجم جرجان، وهو من صنائع الصّاح وندمائهم وشعرائه». كان الصّاح يصرفه في الأعمال والسّفارات، توفي في جرجان. (يتيمة الجدهر، 4/29، 32)

لعبدك حرمةً والذكر فحش فلا تُحوجُ إلى ذكرِ الوسيلة (25)

ومما يُستملح للمطراي الشاشي (26) ما كتبه إلى صديق له رأى عنده غلاماً :

رأيتُ ظبيًا يطوفُ في حرمك أغنَّ (27) مستأنساً إلى كرمك
أطمعني فيه أنه رشأ (28) يرشي ليغشى وليس من خدمك
فاشغله في ساعةٍ إذا فرغ ت دواته إن رأيت من قلمك (29)

ومن مליح ما كُني به عن الغلام الوسيم غير الجسيم قول الجهماز (30) :

ظبيك هذا حسنٌ وجهه وما سوى ذاك جميعاً يُعابُ
فأفهم كلامي يا أخي جملة لا يشبه العنوانُ ما في الكتابِ

ولغيره في معناه :

أُتيح لي يا سهلٌ مستظرفٌ تقتلني الحاظه السّاحرة
ما شئت من دُنيا ولكنه مُناقٍ لست له آخرة

(25) الأبيات في اليتيمة وهي من الوافر.

(26) المطراي الشاشي : قال عنه الثعالبي في اليتيمة : « شاعر الشاش وواحدّها . كان يرد الحضر بالمدح وينصرف بالمنح . وله شعر مُدُون كثير اللطائف » . (115/4) .

(27) الأغنَّ : من الغنّة : صوت فيه ترخيم نحو الحياشيم ، تكون من نفس الأنف ، والأغنّ الذي يخرج كلامه من خياشيمه .

(28) الرّشأ : الظبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أجمه ، والجمع أرشاء .

(29) الأبيات في اليتيمة وهي من المنسرح .

(30) الجهماز : شاعر أديب من أهل البصرة . كان ماجنا خبيث اللسان . دخل بغداد في أيام الرّشيد وفي أيام جعفر المتوكل ، وكان المتوكل قد كتب في حمله إليه . (الكنى والألقاب 151/2) .

وفي مثل ذلك قال الظرفاء نثرًا ليس وراء عبادان إلا الخشبَات فنظمه
أبو نصر سهل بن المرزبان (31) فقال :

يا غزالاً وجهه كالبدْر تجلّو الظلماتِ
ذقتُ من فيه ومن قبلته ماء الحياتِ
ليس لي من بعد عبادان إلا الخشبَاتِ

وسمعت بعض العامة يقول بالفارسيّة في وصف غلام يأخذ من دُبُرِه
وينفق على قبله . فلان يُذيب الألية على الشحم .

ثم سمعت بعض العامة يقول في ذلك : فلان يُنفق من طُستِه على
إبريقه .

وبلغني أن بعض أصحاب البريد بنيسابور كتب إلى الحضرة ببخارى
في إنهاء ما شجر (32) بين بعض المشايخ بها وبين أحد القواد الأتراك ، فقال
في حكاية ذلك وأنه قال له : يا مؤاجرًا ، فلما نظر وزير الوقت في هذه
اللفظة أنكرها وأكبرها وصرف صاحب البريد عن عمله ، فلما ورد بخارى
وحصل في مجلسه قرّعه على تلك السقطة وويّخه وقال له : هلا صُنّت
حضرة السلطان عن مثل تلك اللفظة المقدعة ؟ فقال : أيد الله الشيخ
الجليل ، فما كنت أكتب إذا وقد أمرت بإنهاء الأخبار على وجوهها .
فقال : أعجزت ويحك أن تُكنّي عنها فتقول شتمه بما يشتم به الأحداث أو
كلامًا يُؤدّي معناه ؟ .

(31) تقدمت ترجمته

(32) شجر . جدّ وحدث

فصل في الكناية عما يتعاطى منهم

حكى المبرد (1) قال : كان سليمان بن وهب (2) يكتب لموسى بن بَغَا (3) ويتعشّق مملوكاً لموسى ولا يرى به الدّنيا، فخرج موسى ذات يوم متصيّدًا ومعه أبو الخطّاب الكاتب (4)، فورد عليه أمر احتّاج فيه إلى سليمان فأمر أن يُستدعى، فقال أبو الخطّاب لذلك الغلام : بادر إلى سليمان فأحضره، فركض إليه فلما حصل بين يديه تلطّف له سليمان حتّى نال ما أحبّ منه ونهض معه إلى مُتصيّد موسى وامْتثل أمره. فلما كان من الغد كتب إليه أبو الخطّاب :

لا خير عندي في الخليلِ ينامُ عن سَهَرِ الخليلِ
قولا لا كفر من رأيـ ت لكلّ معروفٍ جليلِ

(1) المبرد (211 - 285 هـ) لغويّ ونحويّ بصريّ . حاص عديد المناظرات اللّغويّة مع ثعلب رأس المدرسة الكوفيّة . من تصانيفه « الكامل » و « المقتضب » .

(2) سليمان بن وهب (توفي سنة 272 هـ) : وزير، من كبار الكتاب . من بيت كتانة وإنشاء في الشّام والعراق . ولد ببغداد، وكتب للمأمون وهو اس 14 سنة . وولي الوزارة للمهتدي بالله . ونقم عليه الموفق بالله فحبسه، فمات في حبسه . له « ديوان رسائل » . وكان من مهاخر عصره أدبا وعقلا وعلميا . ولأبي تمام والبحري مدح له ولأهله (الأعلام 137/3)

(3) موسى بن بعا . أحد القادة الأتراك الكبار، وهو اس حالة المتوكّل . قاد حيوشا عدّة لمحاربة العصاة .

(4) أبو الخطّاب الكاتب . لم نقع له على ترجمة

هل تشكرون لي الغداة تلطفي لك في الرسول
إذ نحن في صيد الجبال وأنت في صيد السهول

ومثل هذه الكناية أحسن من كناية ابن الرومي (5) في قوله :
هل مانعي حاجتي مليح من خلقه البعض واللجاجة
فإنما حاجتي إليه حاجة ديك إلى دجاجة

وقد مرت بي أبيات لابن المعتز (6) في نهاية الملاحاة يشتمل البيت الأخير
منها على كناية مستظرفة جدًا وهي :

وشادين	أفسد	قل	بي بعد حسن توبته
جاء	بجيش	الحسن	فقي عديده وعدته
فماتت	(7)	التوبة	لما أن بدا من هيته
وجاء	ابليس	يهم	نبي نظري بطلعتيه
ولم (8)	يزل	يذكرني	ربّي وعفو قدرته
وقال لي :	ما قبله ،	وغيرها (9)	في رحمته (10)

(5) تقدّمت ترجمته

(6) ابن المعتز : (249 - 296 هـ) عبد الله بن المعتز ، الخليفة العبّاسي . ولد في بغداد ونشأ فيها بعيدا عن البلاط ودسائسه ، حتّى استخلف المقتدر وثار عليه بعض رؤساء الجند والكتاب ، فخلعوه وحملوا ابن المعتز إلى العرش وبايعوه بالخلافة ولقبوه المرتضى بالله ، غير أن خلافته لم تدم إلا يوما وليلة ثم فاز به المقتدر وقتله . من مصنفاته : « طبقات الشعراء » وله ديوان شعر .

(7) في الديوان « وماتت » .

(8) في الديوان « فلم »

(9) في الديوان « ما قلته وغيره » .

(10) الأبيات من قصيدة ، في الديوان ، بعنوان « سلاح اللحط »

وعلى ذكر القُبلة فقد أنشدت أبياتا لرزين العروضي (11) فيها كناية لطيفة عما يتبع القُبلة وهي :

إني من حبك يا سيدي في خطّة هائلة صعبة
وقد أذنت اليوم في قبلة راعيت فيها حرمة الصّحبة
كأنني إذ نلتها خلة قبلت ركن البيت ذي الحجة
والركن قد فزت بتقبيله فكيف لي أن أدخل الكعبة ؟

ومن ظريف الكناية عن القُبلة ما أنشدنيه أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي (12) لعبد الله بن النّجم (13) :

شكى إليك ما وجد من خانه فيك الجلد
حيران لو شئت إهتدي ظمان لو شئت ورد

ومن حُسن الكناية عن العُدول عن مباشرة النّسوان إلى مفاخدة الغلمان قول بعضهم :

لا أركب البحر ولكنني أطلب رزق الله في السّاحل

وأبداع ما سمعت في معنى الضيق والسّعة بأحسن كناية وألطف عبارة ما أنشدنيه أبو نصر أحمد بن براكويه الزنجاني (14) لنفسه في غلامه يوسف :

(11) رزين العروضي (توفي سنة 247 هـ) شاعر، كان يأتي بأوزان غريبة من العروض - ناحيا نحو أستاذه عبد الله بن هارون - فأتى ببدايع جمة . وهو من موالي طيفور خال المهدي . وكان يكثر من ريادة عبان الشاعرة، جارية النّاطقي، وله معها أخبار ومعارضات . (الأعلام 20/3) .

(12) تقدمت ترجمته

(13) عبد الله بن النّجم : لم نفع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر .

(14) أبو نصر أحمد بن براكويه الزنجاني المعروف بالثلول : قال عنه الثعالبي في اليتيمة : « كل ما سمعت من شعره ملح وطرف، وبكت لا يسقط منها بيت . » (471/3)

مضى يوسفُ عنا بتسعين درهماً وعاد وثُلث المال في كفِّ يوسفِ
فكيف يُرجى بعد هذا صلاحُه وقد ضاع ثُلثا ماله في التصرف؟ (15)

ونظير هذه الحكاية في فحش المعنى وطهارة اللفظ ما أنشدنيه أبو جعفر
مُحمَّد بن موسى الموسوي (16)، قال أنشد محمد بن عيسى الدامغاني (17)،
ولم يسمَّ قائله :

تذكر إذ أرسلته بيدًا فيك فوافاني فرزانا (18)

ومن عادة الشطرنجيين إذا تفرَّزن بيدق لهم في الرقعة أن يعلموا عليه بما يتميز
معه عن سائر البيادق، فقد كنى هذا الشاعر عن ذلك الشيء أنه دخل وهو نظيف
وخرج وهو مُعلم قدير.

ومن نادر الكناية عن أتيان الغلام ما أنشدنيه القاضي أبو بكر البستي (19)
للسري الموصلي (20) من أبيات :

أنخت في حانة أترجة (21) وحبذا السكر بها من مناخ
يصافح الخمر بها نفسها ونبذُ النسل بها في السباح

(15) البيتان في اليتيمة، وهما من الطويل.

(16) لم نعثر له على ترجمة

(17) محمد بن عيسى الدامغاني : قال عنه الثعالبي في اليتيمة : « تضرب به الأمثال في حسن
الخط والبلاغة وأدب الكتابة والوزارة (143 / 4) » .

(18) فرزان : من لعب الشطرنج، أعجمي مقرب وجمعه فرازين. والفرزان في الشطرنج الملكة.

(19) أبو بكر البستي : لم نهتد إلى ترجمته .

(20) تقدمت ترجمته

(21) الأترج والأترنج : شجر حمضي ناعم الأغصان والورق والثمر، حامض كالليمون، وهو
ذهبي اللون، ذكي الرائحة .

فأنظر كيف كُنِّي عن اللّواطة بالبذر في سباح لا تُنبتُ.

ومن مشهور ما يليق بهذا الفصل قول بعضهم :
من كلّ شيء قَضَتْ نفسي مآربها إلّا من الطّعن بالقِثَاء (22) في التّين
لا أغرس الدّهر إلّا في مشرقه ولا يجوّز (23) إلّا تحت سرقين (24)

وأشدني أبو الفتح البستي (25) لنفسه :
أفدي الغزال الذي في النّحو كلّمني منظرًا فاجتنيبت الشّهد من شفّته
وأوردَ الحججَ المقبُولَ شاهدُها محققًا ليريني فضل معرفته
ثمّ افترقنا على رأيٍ رضيتُ به فالرّفْع (26) من صفتي والنّصب من صفته

يعني أنّه كان فاعلاً والفاعل مرفوع والغزال مفعولاً به منصوب ولأبي
تمام (27) فيما يقاربه :

(22) القِثَاء : نوع من الخيار

(23) كذا في الأصل المطبوع ولم نهند إلى كيفية تصويبها، والأرجح أنها « أجور » من اجتاز.

(24) السّرقين والسّرقين : ما تدمل به الأرض

(25) تقدّمت ترجمته.

(26) الأبيات في اليتيمة وهي من البسيط وفي هذا المعنى أورد الراغب الأصبهاني في « محاضرات الأدباء » النّادرتين التّاليتين : « رؤي مُعلّم ينيك صبيّاً قائماً فقليل له : لم لم تُنمه ؟ فقال : وقع عليه الفعل فانتصب. ورؤي آخرُ على ظهر غلامٍ فقليل له : ما تصنع ؟ قال : أردت أن أريه بابَ الفاعِل والمفعول، فقالوا : وما هذا السّدي بينكما ؟ قال : حرف جاء لمعنى. » (245/3)

(27) أبو تمام (188 - 231 هـ) : أحد أمراء البيان. ولد سورية واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقّده على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي جريد الموصل، فلم يُتمّ سنتين حتّى توفي بها. في شعره قوّة وجزالة. واختلف في التفصيل بينه وبين المتنبّي والبحتري. من تصانيفه : « فحول الشعراء » و« ديوان الحماسة » و« ونقائص جرير والأخطل ». (الأعلام 165/2)

وكنْتُ أدعوك عبدَ الله قبل فقد أصبحتُ أدعوك زيدًا غير محتشمٍ
سمحتُ جودًا بما قد كنتُ تمنعه ما كلُّ جود الفتى يدعو إلى الكرمِ

وله :

ما كان في المخدع من أمركم فإنه في المسجد الجامع
يا طولَ فكري فيك من حاملٍ صحيفةً مكسورة الطابعِ

وأما قول ابن المعتز (28) :

وجاءني في قميص الليل مستترا، يستعجل الخطو من خوفٍ ومن حذرٍ
فقمْتُ (29) أفرش خدي في الطريق له ذلاً، وأسحبُ أذيالي على الأثرِ
وكان ما كان مما لستُ أذكره، فظنُّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ (30)

فهو كناية عن التصريح .

ومثله لعبد الصمد بن المعدل (31) :

وإذا هبت النفوسُ اشتياقاً وتشهياً الخليلُ قرب الخليلِ
كان ما كان بيننا لا أسميه ولكنه شفاء الغليلِ

ولبعض أهل العصر، والمراد هو البيت الأخير :

صفحتُ لدُهري عن جميع هِناته وعددت يومَ الباغِ أسنى هباته

(28) تقدمت ترجمته

(29) في الأصل المطبوع « فَبِتُّ » ، ولا يستقيم به المعنى ، وما أتبتناه من الديوان .

(30) هذه الأبيات من قصيدة بعنوان « دِيرُ عَبْدِ دُون » ، وجاء فيها قبل البيت الأخير :

ولاح ضوءُ هلالٍ ، كاد يفضحنا ، مثل القلّامة قد قرّت من الظفر

(31) عبد الصمد بن المعدل (توفي سنة 240 هـ) من شعراء الدولة العباسية . ولد ونشأ في

البصرة . كان هجاءاً ، شديد العارضة ، سكيراً خميراً .

وقابلت أشجاراً هناك بقْد من تعطل غصن البان عن حركاته
ونحجل ورد الباغ عند طلوعه ويعذله بالورد في وجناته
ويسجد نور الأقحوان لثغره ويقصر نشر الورد عن نفحاته
ولما دجى الليل استعاد سنا الضحى بوجه جميع الحسن بعض صفاته
فيا لك من ليل رقيق ظلامه بتأليف شمل الأنس بعد شتاته

ومن رديء هذا الفصل قول بعض الفضلاء :

إنني إذا حان سُكْرِي وكان وقْتُ مقيلي
أدخلت إصبع بطني في عين ظهر خليلي

ومن جيد الكناية عن التّفخيز (32) قول أبي نواس (33) :

وغزال تشره النفس إلى حبل إزاره
بسطته سورة النّاس لنا بعد ازوراره
فأطفنا بحوائيه ولم نعرض لداره

(32) التّفخيز . وضع الذّكر بين الفخذين ، ولا يكون مع ذلك إيلاج ومن جيّد ما أورده
الرّاعب الاصبهاني ، في هذا المعنى ، عن جراب الدّولة أنّ غلاماً « وافق رجلاً إن أدخله بدرهمين
وإن فاحذ بدرهم . فدفع له درهما وأدخله فيه ، فتحاكما إلى القاضي ، فقال الغلام : أيّها
القاضي ، أكريتُ هذا حمّاراً على أنّه إن ذهب به إلى باب المدينة فعليه درهم ، وإن أدخله المدينة
فدرهمان ، فدخل المدينة ولم يوفني الدرهمين . فقال الرّجل : إنّي أتيت بالحمار إلى باب المدينة
ولكنّه دخل بغير إذني فقال القاضي : زن الدرهمين ، فخير الأمور أوسطها . » (محاصرات
الأدباء 250/3)

(33) تقدمت ترجمته .

فصل في الكناية عن اللواط وأهله

إذا كان الرَّجُل يقول بِالْغِلْمَانِ دون النِّسوان قيل : فلان يُؤَثِّرُ صَيْدَ الْبَرِّ
على صَيْدِ الْبَحْرِ. فلان يقول بِالْطَّبَّاءِ ولا يقول بِالسَّمَكِ. وفلان يحبُّ
الْحَمْلَانَ وَيُبَغِضُ النَّعَاجَ. قال أَبُو نَوَاسٍ :
إِنِّي أَمْرُو أَبْغَضُ النَّعَاجِ وَقَدْ يَعْجِبُنِي مِنْ نَتَاجِهَا الْحَمْلُ (١)

وَفُلَانٌ يَمِيلُ إِلَى مَنْ لَا يَحِيضُ وَلَا يَبِيضُ. (٢) قال الشَّاعِرُ :
جَعَلْتُ فِدَاكَ مَا اخْتَرْنَاكَ إِلَّا لِأَنَّكَ لَا تَحِيضُ وَلَا تَبِيضُ
وَلَوْ مِلْنَا إِلَى وَضَلِ الْغَوَايِ لَضَاقَ بَنَسْلُنَا الْبَلَدُ الْعَرِيضُ

(١) وَنَمَامُ الْأَبْيَاتِ كَمَا فِي « أَخْبَارِ أَبِي نَوَاسٍ » لَا بِنِ مَنْظُورٍ :

يَعْجِبُنِي الْأَمْرَدُ الطَّرِيرُ أَبْصَرْتُهُ مَخْطُفًا لَهُ كَفَلُ
حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَ لَحِيَّتَهُ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَمَلُ
إِلَّا سَلِيمَانُ إِنَّهُ رَجُلٌ يَحِلُّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْقُبْلُ

(٢) وَفِي هَذَا الْمَعْنَى، جَاءَ فِي « مَحَاضِرَاتِ الْأَدْبَاءِ » (٢٤٣ / ٣) : « قِيلَ لِأَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ
الدَّوْلَةِ : مَا أَلَذَّ الْعَيْشُ ؟ قَالَ : طَعَامُ أَهْبَرٍ وَمَدَامُ أَصْفَرٍ وَغَلَامُ أَخَوْرٍ ؟ فَقِيلَ لَهُ : لَمْ قَدِّمْتَ
الْغَلَامَ عَلَى الْجَارِيَةِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ فِي الطَّرِيقِ رَفِيقٌ، وَفِي الْإِخْوَانِ نَدِيمٌ، وَفِي الْخُلُوةِ أَهْلٌ. وَقِيلَ
لِعَافِيَةِ الْقَاضِي . لَمْ اخْتَرْتَ الْغَلَامَ عَلَى الْجَارِيَةِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّهُ لَا يَحِيضُ وَلَا يَبِيضُ.
وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي مَعْنَاهُ :

وَمَأْمُونٌ يَحْمَدُ الْجَلَّةَ مِنْهُ الطَّمْثُ وَالْحَبْلُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْغَلَامُ اسْتَطَاعَةُ الْمَعْتَزَلَةِ لِأَنَّهُ يُصْلَحُ لِلضَّدِّينِ، يَفْعَلُ وَيُفْعَلُ بِهِ، وَالْمَرَأَةُ
اسْتَطَاعَةُ الْمَجْرَةِ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِأَحَدِ الصَّدِّينِ »

وفلان يكتب في الظهور، وفلان يحب الميم ويُبغض الصاد.

وقد أساء ابنُ الرّومي (3) في قوله :
بغضي لصادٍ شهيرٌ، إنني رجلٌ أَصفي المودّة مني للحواميمِ
وليس بغضي لقرآنٍ ولا مقّي إياه لله بل للصاد والميمِ.

وقال آخر :

لعجمُ الصاد أَرْضَى الله قَدَمًا وعبد الله يعجمُ كلَّ ميمٍ.

ويقال، فلان من العطارين والعطار (4) كناية عن الكِنَاس (5) في كثير من البلدان. قال أبو اسحاق الصابي (6) في ذمّ اللّاطة :

لحاجة المرء في الأدبار إدبارٌ والمائلون إلى الأخرافِ أحرارُ
كم من نظيف ظريف بات ممتطيًا ظهرَ الغلام فأضحى وهو عطارُ

فإذا كان يقول بالمرء (7) الجرد (8) قيل شرطه أهل الجنة لأن النبي ﷺ قال في وصفهم : جُرْدٌ مُرْدٌ مَكْحُولُونَ (9).

فإذا كان يقول بالصغار دون الكبار قيل : فلان يؤثر السّخال على الكباش.

(3) تقدمت ترجمته .

(4) العطار : بائع العطر، وحرفته العطارة .

(5) الكناس : مؤلج الوحش من الطّباء والبقر، وهو هنا بمعنى الكنيف .

(6) تقدمت ترجمته .

(7) المرْدُ : من المرء وهو نقاء الخدين من الشعر ونقاء الغض من الورق . والأمرد : الحشاب الجذبي بلغ خروج لحيته وطرّ شاربه ولم تبدُ لحيته .

(8) جُرْدٌ : واحد أجرد . لاشعر عليه ، وفي صفة أهل الجنة حُرْدٌ مُرْدٌ مُتَكَحِّلُونَ .

(9) مكحولون : كذا في الأصل المطبوع ، وفي اللسان مُتَكَحِّلُونَ : من الكحل في العين وهو أن يغلو منابت الأشجار سواد مثل الكحل من غير كحل .

ويُروى أنَّ حماد عجرد (10) لما قعد لتأديب ولد العباس بن محمد (11)،
قال بشار بن برد (12) :

قل للأمير جزاك الله صالحاً لا يجمع الدهر بين السخل (13) والذئب
السخل غرُّ وهم الذئب غفلته والذئب يعلم ما بالسخل من طيب
وقال أيضاً :

يا أبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم
إنَّ حماد عجرد شيخ سوء قد اغتلم (14)
بين فخذه حربة في غلاف من الأدم (15)
وهو إن نال فرصة مسح الميم بالقلم

فلما شاعت الأبيات أمر العباس بإخراج حماد.

ونظير هذه السعاية قول أبي اسحاق الصابي (16) في كتاب :
يا أبا الفضل استمع قول امرئ يصفيك حياً
سرح غلمانك قد أصبحوا للسرّحان نهياً

(10) تقدّمت ترجمته

(11) العباس بن محمد (121 - 186 هـ) أخو السفاح والمنصور. ولي دمشق وبلاد الشام
والجزيرة. ومات ببغداد.

(12) بشار بن برد : تقدّمت ترجمته.

(13) السخلة : ولد الشاة من المعز والضأن، حكراً كان أو أنثى والجمع سخل وسُخَلان.

(14) اغتلم : من الغلّة : وهي شهوة الضراب. غلم الرجل إذا هاج وغلب شهوة.

(15) الأدم : الجلد

(16) تقدّمت ترجمته.

وكان لابن سكرة الهاشمي (17) غلام يشتشرطه، فلما كبر أخرجه من داره، فقيل له في ذلك، فقال :

ما تركناه وفيه لمحِبُّ من طبَّاخٍ
هَدَرَ الطَّيْرُ ومن عادتنا أكلُ الفراخِ (18)

وإذا كان الرَّجل يقول بالصَّغار والكبار قيل، فلان يضطاد ما بين الكرَّكي (19) إلى العندليب.

فإذا كان يقول بالزنا واللواط كلاهما قيل، فلان يصيد الطَّيرين ويقبض الدِّيوانين، وفلان قلم برأسين ويُنشد :

أي دواةٍ لم يلقها قلمه وأيُّ سطحٍ لم ينله سلَّمه

فإذا كان يأتي ويؤتى قيل، فلان لحافٌ ومَضْرِبَةٌ (20)، وفلان يذعن للقصاصِ فطُورًا سَقَفَ وطُورًا أرض.

فإذا كان يقول بحُسن الوجه دون الجسامة قيل هو يقول بالدُّنيا دون الآخرة.

[وإذا كان يقول (21) بهما جميعا قيل هو يقول بالآخرة ولا ينسى نصيبه من الدُّنيا.

فإذا جمع الغلام هاتين الصِّفتين قيل هو دنيا وآخرة.

فإذا كان وسيئًا غير جسيم قيل هو منافق وقد تقدّم ذكره.

(17) ابن سكرة الهاشمي . (توفي سنة 385 هـ) شاعر بغدادي مشهور، متَّسع الباع في أنواع الابداع، فائق في قول الطَّرْف والمُلَح على الفحول، جارٍ في ميدان السَّخف والمجون .

(18) البيتان في اليَتِمة وهما من مجرَّء الرَّمَل .

(19) الكرَّكيُّ : طائر كبير طويل العنق والسَّاقين، أتر الذَّنْب، يأوى إلى الماء أحيانًا .

(20) مَضْرِبَةٌ : صيغة مبالغة من ضَرَبَ بمعنى نُكَح .

(21) ما بين حاصرتين أضفناه ليستقيم التَّركيب .

فصل في الكناية عن خروج اللّحية مدحًا وذمًا

كان أبو نواس يقول تزودوا من لذة لا تُوجد في الجنة يُكنّى عن إثيان المختطين⁽¹⁾ لأنّ أهل الجنة جرد مرّد كلهم.

وفي كتاب « لباب الآداب » : فلان قد غلّفته يدُ الحسن وقد أحرقت فضة خدّه وطُرّز ديباج وجهه.

ومن أحسن ما أحاضرُ به في الكناية عن خطّ اللّحية قول بعض المولّدين :

كتابٌ من الحسن توقيعه من الله في خدّه قد نزل

وما أظرف ما كنّى عنه الصّاحب⁽²⁾ بزغب الحسن في قوله :
هل زغبُ الحُسن به ضائرٌ والقمرُ التّم به يقرُّ؟

(1) المختطين : إخطّ الغلام، أي نبث عذاره.

(2) تقدّمت ترجمته.

وأنشدني بديع الزّمان (3) لنفسه من أبيات :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَأَنْتِي قَدْ صُغْتَ قَلْبًا مِنْ حَدِيدٍ
وَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُ الْكُسُوفَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْبَعِيدِ

وإنّما كنّي بالكسوف عن خروج اللّحية، كما قال الآخر :

وَاهَا لِبَذْرِ قَدْ كَسَفَ أَسْفًا وَهَلْ يَغْنِي الْأَسْفُ ؟

ومن بديع الكناية وخفيّتها في هذا الفصل قول القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز (4) :

قَدْ بَرَحَ الْحُبُّ بِمَشْتَاقِكَا فَأَوَّلِهِ أَحْسَنُ أَخْلَاقِكَا
لَا تَجْفَهُ وَارِعَ لَهُ حَقُّهُ فَإِنَّهُ آخِرُ عَشَّاقِكَا

يُكْنِي عَنْ قُرْبِ خُرُوجِ اللَّحْيَةِ أَوْ خُرُوجِهَا وَأَنَّهُ لَا عَاشِقَ لَهُ بَعْدَهَا.

(3) بديع الزّمان الهمدانيّ (358 - 398) أحد أئمة الكتاب له . مقامات أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها . كان قويّ الحافظة ، يصرب المثل بحفظه . توفي في هراة مسمومًا .

(4) أبو الحسن علي بن عبد العزيز : هو أبو الحسن الجرجاني ، وقد تقدّمت ترجمته .

الباب الثالث

فصل

في الكناية عن بعض فضول
الطعام وعن المكان المهيأ له

في مقدمته :

قرأت في « المستنير » أنَّ يحيى بن زياد (١) ومطيع بن إياس (٢) وحماد
عجرد (٣) اجتمعوا في مجلس يقصفون ومعهم رجل كان يناديهم،
فخرجت منه ريح لها صوت، فاستحيا ولم يعد إليهم، فكتب إليه
أحدهم :

أمن قلوصل غدت لم يؤذها أحدٌ إلا تذكّرها بالرمل أوطانا
خان العقال لها فأنبت إذ نعتُ وإنما الذنب فيها للذي خانا
منحتنا منك هجرانا وتقليّةً وغبت عنا ثلاثا لست تغشانا

(١) يحيى بن زياد (توفي سنة ١٦٠ هـ) . شاعر ماجس يُرمَى بالزندقة . من أهل الكوفة . توفي أيام المهدي .

(٢) مُطيع بن إياس (توفي سنة ١٦٦ هـ) . شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . كان ظريفاً ، مليح النادرة ، ماجناً ، متّهماً بالزندقة . وُلد ونشأ في الكوفة ، وتوفي في البصرة .

(٣) تقدّمت ترجمته .

خَفَضَ عَلَيْكَ فَمَا فِي النَّاسِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَأَيْنَقَهُ يَفْلَتَنَ أَحْيَانًا (٤)

وعرض مثل ذلك لجارية تغني في مجلس فيه الجُمَاز (٥) فأحبت أن تنظر ما عنده، فقالت : أي شيء تشتهي أن أغنيك ؟ فقال : غني :
يا رِيحُ ما تصنعين بالذَّمنِ كم لكِ من مَحْوِ مَنْظَرٍ حَسَنِ
فضحكت وعلمت أنه قد أحسَّ بذلك (٦).

وعرض مثل ذلك لرجُل في مجلس الصَّاحِبِ فاستحيا وانقطع منه
فكتب إليه الصَّاحِبُ (٧) :

يا ابنَ الحَضِيرِيِّ لا تَذْهَبْ عَلَى خَجَلٍ لِحَادِثٍ [كان] (٨) مثل الناي والعودِ
فإنَّها الرِّيحُ لا تستطيع تحبسها إذ لست أنت سُلَيْمَانُ بن داود (٩)

(٤) أورد الرَّاعِبُ الاصبهاني في محاسن الأدباء (276/3) هذه الحكاية مع بيتين من الشعر :

أَمِنْ قُلُوصٍ عَدَتْ أَظْهَرَتْ مَقْلِيَّةٌ وَغَبَتْ عَنَّا زَمَانًا لَسْتُ تَغْشَانَا
خَفَضَ عَلَيْكَ، فَمَا فِي النَّاسِ ذُو إِبْلِ إِلَّا وَأَيْنَقَهُ يَشْرَدْنَ أَحْيَانًا
(٥) تقدّمت ترجمته .

(٦) وردت هذه الحكاية في « طبقات الشعراء » لابن المعتز كالتالي « اجتمع الجُمَاز مع قوم يشربون، وعندهم جارية تُغني فينا هي في بعض أمرها إذ ضرطت ضرطة خفيفة لم يسمعها إلا الجُمَاز، وكان قريب المجلس منها، فظنّت الجارية أنه لم يسمعها، وأن أحدًا غيره لم يسمعها إن كان هو لم يسمعها، فقالت له لما صار القدح إليه : أي صوت تحب أن أغني لك يا أبا عبد الله ؟ فقال : غني : يا ريح ما تصنعين بالذَّمنِ . فضحكت الجارية وقالت : اكتم عني . »
(٧) تقدّمت ترجمته .

(٨) في اليتيمة « منك »

(٩) أورد الثعالبي هذا الخبر في اليتيمة كالتالي . « حدّثني الهمداني قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الحَضِيرِيِّ، يحضر مجلس النظر للصَّاحِبِ بالليالي، فغلبته عيناه مرّةً وخرج منه ريح لها صوتٌ، فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصَّاحِبُ . أبلغوه عني، البيتين وهي =

وعرض مثل ذلك لفتى (١٥) في مجلسه ليلاً فقال له الصّاحب : يا صبيّ لا تنم ، فخبجل ، وقال : هذا صرير التّخت (١١) ، فقال الصّاحب : أحسب أن يكون صرير التّخت .

ومن مليح ما سمعت في هذه الكناية حكاية أبي عبد الله بن الحجاج (١٢) وهي أنّه دعا مغنّية كان يتعاشق لها فلما حصلت عنده ليلاً ودارت الكؤوس نعس فتفرقع ظهره وهي قاعدة فغضبت وانصرفت فكتب إليها من الغد :

قد غَضِبْتُ [مَنِي] (١٣) وقد انكرتُ فرقةً تعرضُ (١٤) في ظهري
وليسَ لي من ذنبٍ ولكنّي أصرُّ (١٥) بالليل ولا أدري
فليت شعري وهي غضّابة من جحرها أضرطُ أم جحري ؟

من البسيط . وذكر الرّاعب الاصبهانيّ هذه الحكاية في « محاصرات الأدباء » (276/3) إلّا أنّه جعل اسم القاضي ابن دوشاب ، وذكر البيتين كما يلي :

قل لابن دوشاب : لا تخرج على خجلٍ من ضربة أشبهت نايًا على عود
فإنّها الرّيح لا تستطيع تحبسها إذ أنت لست سليمان بن داود

(10) هو الهمدانيّ صاحب الخبر السابق

(11) التّخت . مقعد طويل لشخصين أو أكثر .

(12) تقدّمت ترجمته .

(13) في اليتيمة « ستي » .

(14) في اليتيمة « تظهر » .

(15) في اليتيمة « أضرط » . والأبيات من السّريع

فصل في عاقبة الأكل

قد كنى الله تعالى عنها بقوله : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾
والغائط، المكان المظلم من الأرض، وكانوا يأتونه تسيراً وانتبازاً ثم كثر
ذلك في كلامهم حتى سَمَوْا الحَدَثَ بِاسْمِهِ واشتقوا منه الفعل تَغَوَّطَ.

ومن كنايات العامة عن الحاجة إلى دخول الخلاء قولهم : له حاجة لا
يقضيها غيره .

ومن لطائف الأطباء كنايتهم عن حشو الأمعاء بالطبيعة والبراز وعن
سيلان الطبيعة « الخلفة » وعن القيام لها « الاختلاف » .

ومنه ، قول أبي العيَّاء (١) وقد سئل فقيل إلى من يُخْتَلَفُ فقال : إلى من
يُخْتَلَفُ عليه .

(١) أبو العيَّاء (١٩١ - ٢٨٣ هـ) . أديب فصيح من طرفاء العالم ومن أحسن الناس جواباً
إشتهر بنوادره ولطائفه وكان حسن الشعر، مليح الكتابة والترسل، حيث اللسان في سب
الناس والتعريض بهم وكان ضريراً . توفي في البصرة

وقد تُكنّي الأطباء عن البول بالماء والدليل وعن القيء بالتعالج .

وقال بعض المفسرين في قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ (١) وقوله : ﴿ مَا لَهِذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٣) . إنما هو كناية عن الحدث لأن من أكل فلا بدّ له من عاقبة الأكل ونفّض الفضل .

وقد عابهم الجاحظ (٤) بهذا التفسير وقال : كأنهم لم يعلموا أنّ مسّ الجوع وما ينال أهله من الذلّة والعجز أدلّ دليل على أنهم مخلوقون حتّى يدّعوا على الكلام شيئاً قد أغناهم الله عنه .

وعلى ذكر التفسير، فقد قال لي أبو النصر محمد بن عبد الجبار القُتبيّ : سألتني بعض أهل جرجان عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لَهِذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٥) . فقلت يعني أنّه ليس بِمَلِكٍ وَلَا مَلَكٍ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَالْمَلُوكَ لَا يَتَسَوَّقُونَ وَلَا يَتَبَدَّلُونَ (٦) ، فعجبوا أن يكون مثلهم في الحال يمتاز من بينهم في علوّ المحلّ والجلالة والله أعلم حيث يجعل رسالته .

وقرأت في كتاب « المستنير » أن أبا تمام (٧) والخثعمي (٨) اجتمعا في

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٣ .

(٣) سورة الفرقان، الآية ٧ .

(٤) تقدّمت ترجمته .

(٥) سورة الفرقان، الآية ٧ .

(٦) تبدّل : إمتهن نفسه .

(٧) تقدّمت ترجمته . وانظر الخبر في خاص الخاصّ .

(٨) الخثعمي : لم نهند إلى ترجمته في ما بين أيدينا من مصادر .

مجلس أنس فقام أبو تمام إلى الخلاء فقال له الخثعمي : ندخلك (9) ؟
فقال : نعم وأخرجك، فتعجب الحاضرون من هذا الابتداء
البديع والجواب العجيب السريع .

ومما يشبه هذه الحكاية ما حدثني أبو نصر سهل بن المرزبان (10)
فقال : دخل ابن مكرم (11) إلى أبي العيناء (12) فسأله أن يقيم عنده فقال
ابن مكرم : أذهب وأتوضأ . فقال أبو العيناء : إذا لا يعود إلينا منك
شيء ، أي لأنه كله حدث .

وينشد أصحاب المعاني لأبي صعتر (13) :
هم منحوك طول الليل سقيًا خبيث الريح من خمر وماء
يكني عن أنهم ضربوه وهو سكران حتى أحدث .

وكان بشر المريسي (14) يقول إذا قيل له فلان قد وضع (15)
كتابًا : الوضع وضعان، أحدهما له افتخار والآخر له بخار، يريد قول
القائل :

مررت بدارها فوضعتُ فيها كجثمان القطاة له بخارُ

(9) كذا في الأصل المطبوع ، ولعلها « أدخلك » .

(10) تقدمت ترجمته .

(11) ابن مكرم ، محمد : كاتب بليغ مُترسل ، كتب لنصر الدولة ، وكان يُهاتر أبا العيناء . وذكر
ابن النديم أن له رسائل ، ولم يؤرخ وفاته . (أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي . ص 55) .

(12) تقدمت ترجمته .

(13) أبو صعتر : لم نقع على ترجمته في ما بين أيدينا من مصادر .

(14) بشر المريسي (توفي سنة 218 هـ) : فقيه معتزلي عارف بالفلسفة ، يُرمى بالزندقة . وهو
رأس الطائفة « المريسية » القائلة بالارجاء ، وإليه نسبتها .

(15) وضع : ألف وصنّف .

وكتب بعض الظرفاء إلى شارب دواء :

أَبْنُ لِي كَيْفَ أَصْبَحْتَ عَلَى حَالٍ مِنْ الْحَالِ
وَكَمْ سَارَتْ بِكَ النَّاقَةُ نَجْوِ الْمَنْزِلِ الْخَالِي

وكتب مؤلف الكتاب إلى المجلس العالي (١٦)، آنسه الله في يوم أخذ فيه

دواءً :

يَا مَالِكًا حَازَ أَصْلَهُ الشَّرْفَا فَلَمْ يَدْعُ مِنْهُ لِلْوَرَى طَرْفَا
لَمَّا أَخَذْتَ الدَّوَاءَ وَالطَّلَاعَ السَّعْدَ عَلَى الْعِزْمِ مِنْكَ قَدْ وَقَفَا
صَقَلْتَ سَيْفَ الْعَلَى وَصَفَيْتَ ثُبْرَ السَّمَجْدِ وَالْعَيْشُ مِنْكَ صَفَا
لَا زِلْتَ تَحْسُو السَّرُورَ فِي مَهْلٍ وَتَنْفِضُ الْهَمَّ وَالذَّنْفَا (١٧)،

والعرب تقول لا رأي لحاقن ولا لحاقب. والحاقن، كناية عن من به بول،
والحاقب، كناية عن الذي احتاج إلى الخلاء فلم يتبرز، شُبّه بالبعير.
الحاقب الذي دنا الحقب من قبله فمنعه أن يبول.

وقد ملّح منصور الفقيه (١٨) في الكناية عن الحدث بقوله :
تَنْبَهُ فَجَسْمُكَ مِنْ نَظْفَةٍ وَأَنْتَ وَعَاءٌ لِمَا تَعْلَمُ

(١٦) المجلس العالي : الأمير.

(١٧) الذَّنْفُ : السَّقَمُ وَالْعَلَّةُ .

(١٨) مَنْصُورُ الْفَقِيهِ : فَقِيهُ مِنَ الشَّعْرَاءِ . سَافَرَ إِلَى بَغْدَادَ فِي شَبَابِهِ وَمَدَحَ الْخَلِيفَةُ الْمَعْتَزُ، ثُمَّ
سَكَنَ مِصْرَ وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ٣٠٦ هـ .



General Organization of the Ministry of Culture and Higher Education
المنظمة العامة للمنهج والثقافة والتعليم العالي

فصل

في الكناية عن المكان الذي تقضي تلك الحاجة فيه

يُكْنَى عنه بالحشّ وهو البستان وبالمستراح والمبرز والمذهب والمتوضأ والميضأ.

وأحسن ما سمعت في ذلك وأصدقه قول أبي الفتح البُكْتُمري (1) :
أحقُّ بيتٍ من بُيوت الوريِّ بصونيه قدماً وإشاره
بيتٌ إذا مازاره زائرٌ فقد قضى أعظم أوطاره (2)
يدخله المولى بخز (3) كما يدخله العبدُ بأطماره
وهو إذا ما كان مستنظفاً مرؤة الانسان في داره (4)

وعلى ذكر الكنايات عن ذلك المكان ، فقد عرضت لي (5) حكاية كتبها

(1) أبو الفتح البُكْتُمري : طبيب من أهل البصرة ، خدم بصناعته ملوك بني بويه ، وكان شاعراً أديباً . ترجم له القفطي وروى أبياتاً من شعره . وجاء في حكاية أبي القاسم البغدادي أنه انتحر غرقاً في كرداب كلواذي . (نشوار المحاضرة 213/3) .

(2) الأوطار : الحاجات والغايات .

(3) الخز : ضرب فاجر من الحرير ، والأطمار : الثياب البالية .

(4) الأبيات في « يتيمة الدهر » وهي من السرب (143/1)

(5) في الأصل المطبوع « إغترضت » ، وما أثبتناه هو الصواب .

إِلَى أَبُو سَعْدٍ دُوسْت (٥) بِإِسْنَادٍ لَهُ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ (٦) قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الزُّبَيْرِيُّ (٨) قَالَ : قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ الْمَدِينَةَ وَمَعَهُ جَارِيَتَانِ مَغْنِيَتَانِ فَبَلَغَهُ أَنَّ بَهَا رَجُلًا مَضْحَكًا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَسَقَاهُ نَبِيذًا قَدْ أَلْقَى فِيهِ سَكَّرَ الْعَشِّ وَهُوَ يُسْهَلُ الْبَطْنِ ، وَتَنَاوَمَ الْهَاشِمِيُّ وَغَمَزَ الْجَارِيَتَيْنِ ، فَلَمَّا شَرِبَ الْمَضْحَكُ ثَلَاثًا حَرَّكَتَهُ بَطْنُهُ فَقَالَ : مَا أَحْسَبُهُمَا إِلَّا مَكِّيَّتَيْنِ ، فَقَالَ : جُعِلَتْ فِدَاكُمَا أَيْنَ بَيْتُ الْمَذْهَبِ ؟ فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِسَاحِبَتِهَا : مَا الَّذِي يَقُولُ ؟ قَالَتْ : يَقُولُ غَنِيٌّ لِي : ذَهَبْتُ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكُ حَقًّا طَوْلُ هَذَا التَّجَنُّبِ

فَصَبِرَ عَلَى مَكْرُوهِ عَظِيمٍ ثُمَّ قَالَ : مَا أَحْسَبُهُمَا إِلَّا بَصْرِيَّتَيْنِ ، فَقَالَ : جُعِلَتْ فِدَاكُمَا أَيْنَ بَيْتُ الْخَلَاءِ ؟ فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى : مَاذَا يَقُولُ ؟ قَالَتْ : يَقُولُ غَنِيٌّ :

أُضْحْتُ خَلَاءً وَأُضْحَى أَهْلُهَا اخْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَبْدٍ

قَالَ ، فَصَبِرَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ وَأَظْلَمَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ : مَا أَحْسَبُهُمَا إِلَّا كُوفِيَّتَيْنِ ، فَقَالَ : فُديتُكُمَا ، أَلَا تَسْمَعَانِ ، أَيْنَ بَيْتُ الْحَشِّ . فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى : مَاذَا يَقُولُ ؟ قَالَتْ : يَقُولُ غَنِيٌّ :

أَوْحَشَ الْحَنْبِذَانِ فَالْدِيرُ مِنْهَا فَقَرَّاهَا فَالْمَنْزِلُ الْمَحْصُورُ

فَقَالَ الْمَضْحَكُ : مَا فَهَمْتَا عَنِّي . وَصَبِرَ عَلَى أَشَدِّ مَا يَكُونُ وَأَنْفَتَحَ بَطْنُهُ

(٦) تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٧) الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ (١٧٢ - ٢٥٦ هـ) : عَالِمٌ بِالْأَنْسَابِ وَأَخْبَارِ الْعَرَبِ ، رَاوِيَةٌ . وَلَدِيَ الْمَدِينَةَ وَوَلِيَ قِضَاءَ مَكَّةَ فَتَوَفَّى فِيهَا . مِنْ مَصْنُفَاتِهِ « أَخْبَارُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهَا » وَ « نَسَبُ قُرَيْشٍ وَأَحْبَابُهَا » وَ « وَفُودُ النَّعْمَانِ عَلَى كَسْرَى » وَ « أَخْبَارُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ » (الْأَعْلَامُ ٤٢ / ٣)

(٨) مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الزُّبَيْرِيُّ : لَمْ نَقْعْ لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ فِي مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ مَصَادِرَ

وضاقت حيلته، فقال : هما البتّة مدنيّتان، فقال : فديتكما أين بيت
الكنيف ؟ فقالت إحداهما للأخرى : ماذا يقول ؟ قالت : يقول غني
لي :

تكنّفي الهوى طفلاً فشيّني وما أكتهلاً

فقال : يا زانيتان، أنا أخبركما ما هو. فقام دافعاً ثوبه وسلح عليهما
وملاً المجلس، فأنّبه الهاشمي وقال : ويحك ما صنعت ؟ قال : أقعدت
معني هاتين الزانيتين ما يحسبان الكنيف إلا الصراط المستقيم، فهما تنفسان
عليّ بأن تدلّاني عليه . قال : أفُتُفسد عليّ ثيابي ؟ فقال : والله ما أفسدت
عليّ من بطني أشدّ ممّا أفسد عليك من مجلسك (٩)

وأنا أختتم هذا الفصل بخبر عن النبي ﷺ في الكناية عن الإحداث
في الشوارع وطرق المارة وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام : « اتّقوا الملاعن
وأعدّوا السّبل » .

(٩) ورد هذا الخبر في « مروج الذهب » للمسعودي (332/4) وفي « الوافي بالوفيات »
(7/17) وفي « شرح مقامات الحريري للشريسي (208/4) مع اختلاف في اللفظ وفي
الآبيات المضمّنة في الخبر.

الباب الرابع

في الكناية عن المقابح والعاهات والمثالب

فصل

في القبح والسّواد

إذا كان الرّجل قبيح الخلقة مشوّه الصّورة قيل في الكناية عنه : له قرابات باليمن لأنّ القروود تكثُر بها.

ومن مليح الكناية عن القبح قول أبي نواس (1) :
وقائلة لها في وجه (2) نصيح : علام هجرت (3) هذا المستهاما ؟
فكان جوابها في حسن مس : أجمع بين هذا والحراما ؟

(1) تقدّمت ترجمة أبي نّواس . والبيتان في الديوان ، 560 ، من قصيدة بعنوان : علام قتلت المستهام ؟

(2) وفيه : من .

(3) وفيه : قتلت .

وهذا كقولهم حشفاً وسوء كيلة (4).

فإذا كان شديد الأذمة (5) مع الدّمامة قيل، كأنّ وجهه قمر الثلاثين.

ويُستحسن لنُصيب (6) قوله في الكناية عن سواد بناته في كلام خاطب به عمر بن عبد العزيز (7) : يا أمير المؤمنين قد بليت ببناتٍ لي أنفقت عليهنّ من ضيفي فكسدن فرقاً له ووصله. وفي نُصيب قيل :

أخ لي من بني حام بن نوح كأنّ جبينه حجر المقام
ويُحكى في قصّة طويلة لسُكينة بنت الحسين بن عليّ (8) رضي الله عنهم لما أمرت باخراج الفرزدق عن دارها وقالت : والله إنه لا يدخل عليّ حتى يشيب الغراب، فتلفّظ الفرزدق واحتال وقال لنُصيب : هل لك أن

(4) الحشَفُ من التمر : ما لم يُنَو، فإذا يبس صلبٌ وفسد، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة، وهو أردأ التمر. وفي المثل : أحشفاً وسوء كيلة ؟ أي اتّجمع عليّ أن يكون الكيلُ حشفاً وأن يكون الكيل مطلقاً. وقال اللّحياني : حشف وسوء كيلة وكيل ومكيلة.

(5) الأذمة : باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرهما. والأذمة : السُّمرة.

(6) نُصيب (توفي سنة 108 هـ) شاعر فحل، مُقدّم في النسيب والمدائح. كان عبداً أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكّان البادية. اشتراه عبد العزيز بن مروان وأعتقه له أخبار ذائعة مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم، تنسك في آخر عمره. (الأعلام 32/8)

(7) عمر بن عبد العزيز (61 - 101 هـ) الخليفة الصّالح، والمُلك العادل. من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشّام. ولد ونشأ بالمدينة. وولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة 99 هـ. مات مسموماً. (الأعلام 50/5)

(8) سُكينة بنت الحسين (توفيت سنة 117 هـ) بن عليّ بن أبي طالب : نبيلة شاعرة كريمة، من أجمل النّساء وأطيبهنّ نفساً. كانت سيّدة نساء عصرها، تُجالس الأجلة من قريش، وتجمع إليها الشعراء فيجلسون بحيث تراهم ولا يرونها، فتفاضل بينهم وتناقشهم وتجزهم. وكانت أجمل النّساء شعراً، تُصَفّ جَمَها تصفيها لم يُر أحسن منه، و« الطّرة السُّكينية » منسوبة إليها. (الأعلام 106/3)

تَدْخِلْنِي عَلَيْهَا وَتَأْخِذْ صَلَاتَهَا (٩) ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَاسْتَأْذِنَ الْحَاجِبَ لِنُصِيبَ فَأَذْنَتْ لَهُ . وَدَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى إِثَرِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ سَكِينَةٌ قَالَتْ : يَا خَبِيثٌ ، قَدْ خُنْتَنِي . قَالَ الْفَرَزْدَقُ : يَا سَيِّدَتِي ، قَدْ قُلْتَ حَتَّى يَشِيبَ الْغَرَابُ ، وَهَذَا وَاللَّهِ الْغَرَابُ قَدْ شَابَ ، أَرَادَ سَوَادُ وَجْهِهِ وَبَيَاضُ شَعْرِهِ . فَقَالَ نَصِيبٌ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ بِي خَيْرًا . ثُمَّ كَفَّرَتْ عَنْ يَمِينِهَا وَأَجْزَلَتْ صَلَاتَهَا .

وَلَمْ يُكُنْ أَحَدٌ عَنِ الْمَدْحِ الْإِسْوَدَ بِأَحْسَنَ وَأَبْدَعَ مِنْ كُنَايَةِ الْمُتَنَبِّيِّ عَنِ سَوَادِ كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ (١٠) بِقَوْلِهِ :
فَجَاءَتْ بَنَاتُ إِنْسَانٍ عَيْنُ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَآقِيَا (١١) ،
فَإِنَّهُ جَمَعَ إِلَى حَسَنِ الْكُنَايَةِ حَسْنَ التَّشْبِيهِ وَجُودَةَ التَّفْصِيلِ ، وَأَبْدَعَ مَا شَاءَ .

(٩) الصَّلَاةُ : الْجَائِزَةُ .

(١٠) كَافُورُ الْإِخْشِيدِيِّ (٢٩٢ - ٣٥٧ هـ) : الْأَمِيرُ الْمَشْهُورُ ، صَاحِبُ الْمُتَنَبِّيِّ . كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا اشْتَرَاهُ الْإِخْشِيدِيُّ مَلِكُ مِصْرَ فَنُسِبَ إِلَيْهِ ، وَأَعْتَقَهُ فَتَرَقَّى عِنْدَهُ ، ثُمَّ مَلَكَ مِصْرَ . كَانَ فَطْنًا ذَكِيًّا حَسَنَ السِّيَاسَةِ . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ . تَوَفَّى بِالْقَاهِرَةِ .

(١١) قَالَ الْبَرْقُوقِيُّ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ : « إِنْسَانُ الْعَيْنِ : نَازِلُهَا ، وَهُوَ الْمَثَالُ الَّذِي يُرَوَى فِي السَّوَادِ وَالْمَآقِيَا جَمْعُ مَاقٍ : طَرَفُ الْعَيْنِ تَمَّا يَلِي الْأَنْفَ ، وَاللِّحَاطُ طَرَفُهَا تَمَّا يَلِي الْأُذْنَ . قَالَ الْوَاحِدِيُّ : جَعَلَهُ (كَافُورُ) إِنْسَانًا عَيْنَ الزَّمَانِ كُنَايَةً عَنْ سَوَادِ لَوْنِهِ وَأَنَّهُ هُوَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ مِنَ الدَّهْرِ وَأَبْنَائِهِ وَأَن مِنْ سِوَاهُ فَضُولٌ لَا حَاجَةَ بِأَحَدٍ إِلَيْهِمْ . » (شَرْحُ دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّيِّ ٤ / ٤٢٤)

فصل في الثقل والبرد

حدّثني أبو جعفر محمّد بن موسى الموسويّ قال : دخلت يوماً إلى الشّيخ أبي نصر بن أربد ببخارى وعنده علويّ مُبرم تأذّي بطول جلوسه وكثرة كلامه، فلما نهض قال لي أبو نصر : ابن عمّك هذا خفيف على القلب . فقلت : نعم ، مساعداً له على رأيه . فتبسّم ضاحكاً من قولي ، وقال لي : أراك لم تفتن للغرض . فما زلت أفكر حتّى وقع لي أنّه أراد خفيفاً مقلوباً وهو الثّقل . وهذا المعنى أراد أبو سعد دُوست بقوله :

وأثقل من قد زارني وكأنما تقلّب في أجفان عيني وفي قلبي
فقلت له لما برمت بقربه أراك على قلبي خفيفاً على القلب

وكان الناصر العلويّ الأطروش (1)، إذا كلّمه الانسان فلم يسمعه قال له : يا هذا، ارفع صوتك فإنّ بأذني بعض ما بروحك، يُكنّي عن الثّقل .

(1) الناصر العلويّ الأطروش : شيخ الطالبين وعالمهم وزاهدهم وأديبهم وشاعرهم ، ملك بلاد الدّيلم والجبل ، ولقب بالناصر للحقّ وجرت له حروب عظيمة مع السّامانيّة . توفي في طبرستان سنة 304 هـ . من مصنفاته : « أنساب الأئمة . » (الكنى والألقاب 232/3)

ونظر بديع الزّمان (2) إلى إنسان بارد طويل فقال : قد أقبل ليّلُ
الشتاء، فإنّه طويل بارد.

ودخل ابن أبي أيّوب إلى ابن حدّار (3) يعوده وقد اقشعرّ فقال له : ما
تجد فديتك ؟ قال : أجذك، يُكَنِّي عن البرد (4).

(2) المقصود بديع الزّمان الهمداني.

(3) ذكر الحصري في « جمع الجواهر في الملح والنّادر » أنّ اسمه « ابن جدار »، وهو كاتب
العبّاس بن أحمد بن طولون، وكان قلّ تعلّقه بالعبّاس يتكسّب بالشعر، وكان يارد المشاهدة . «

(4) الخبر في « جمع الجواهر » على غير الوجه الذي ورد عليه عند الثعالبي، بل هو عكسه
تماماً . « وكان ابن جدار كاتب العبّاس بن أحمد بن طولون يارد المشاهدة، فعاد أبا حفص ابن
أبي أيّوب ابن أخت الوزير، فوافاه وقد أصابته قشعريرة. فقال : ما تجد ؟ جعلتُ
فذاك إقال : أجذك ! » (ص . 4)

فصل في الكناية عن الداء الذي لا لا دواء له إلا بمعصية الله

يقال : فلان يخبأ العصا، (١) وفلان عصا موسى لأنها تلقف ما يأفكون (٢)،
وفلان يخبأ العصا في الدهليز الأقصى .

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال : قال بعض بني هاشم لأبي
العيناء : بلغني أنك تخبأ العصا، فقال له : وتدعونها تظهر. وأنشدني
الطبري لنفسه في اللّحام (٣) :

-
- (١) انظر « محاضرات الأدباء » للرّاعب الاصبهاني، (254/3)
(٢) إشارة إلى سورة الشعراء، الآية 45 : « فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون . »
(٣) أبو الحسن اللّحام : ذكره الثعالبي في اليتيمة (116/4) وقال عنه : « من شياطين
الإنس، ورياحين الأنس، وقع إلى بخارى في أيام الحميد، وبقي بها إلى آخر أيام السّديد
(. . .) يهجو وقلما يمدح، وكان غزير الحفظ، حسن المحاضرة (. . .)، خبث اللسان، كثير
الملح والغرر، لا يسلم أحد من الكبراء والوزراء والرؤساء من هجائه، وكان لا يهجو إلا
الصدور. »

رَأَيْتُ اللَّحْبَامَ فِي حَلْقِهِ لِلشُّعْرِ تَطْيِيقًا (٤) وَتَجْنِيسًا (٥)
نَخْوَةً فَرَعُونَ وَلَكِنَّهُ جَانَسَ فِي حَمْلِ الْعَصَا مُوسَى
وَعَشَّ إِبْلِيسَ وَلَكِنَّهُ (٦) خَالَفَ فِي السَّجْدَةِ إِبْلِيسًا (٧)

وَيُقَالُ فَلَانٌ تَمَنَّيَ لِلْأَذْقَانِ . وَهُوَ أَسْجَدُ مِنْ هُذْهِدٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
بَعْضُ الْعَصْرِيِّينَ :

أَرْسَلْتُ فِي وَصْفِ صَدِيقٍ لَنَا مَا حَقَّتْ الْكِنْيَةُ (٨) بِالْعُسْجِدِ
فِي الْحُسْنِ طَاوُوسٌ وَلَكِنَّهُ أَسْجَدُ فِي الْخُلُوةِ مِنْ هُذْهِدٍ

وَفَلَانٌ غَرَابٌ (٩) لِأَنَّهُ يُوَارِي سُوءَ أَخِيهِ . قَالَ مَنْصُورُ الْفَقِيهِ :
إِنَّ فِي أَمْرِ أَحْمَدَ بْنِ الطَّحَاوِيِّ فِي أَمْرِ عَرْسِهِ لِعَجَابًا
طَلَّقَتْ نَفْسَهَا عَشِيَّةَ زُفْتٍ وَأَبَاحَتَهُ خُرْمًا وَالثِّيَابَا (١٠)
قِيلَ : مَا بِهِ ؟ فَقَالَتْ : غَرَابٌ ، هَلْ شَرِطْتُمْ عَلَيَّ بَعْلًا غَرَابًا ؟

وَمِنْ مُلَحِّحِ الصَّاحِبِ فِي هَذِهِ الْكِنْيَةِ قَوْلُهُ ، وَيُرْوَى لغيره :
لَهُ قُرَاحٌ فِي سِرَاوِيلِهِ يَزْرَعُ فِيهِ قَصَبَ السَّكْرِ

(٤) تَطْيِيقًا : مِنَ الْمَطَابَقَةِ : وَهِيَ الْمَوَافَقَةُ ، طَابَقَتْ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِذَا جَعَلْتَهُمَا عَلَى حَذْوٍ وَاحِدٍ
وَالزَّمْتَهُمَا

(٥) تَجْنِيسًا : مِنَ الْمَجَانَسَةِ : وَهِيَ الْمَشَاكَلَةُ .

(٦) فِي الْيَتِيمَةِ : قَرِينُهُ إِبْلِيسَ لَكِنَّهُ « .

(٧) الْأَبْيَاتُ فِي « نَزْهَةِ الْأَلْبَابِ » ، وَفِيهَا اخْتِلَافٌ نُحْلُ بِالْمَعْنَى (٢٩٧) .

(٨) فِي « نَزْهَةِ الْأَلْبَابِ » : « مَا حَقَّتْ يُكْتَبُ »

(٩) فِي « نَزْهَةِ الْأَلْبَابِ » : « وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ أَكَلًا مِنْ غَرَابٍ » ، وَكَلًّا يَعْنِي حَرَسَ وَحَفِظَ
(٢٩٧) .

(١٠) فِي « نَزْهَةِ الْأَلْبَابِ » : « وَأَبَاحَتَهُ مَهْرَهَا وَالْكِتَابَا » (٢٩٧)

وقوله (11) :

قد حضرَ الجامع مع رقة أحدثها العالم (12) في دينه
والله ما يحضره مسرعاً إلا ارتياحاً لأساطينه (13)

وقوله :

شاهدته بالأمس قد حمل العصي فسألته عنها ليوضح عذرا
فأجابني إني بها متشايع (14) هذا، ولي فيها مآرب أخرى

وقوله :

والله ما اتخذ الكتابة حرفة إلا لحبّ الدرج (15) والأقلام

وأنشدني الأستاذ الطبري لنفسه من قصيدة :

وقال أنا المليك فقلت : حقاً بقلب اللأم نوناً في الهجاء
ولم أر من أداة الملك شيئاً لديك سوى احتمالك للواء

وأنشدني أيضاً من أخرى :

فلم تضحى (16) على الإسلام سيفاً وأنت كما علمت من العمود

(11) البيتان نسبهما صاحب « نزهة الألباب » لابن الرومي .

(12) في « نزهة الألباب » : « يعرفها العالم » ، وفي رواية البيت الثاني إحتلاف يسير . (298) .

(13) الأساطين : جمع أسطوانة ، وهي السارية .

(14) متشايع . مُتَكَلِّف هيئة الشيخ .

(15) الدرج : صندوق تحفظ فيه لوازم الكتابة

(16) في الأصل المطبوع « تضحى » ، ولا معنى لها ، وما أثبتناه من « نزهة الألباب » فيما لا يوحد

في كتاب « لشهاب الدين أحمد التيفاشي ص 298

ونزهد في الصلاة وفي ذويها (17) ولكن لست تزهد في السجود

ويُروى أنَّ الأَحوص (18) نظر إلى الفرزدق وهو على بغل فقال له : يا
أبا فراس بغلك على خمس ، فقال : الخامسة أحبُّ إليك . وكان الأَحوص
يُرمى بالأبنة (19) .

ومن جيّد التعريض بها قولُ عمرو بن بانه (20) :
أقولُ وقد مرَّ عمرو بناً فسَلِّم تسليمَةً خافيةً
لئن تاه عمرو بفضل الغنى لقد فضّل الله بالعافية

(17) في نفس المصدر « وتزدرىها » بدل « وفي ذويها » ، وكلاهما يستقيم .

(18) الأَحوص (توفي سنة 105 هـ) . شاعر هجاء ، صافي الديباجة ، من طبقة جميل بن
معمر ونُصيب . كان معاصراً لجرير والفرزدق . وهو من سكّان المدينة جلدته الوليد بن عبد الملك
ونفاه إلى « دَهْلَك » وهي جزيرة بين اليمن والحبشة ، كان بو أمية يفنون إليها من يسخطون
عليه . تمّ إطلاقه يزيد بن عبد الملك ، فقدم دمشق فمات فيها . (الأعلام 4 / 116) .

(19) الأَبْنَةُ : العقدة في العود أو العصا ، أي العيبُ في الخشب والعودِ وهي هذا المعنى
التهمة . والمأبون هو الذي يُرنّ بالعيب القبيح

(20) عمرو بن بانه : نُسب إلى أمه بانه . كان مغنياً شاعراً . أخذ العناء عن اسحاق الموصلي
وغیره . نادى المتوكّل ومات سنة 278 (الديارات للشّاشتي 43)

فصل في الكناية عن البرص

كان جذيمة أبرص فكُنِّيَ عنه بالوضّاح والأبرش (١)، ولما برص بلغاً بن قيس قيل له : ما هذا ؟ فقال : سيف الله جلّاه : ويُروى حلّاه بالحاء وتشديد اللّام .

وَمَنْ كُنِّيَ عَنِ الْبَرَصِ بِالْوَضَّاحِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ حَيْثُ قَالَ :
نَفَرْتُ سَوْدَةً مَنِي إِذْ رَأَيْتُ صَلَعَ الرَّأْسِ بَجَلْدِي وَالْوَضَّاحُ (٢)،
هُوَ زَيْنٌ لِي فِي الْوَجْهِ كَمَا زَيْنَ الطَّرْفِ تَحَاسِينُ الْفَرْحِ

وقال ابن حسا (٣) في الكناية عنه بالبياض :

(١) جذيمة الوضّاح (توفي نحو 366 ق . هـ) : ثالث ملوك الدولة التّونسيّة في العراق . جاهليّ ، عاش عمراً طويلاً . وكان أعزّ من سبقه من ملوك هذه الدّولة . وهو أوّل من غزا بالجيوش المنظّمة وأوّل من عملت له المجانيق للحرب من ملوك العرب . وكان يُقال له « الوضّاح » و« الأبرش » لبرص فيه . قتله الزّنّاء ثأراً لأبيها . (الأعلام 2 / 114) .

(٢) الوضّاح : بياض الصّبح والقمر والبرص والغرة والتّجحيل في القوائم وغير ذلك من الألوان .

(٣) وفي « محاضرات الأدباء » (293 / 3) « ابن حينا » ، ولم نقع له على ترجمة .

لا تحسبن بياضاً في منقصة^(٤) إنَّ اللَّهَامِيمَ^(٥) في أقرانها بَلَقُ^(٥)

ولبعضهم :

أخو لحمٍ أعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص لك الأجد

وأخو لحم هو جذيمة الأبرش وكان رجل أبرص اليد يخضبها
ليكون أخفى لما بها، ففُسِّلَ غلامه عما يصنع، فقال : يداوي العاج
بالمزاج.

(٤) 'اللَّهَامِيمُ' : واحده اللُّهُمُّومُ : جواد سابق يجري أمام الخيل لالتهامه الأرض، الخواد من
النَّاس والخيل : وجيشُ لُهامٍ . كثير يلتهم كل شيء .
(5) بَلَقُ : من البَلَق : وهو سواد وبياض

فصل في الكناية عن عدة عاهات

يُكَنِّي عن الأعمى بالمحجوب، وفي ذلك يقول عثمان بن الوليد بن
عنبه :

لعمري لئن أمست عليَّ عمايةٌ لقد رُزِيَ الأَبْصارَ قبلي الأكارمُ
وقد عاش محجوباً أُمَيَّةً وابنه أبونا أبو عمرو وحربٌ وهاشمٌ

ولما أراد المتوكل (1) أبا العيناء على منادمته قال له : يا أمير المؤمنين، أنا
محجوب، والمحجوب يُجور قصده ويُقبل على من لا يُقبل عليه، وكلٌّ من
في مجلسك يخدم وأنا أحتاج أن أخدم فيه (2).

(1) المتوكل : عاشر خلفاء بني العباس : دامت خلافته في سامراء من سنة 223 إلى 247 .
مات مقتولا . وكان مُبغضا للمطالبيين شديداً عليهم ، فأمر بهدم قبر الحسين بن علي ومنع على
الناس زيارته .

(2) هذه الحادثة جزء من حكاية طويلة أوردها الحصري في « زهر الآداب »
(322/1 ، 323) برواية الصولي ، وفيها اختلاف ليس باليسير : « قال المتوكل : قد أردتك
لمجالستي ، قلتُ (أبو العيناء) : لا أطيق ذلك ، وما أقول ذلك جهلا بما لي في هذا المجلس من
الشرف ، ولكنني محجوب ، والمحجوب تختلف عليه الإشارة ، ويخفى عليه الإيحاء ، ويجوز أن يتكلم
بكلام غضبان ووجهك راض أو بكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم أُمَيِّز بين هذين
هلكت ، قال : صدقت ، ولكن تلزمننا ، قلت : لزوم الفرض الواجب اللازم ، فوصلني بعشرة
آلاف درهم . »

وَيُكَنَّى عَنْ الْأَعْوَرِ بِالْمَتَّعِ (٣)، وَعَنْ الَّذِي فِي عَيْنِهِ نَقْطَةٌ بِيَاضٍ بِالْكُوكَبِيِّ
وَالْمَكُوكَبِ، وَعَمَّنْ بَوَجْهِهِ أَثَرٌ بِالْمَشْطَبِ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا كُنِيَ عَوْفُ بْنُ مُحَلِّمٍ (٤) عَنِ الصَّمَمِ بِقَوْلِهِ :
إِنَّ الثَّمَانِيْنَ ————— وَبَلَّغْتَهَا، قَدْ أُخْرِجْتَ سَمْعِي إِلَى تُرْجَمَانٍ (٥).

(3) « شرح نهج البلاعة » (52/5).

(4) عوف بن محلم . (توفي سنة 220 هـ) : أحد العلماء الأدباء الرواة الندماء الشعراء .
أصله من حرّان وانتقل إلى العراق فاحتضنه طاهر بن الحسين لمناذمته ، فبقي معه ثلاثين سنة لا
يفارقه . ومات طاهر فقربه ابنه عبد الله وحل له منزلته عند أبيه . واستمرّ عوف في صحبته إلى
أن كبر وتجاوز الثمانين ومات في طريقه إلى حرّان (الأعلام 96/5)

(5) هذا البيت من قصيدة أوردها ابن المعتز في « طبقات الشعراء » (187 - 188) .

فصل في البخل

يُكْنَى عن البخل بالمتصد، ويقال، فلان نظيف المطبخ، وفلان نقيّ القدر^(١)
قال الشاعر :

بيضُ المطابخِ لا تشكُّو إماؤهم طبخ القدور ولا غسل المناديل

وقال آخر :

مطبخُ داود في نظافته أشبه شيء بعرش بلقيس^(٢)
ثيابُ طبّاخه إذا اتّسخت أنقى بياضاً من القراطيس

وقال أبو نواس :

رأيتُ قدورَ الناس سوداً من الصلّى^(٣) وقدّر الرّقاشين بيضاء كالبدر^(٤)

وقال الجّماز لرّجل : رحم الله أباك فقد كان نظيف منديل الخوان . قال
الأستاذ الطّبري :

(١) انظر « محاضرات الأدباء » للرّاعب الاصبهانيّ (٦٦٢ / ٤) .

(٢) بلقيس بنت الّهذهاد بن شراحيل ، من حمير : ملكة سبأ . يمانية من أهل مأرب . أُشير إليها في القرآن ولم يُسمّها وليت بعهد من أبيها وطمع فيها صاحب غمدان فزحف إليها ، فانهزمت ورحلت متنكرة إلى الأحقاف . ثم قتلته وملكّت اليمن بكامله . تزوّجت داود وأقامت معه سبع سنين وأشهرًا ، وتوفيت فدفنها داود بتدمر .

(٣) للصلّى : صلي اللحم وغيره ، شواه ، والصلّاء الشواء ، والصلّى هنا كناية عن الطبخ الكثير والوقود أو النّار .

(٤) البيت في « محاضرات الأدباء » للرّاعب الاصبهانيّ مع بيتين آخرين (٦٦٢ / ٤)

فتى	تُختصر	المأكول	والمشروب والعطير
نقيّ	الخبز	والقص	عة والمنديل والقدر
قليل	النمل	والذبان	والجـردان والهر

وفي ذكر قلّة الجرذان تقول أعرابية لبعض الخلفاء : أشكو إليك قلّة الجرذان، فقال : ما أحسن هذه الكناية، لأكثرن جرذانك، وأمر لها بطعام كثير ومال (٥).

ومن نادر الكناية عن البخل بالطعام قول حمير (٦) وقد سئل عمن يحضر مائدة محمد بن يحيى (٧) فقال : أكرم الخلق والأهم، يعني الملائكة والذباب (٨).

وليس بالبارد قول حماد عجرد :
 زرتُ امرأة في بيته ماجداً له حياة وله خير
 يكره أن يُتخَم أضيافه إن أذى التخمسة محذور

(5) جاءت هذه الحكاية في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (209 / 20) : « ومن الكنايات الحسنة قول أعرابية قالت لقيس بن سعد بن عبادة : أشكو إليك قلّة الجرذان في بيتي، فاستحسن منها ذلك وقال لأكثرنها، إملئوها بيتها خبزاً وتمراً وسمناً وأقطاً ودقيقاً. »
 (6) حمير : هو أبو الحارث حمير، ذكره الحصري في « جمع الحواهر في الملح والنوادر » وأورد الكثير من أخباره، ولم يُرجم له.

(7) محمد بن يحيى اليرمكي

(8) جاء هذا الخبر في « جمع الحواهر » : « وكان محمد بن يحيى اليرمكي يُبخل. ولم يكن بخيلاً إلاً بالاصافة إلى أخويه الفضل وجعفر، وكان أبو الحارث حمير يكثر وصفه بذلك، فقيل له يوماً : كيف مائدة محمد ؟ فقال : أما جوانه فعدسة، وأما صحافه فمنتقورة من حسب الخشخاش، وبين الرغيف والرغيف فترة. قيل : فمن يحضرها ؟ قال : أكرم الخلق والأهم، يريد الملائكة عليهم السلام والذباب. »

ويشتهي. أن يُؤَجَرُوا عنده بالصَّوم، والصَّائِم مأجورٌ (٩)

ومن ذلك قول الآخر :

على أبوابه من أيِّ وجهٍ قصدت له أخو مرٍّ بن أد (١٠)

ومما يُستحسن في هذا الباب قول ابن طَبَّاطبَا العَلَوِيِّ :

وكاتب حاسبٌ إن رمت مُلْتَمَسًا ما في يديه إذا ما رُحِت مجتديه
أضاف تسعين تقفوها ثلاثتها إلى ثلاثة آلاف و تسمعمائة

وقوله في هذه الكناية بعينها :

إن رمتُ ما في يديك مجتديًا أو جئتُ أشكو إليك ضيق يدي
عقدت لي باليسار أربعة مقبوضة سبعة من العدد (١١)

(9) الأبيات في « طبقات الشعراء » لابن المعتز، وهي في هجاء بعض الأمويين.

(10) مرٍّ بن أد بن طانجة بن إلياس بن مضر، من عدنان : جدّ جاهليّ، بنوه قبائل و بطون كثيرة، أعظمها تميم. (الأعلام 198/7).

(11) انظر بخصوص الحساب بعقد الأصابع « نشوار المحاضرة » للتنّوخي (104/1 - 107).

فصل

في الكناية عن جملة من المعائب والأخلاق المذمومة

إذا كان الرجل جاهلاً قيل: فلان من المستريحين، لقولهم: استراح من لا عقل له.

فإذا كان سليم الناحية (١)، أبله قيل، فلان من أهل الجنة لأن النبي ﷺ يقول: «أكثر أهل الجنة البُله» (٢).

فإذا كان أحمق قالوا: نعتُه لا ينصرف.

وأنشدني أبو الحسن الشَّهْرُزُورِي، قال: أنشدني أبو الحسن اللِّحَام
لنفسه في ابن مطران الشَّاشِي لما صُرِفَ عن بريد التَّرمِذِيَّة (٣):
قد صُرِفْنَا وَكَلَّ (٤) من قبلنا فهو منصرفٌ
وصُرِفْنَا ————— بشاعرٍ نعتُه ليسَ ينصرفُ

(١) سليم الناحية : مسألماً لا يقصُد النَّاسَ بشرٍّ، فهو من شدَّة سذاجته كالأبله

(٢) انظر لسان العرب (٤٧٧ / ١٣)

(٣) البيتان في يتيمة الدهر، وقد قدَّم لهما الثَّعالبي بما يلي « وفوله (اللِّحَام) لما صُرِفَ عن بريد التَّرمِذِيَّين بابن مطران » والبيتان من مجزوء الحفيف.

(٤) في اليتيمة « وكلَّ من كان قبلنا صُرِفَ ».

فإن كان فضولياً داخلياً فيما لا يعنيه، متكلفاً ما لا يلزمه، قالوا هو وصي آدم (5). وقد توضع هذه الصفة موضع المدح، كما قال الشاعر :
وكانَّ آدم حين حُمِّ جِمامُه وصَّاك وهو يجود بالحباء (6)
بينه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الابناء (7)

فإذا كان وقحاً قالوا : هناك دُرَّةٌ وحدقة ووجنة مطرقة . وهذه اللفظة للصاحب من كتاب له إلى أبي العباس الضبي (8) في ذكر أبي الحسن الجوهري الشاعر. فإذا كان قليل الدماغ قالوا : فلان فارغ الغرفة . قال الشاعر :

صاحبنا أحواله عالية لكنما غرفته خالية

فإذا كان كثير الطيش قالوا : أحضر معه وتدا .

فإذا كان كذوباً قالوا : الفاختة (9) عنده أبو ذر (10). وهذه اللفظة عذبة من ملح الصاحب ولم أسمع في معناها أحسن وأبلغ منها لأن الفاختة يضرب بها المثل . قال الشاعر :

(5) « ثمار القلوب » ص 38 .

(6) الحوباء : النفس ، والجمع حَوْبَاوَاتُ .

(7) ورد البيتان في الثمار

(8) أبو العباس الضبي (توفي سنة 398 هـ) : وزير فخر الدولة البويهية كان من العقلاء الفضلاء يُلقب « الكافي الأوحِد » له شعر رقيق . مات في بروجرد معتزلاً الوزارة وحل منها فدفن في مشهد الحسين ، بوصية منه . (الأعلام 1 / 86) .

(9) الفاختة : وهو المعروف باليَمام وهو طير يحيط بعنقه سواد ، في حجم الحمام ، لكنّه برّي قليل الألفة .

(10) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (20 / 196) : « ويقولون [في الكناية عن الكذوب] : هو فاختة البلد . »

أَكْذَبُ مِنْ فَاحْتَةٍ تَقُولُ وَسَطُ الْكَرْبِ
وَالطَّلَعُ لَمْ يَدُ لَهَا : هَذَا أَوَانُ الرُّطْبِ (١١)

وأبو ذرّ الغِفَارِيُّ (١٢) من يقول فيه النَّبِيُّ ﷺ : « ما أَظَلَّتْ
الخَضْرَاءُ وما أَقَلَّتْ الغَبْرَاءُ أَصْدَقُ لَهْجَةٍ مِنْ أَبِي ذَرٍّ ».

ومن كُنَايَاتِهِم عن الكَذِبِ : فُلَانٌ يَلْطُمُ عَيْنَ مُهْرَانٍ . ومُهْرَانٌ ، رَجُلٌ
يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكَذِبِ .

فَإِذَا كَانَ مَلُولًا قِيلَ : فُلَانٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى (١٣) ، كَمَا قَالَ [الشَّاعِرُ]
أَرَاكَ بَقِيَّةً مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَهَمَّ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ (١٤)

فَإِذَا كَانَ كَثِيرَ التَّكَلُّفِ وَالْبَذْخِ قَالُوا : فُلَانٌ يُكْثِرُ الزَّعْفَرَانَ ، يَشَبِّهُونَهُ
بِالْقَدْرِ الْمُتَكَلِّفِ لَهَا ، فَإِذَا كَانَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ وَلَا طَائِلَ عِنْدَهُ قَالُوا : فُلَانٌ
فَالْوَدَجُ (١٥) ، السُّوقُ ، قَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ :

(١١) الْبَيْتَانِ فِي شَرْحِ النَّهْجِ . (١٩٦ / ٢٠)

(١٢) أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ (تَوَفَّى سَنَةَ ٣٢ هـ) . مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ، قَدِيمِ الْإِسْلَامِ ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ
فِي الصَّدْقِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّا الرُّسُولَ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ . هَاجَرَ بَعْدَ وَفَاةِ الرُّسُولِ إِلَى بَادِيَةِ الشَّامِ ،
فَأَقَامَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَوَلِيَ عَثْمَانُ ، فَسَكَنَ دِمَشْقَ وَحَعَلَ دِيدَنَهُ تَحْرِيطَ الْفُقَرَاءِ عَلَى
مُشَارَكَةِ الْأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَشَكَاهُ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَثْمَانَ ، فَاسْتَقْدَمَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ نَفَاهُ إِلَى الرَّبَذَةِ ،
فَمَاتَ هُنَاكَ . وَكَانَ كَرِيمًا لَا يَحْزَنُ مِنَ الْمَالِ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ، وَلَمَّا مَاتَ لَمْ يَكُنْ فِي دَارِهِ مَا يُكْفِنُ بِهِ .
وَلَعَلَّهُ أَوَّلُ اشْتِرَاكِيٍّ طَارَدَتْهُ الْحُكُومَاتُ . رَوَى لَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ٢٨١ حَدِيثًا . (الْأَعْلَامُ
١٤٠ / ٢)

(١٣) ثَمَارُ الْقُلُوبِ ، ص ٥٢ .

(١٤) وَرَدَ الْبَيْتُ فِي الثَّمَارِ ضَمَّنَ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ مَسْنُوءَةٍ لِأَبِي نَوَاسٍ .

(١٥) فَالزُّدَجُ : فَارْسِيَّةٌ « بِالْوَدِ » . حَلَوَى تُصْنَعُ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْمَاءِ وَالْعَسَلِ ، وَتَتَّخَذُ كَذَلِكَ
مِنَ السَّكَّرِ وَاللُّوزِ وَمَاءِ الْوَرْدِ . وَانْظُرْ ثَمَارَ الْقُلُوبِ ، ص ٦٠٩ .

وكم (16) صديق يروق عيني في قالب الحسن (17) واللباقة
ليس له في الجميل رأي ولا بفعل الجميل (18) طاقة (19)
كأنه في القميص يمشي فالودج السوق في رقاقة (20)

فإذا كان رديء الخط قالوا : فلان خطه خط الملائكة (21)، لأن أجود الخط
أبينه وأردأه على الضد، وخط الملائكة غير واضح للناس.

وسمعت أبا القاسم علي بن الحسن الطهماني الفقيه يقول : سمعت أبا
محمد يحيى بن محمد العلوي يقول : إنما قيل ذلك لأن أردأ الخط الرقم (22)
وخط الملائكة رقم، كما قال الله تعالى : ﴿ كتاب مرقوم يشهده
المقربون ﴾ . (23)

فإذا كان لقيطاً لا يعرف له أب قالوا : هو من تربية القاضي (24)، ومن
موالي النبي ﷺ لأن القاضي يأمر بتربية اللقطاء، والانفاق عليهم من

(16) الأبيات في « يتيمة الدهر » للثعالبي، وفي روايتها إختلاف (115/3). وفيها « كم
من » بدل « وكم » .

(17) في اليتيمة : « بالشكل والحسن »

(18) في اليتيمة : « ولا بفعل القبيح » .

(19) الطاقة : القدرة

(20) رقاقة : جمع رقاق : وهي نوع من الخبز. وانظر الأبيات في الثمار.

(21) ثمار القلوب، ص 63 .

(22) الرقم والترقيم : تعجيم الكتاب، ورقم الكتاب يرقمه رقماً : أعجمه ويينه . وكتاب
مرقوم أي قد بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط .

(23) سورة المطففين، الآية 83، وقد وردت الفقرة بلفظها هذا في ثمار القلوب .

(24) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد : « ويكون عن اللقيط بتربية القاضي . »
(207/20) .

اللقط على أعمال البر والنبي ﷺ يقول : « أنا مولى من لا مولى له » .
وهذا المعنى أراد أبو نؤاس بقوله :

وجدنا الفضل أكرم من رقاش (25) لأن الفضل مولاة الرسول

ومحكى أن رجلاً يُتهم بالدعوة، قال لأبي عبيدة (26) لما اتهم بكتاب
« المثالب » : أتسب العرب جميعاً ؟ قال : وما يضرك أنت من ذلك ؟ يعني
أنه ليس منهم . فإذا ادعى النسب في هاشم وهو دعوى قالوا : هو ابن عم
النبي من الدلدل وهي بغلته ، قرابة ما بينهما كقرابة ما بين النبي وبين
البغلة ، وفي ذلك يقول أبو سعد دُوست :

فديتك ما أنت من هاشم وما أنت من أحمد المرسل
فإن قلت إني ابن عم النبي فأنت ابن عم من الدلدل

وأملح ما سمعت في الكناية عن الدعوة وكذب النسبة قول أبي الفتح
كُشاجم (27) :

شيخ لنا من مشايخ الكوفة نسبته في العراق موصوفة

(25) رقاش بنت همدان أو رقاش بنت ضبيعة ، وكلتاها أم جاهلية ، ولا ندري أيهما المقصودة
(الأعلام 31/3) .

(26) أبو عبيدة (110 - 209 هـ) معمر بن المشي التيمي بالولاء ، البصري النحوي : من
أئمة العلم بالأدب واللغة . مولده ووفاته بالبصرة . استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة 188 هـ ،
وقرأ عليه أشياء من كتبه . وكان إباحياً شعوبياً من حفاظ الحديث . كان يُبغض العرب
وصنف في مثالبهم كتباً له نحو 200 مؤلف ، منها « المثالب » و « طبقات الفرسان »
و « المحاضرات والمحاورات » . (الأعلام 272/7) .

(27) كُشاجم (توفي سنة 360 هـ) أبو الفتح الرملي ، المعروف بكشاجم . شاعر متقن ،
أديب ، من كتاب الاشياء . من أهل الرملة بفلسطين فارسي الأصل ، تنقل بين القدس ودمشق
وحلب وبغداد وزار مصر أكثر من مرة ، واستقر بحلب ، فكان من شعراء أبي الهيجاء عبد الله
بن حمدان ، والد سيف الدولة ، ثم ابنه من بعده من مصنفاته : « أدب النديم » و « المصايد

أي، مزورة لأن المزورة (28) موصوفة للعليل.

فإذا كان ملحدًا (29) قالوا: فلان حرّ وهو من الأحرار، ويكنون عنه أنه خارج عن ربقة الشريعة.

وربما كنوا بالخرّاط إذا يقال لكلاب مكة الخراطاة لأنها تخرط قلائدها وغدرها، فكأن الملحد بلا دين كما أن كلاب مكة بلا غدر.

ولأبي دلف الخزرجي (30) قصيدة في محاكاة بني ساسان (31) ووصف طبقاتهم وفيها في ذكر ملّحيهم :

رجال فطنوا للنقل والاعلال والأمر
خليجيون ما حاضوا ولا باتوا على طهر

الخليجي الذي لا يغسل أسنانه، ما حاضوا أي، ما تطهروا، رأوا من حكمه خراط القلايدات مع الغدر. وأهل بغداد يقولون لمن ألحد فلان قد عبر، يعنون أنه قد عبر جسر الاسلام. وقيل لبعضهم : هل

والمطارد « وحصائص الطرب ». ولفظ كُشاجم منحوت، فيما يُقال، من علوم كان يُتقنها : الكاف للكتابة، والشين للشعر، والألف للانشاء، والجيم للحدل، والميم للمنطق. (الأعلام 7/ 168)

(28) المزورة : مرقعة توضع للمريض خالية من الأدهان.

(29) الملحد : من ألحد الشخص عن الحق : عدل عنه وأدخل فيه ما ليس منه. وألحد عن الدين : مأل عنه وحاد وطعن فيه : « إنّ الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا. »

(30) أبو دلف : هي كنية القاسم بن عيسى، من بني عجل بن لجيم، أمير الكرخ وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء. ولم ننع لأبي دلف الخزرجي على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر. فلعل المقصود هو أبو دلف العجلي، الذي توفي ببغداد سنة 226 هـ. (الأعلام 5/ 179)

(31) بنو ساسان : اسم يُطلق على جمهور المكيّين.

عبرت ؟ فقال : ولدت في ذلك المكان ، يُكْنَى عن أنه لم يزل كذلك .

فإذا كان نذلاً خسيئاً قيل : هو ثامن أصحاب الكهف ، لأن الله تعالى يقول في قصّتهم ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ (32)

فإذا كانوا في عداد البهائم والأنعام قالوا كما قال الشاعر :
ألست من ذكر الذي ذكره في سورة الجمعة والنحل
يعني قول الله تعالى في سورة الجمعة : ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ (33) .

وفي سورة النحل : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها ﴾ (34)
فإذا كان أكلوا نهماً قالوا : فلان . مُلْتَهَب المعدة ، وكأن في أحشائه معاوية (35) .
فإذا كان سيء الأدب في المؤاكلة قالوا : تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران .

فإذا كان خفيف اليد في الطر (36) والسرقة قالوا ، هو أخذ يد القميص ،

(32) سورة الكهف ، الآية 22 .

(33) سورة الجمعة ، الآية 5 .

(34) سورة النحل ، الآية 8 .

(35) جاء في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (398 / 18) : « والعرب تُعَيَّر بكثرة الأكل ، وتعيب بالجلشع والشره والنهم ، وقد كان فيهم قوم موصوفون بكثرة الأكل منهم معاوية . قال أبو الحسن المدائني في « كتاب الأكلة » . كان يأكل في اليوم أربع أكالات أخراهن عظمهن ، ثم يتعشى بعدها بشريدة عليها بصل كثير ، ودهن كثير قد شغلها . وكان أكله فاحشا ، يأكل فيلطح منديلين أو ثلاثة قبل أن يفرغ ، وكان يأكل حتى يستلقي ويقول : يا غلام ، ارفع ، فلائي والله ما شبعْتُ ولكني مِللت .
(36) الطر : الخلس .

ويد القميص هو الكمّ والسارق يقصّ كمّه ويخفّفه ليكون أقدر على عمله .

قال الفرزدق في عمر بن هبيرة (37) :

أوليت العراق وساكنيه فزارياً أخذ يد القميص (38)

وقال أيضاً وهو من أبيات المعاني :

أظنك مفجوعاً برُبعٍ مُناقٍ تلبس أثوابَ الخيانة والغدر (39)

ولإنما كنّي عن أنّ يمينه تُقطع فيذهب ربع أطرافه .

فإذا كان غير نظيف البدن مغفلاً لتعهده قالوا : فلان أظفاره حمأ (40)

وإزاره مرعى . ومستجاد لأبي نواس قوله :

من ينأ عنه مصاده فمصاؤ زنبور ثيابه

وللصاحب :

وحوشه ترتع في ثوبه وظفـره يركـب للصـيد

ومن كنايات العامة في هذا المعنى قولهم : يعرض الجند .

(37) في الأصل المطبوع « عمر بن هبيرة » والصواب عمر بن هبيرة (توفي سنة 110 هـ) :

أبو المثنى ، أمير من السجعمان والذهاة . كان رجل أهل الشام . وهو بدوي أمي . ولأه

عمر بن عبد العزيز الجزيرة ، وغزا الروم فهزمهم وأسر منهم خلقاً كثيراً . ثم ولي العراق

وخراسان ، وكانت إقامته في الكوفة . وهو القائل في الفرزدق : « ما رأيت أشرف من الفرزدق ،

هجاني أميراً ومدحني أسيراً . » (الأعلام 5 / 68 - 69) .

(38) البيت في الديوان وفيه اختلاف (1 / 389) :

أأطعمت العراق ورافذيّه فزارياً أخذ يد القميص ؟

(39) البيت في الديوان (1 / 301)

(40) الحمأ . الطين .

وقد أجاد سعيد بن حميد في الكناية عن الصّنان (41) بقوله لأبي هفان (42) :
أمسى يخوفني العبدنيّ صولته وكف آمن بأس الضيغم (43) الهصر (44)
من ليس يُحرزني من سيفه أجلي وليس يمنعني من كيده حذري
له سهام بلا ريش ولا عقب وقوسه أبداً عطل من الوتر
فكيف آمن من ألقى له عرضاً وسهمه صائب يخفى عن البصر

وسمعت بعض العجائز تكني عن الصّنان برائحة الشباب .

فإذا كان قواداً قالوا : فلان يجمع شمل الأحاب ، وفلان يأتي الحبيب .

وقد يُكنّى به أيضاً عن الرقيب .

فإذا كان حاذقاً قالوا ، فلان حاذق بالقيادة يجرّ أحداً بشعرة ويؤلف ما
بين الضبّ والنون . (45) .

فإذا كان إمّا حسن اللّبة (46) ، وإمّا حسن الصّورة وليس وراءه حاصل
ولا لديه طائل قالوا : ليس وراء عبادان قرية . أنشدني الاستاذ الطبري
لنفسه في أبي سعد دُوشْت بن ملة الهروي :

(41) الصّنان : ريحُ الذّفر .

(42) أبو هفان المهزّمي (توفي سنة 257 هـ) - راوية ، عالم بالشعر والأدب ، من الشعراء ،
من أهل البصرة سكن بغداد ، وأخذ عن الأصمعي وغيره وكان مهتكا ، فقيراً ، يلبس ما لا
يكاد يستر جسده . من مُصنّفاته : « أخبار الشعراء » و « صناعة الشعر » و « أخبار أبي نواس »
(الأعلام 65 / 4)

(43) الضيغم : الذي يعضّ ، وهو الأسد .

(44) الهصر . الهيصر هو الأسد ، وأسد هصور وهصر يكسر ويُميل

(45) انظر محاضرات الأدباء (285 / 3) .

(46) اللّبة : موضع الذّبح من العنق

أبو سعدٍ له ثوبٌ مليحٌ ولكن حشو ذلك الثوب خرية
فإن جاوزت كسوته إليه فليس وراء عبادان قرية

فإذا كان لغير رَشْدَةٍ قالوا أبوه قصير الحائط . قال الصَّاحِب من أبيات :
فمهد على نصبه عذره فحيطانُ دار أبيه قصار

فإذا كان به جُنَّة قالوا : فلان مكتوبُ القميص ، لأنَّ المجنون قد يكتب
على قميصه لا يباع ولا يوهب . وفي الكناية عن الكَشْحَان (47) يقول أبو
سعد بن دُوسْت :
ومخالفٌ للحقِّ غير محالفٍ للصدقِ عبد تناظر وحجاج

ترك الحجاج إلى اللجاج فقلت يا رجز الدجاج ومنزل الحجاج

وسمعت أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي يقول . قال أبو
عبيدة : العارضة كناية عن البذل . يقال : فلان شديد العارضة
والاقتصاد ، كناية عن البخل ، فإذا قالوا : غلامك مُستعص ، فبتلك كناية
عن الجور . وقال شريح ! (48) الحد كناية عن الجهد والمشقة .

(47) الكشْحَان : الدِّيُوث .

(48) شريح القاضي (توفي سنة 78 هـ) : من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام .
أصله من اليمن . ولي قضاء الكوفة ، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية واستغنى في أيام
الحجاج فأعفاه سنة 77 هـ . وكان ثقة في الحديث ، مأمونا في القضاء ، له باع في الأدب والشعر .
وعمر طويلا ، ومات بالكوفة . (الأعلام 3/ 161)

فصل في الكناية عن ذم الشعراء والشعر

إذا كان الرجل مُتَشَاعِرًا غَيْرُ شَاعِرٍ قالوا : فلان نبيّ الشعر لأنّ الله تعالى يقول في نبيه ﷺ : ﴿ وما علّمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ (1) قال مخلص الموصلي :

يا نبيّ الله في الشعـر ر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم

يُغنُون قول الشاعر :

الشّعراء فيما علمنا أربعة : فشاعرٌ يُجْري ولا يُجْرى معه
وشاعرٌ ينشد وسط الجمعة (2) وشاعرٌ من حقّه أن تسمعه
وشاعرٌ من حقّه أن تصفّعه

وإياه عني من قال :

يا رابع الشعراء فيم هجوتني أحسبت أنّي مفحمٌ لا أنطقُ ؟

ولبعض أهل العصر :

قولا لشاعرنا الثقيل الأول الـ مُربي بطلعته على الرّقاء
يا ثاني الموت الزّوام وثالث النّحسين إنك رابع الشعراء

(1) سورة يس، الآية 64 .

(2) المّجّعة : مجلس الاجتماع

فإذا كان بارد الشعر قالوا : فلان من آلة الصَّيف. قال الجهماز في أبي السَّمط :

إنَّ أبا السَّمط فتى شاعرٌ وشِعْرُهُ من آلة الحرِّ
طوبى لمن في الصَّيف يُروى له خمسة أبياتٍ من الشعرِ

وقال ابن زريق الكوفي في شعر الصَّولي :

داري بلا خيش ولكني أعقدُ من خيشي طاقين
دارُ إذا ما اشتدَّ حرِّي بها أنشدتُ للصَّولي بيتين

وقال أحمد بن أبي طاهر (3) في الفتح بن خاقان (4)، وقد اعتلَّ من حرارة :

ما دواء الأمير فتح بن خاقا ن سوى شعرُ هذا الزَّمانِ
ودواء الأمير أن ينشدوه بعض ما قاله أبو هفان

وقيل للعتابي (5) : قد فُلع أبو مسلم الخلق، فقال : لعله أكل من نعره.

(3) أحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور المتوفى سنة 280 هـ) : مؤرخ من الكتاب البلغاء الرواة. أصله من مروالروذ، ومولده ووفاته ببغداد. كان مؤدب أطفال. له نحو خمسين كتاباً منها : تاريخ بغداد «و» المنشور والمنظوم «طبعت قطعة منه بعنوان «بلاغات النساء». وله شعر قليل. (الأعلام 141/1).

(4) الفتح بن خاقان (توفي سنة 247 هـ) : أديب شاعر فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الأصل، من أبناء الملوك. اتخذ المتوكل العباسي أخاه، واستوزه وجعل له إمارة الشام على أن يُنيب عنه. اجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. من مصنفاته : «إختلاف الملوك» وكتاب «الصَّيد والجوارح» وكتاب «الروضة والزهر». وقُتل مع المتوكل. (الأعلام 133/5)

(5) العتابي (توفي سنة 220 هـ) : كاتب، حسن التَّرسُّل، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة. يتصل نسبه بعمر وبن كلثوم الشاعر. وهو من أهل الشام وسكن بغداد، فمدح هارون =

واجتمع قوم من الشعراء على فالوذجة حارة فقال أحدهم للآخر
منهم : كأنها مكانك من النار، فقال : يصلحه بيت من شعرك .

وقيل للأستاذ الطبري : شعر فلان كالماء، قال : نعم، ولكن كماء
البئر في الصيف، وإنما أخذه من قول ابن الرومي :

أنت عندي كماء بئر في الصيف ثقیل يعلوه برّد شديد

وأنشدني أبو الحسن الحميري (هـ) لنفسه في الكناية عن شعر رديء غير
سائر :

لنا صديقٌ شعره داجنٌ لا يَألف الأسفار والغربة
لكنني أسمعُه راعياً لحقه في قِدم الصُّحبة

== الرّشيد وآخريّن . ورمي بالزّندقة فطلبه الرّشيد فهرب إلى اليمن، ثمّ آمنه الرّشيد فعاد واختصّ
بالبرامكة . من مُصنّفاتِه : « فنون الحكم » و« الآداب » و« الأجواد » و« الألفاظ » . (الأعلام
231/5) .

(6) لم نفع له على ترجمة، وهو غير أبو الحارث جَمير الذي مرّ ذكره.

فصل في السُّؤال والكُذبة

أول من كُنِيَ عن السُّؤال بالزُّوار خالد بن برمك (1)، وكان عبد الله بن شريك النَّميري صار إليه في جماعة من أهل البيوتات يستمِنحونه، وكان الزُّوار يُسمُّون السُّؤال، فقال خالد : أنا والله أستقبح لهم هذا الاسم وفيهم الأشراف والأجواد، ولكنَّنا نسَمِّهم الزُّوار. فقال له عبد الله : والله ما أدري أميرتنا منك أجل أم صِلتنا أم تسميتنا ؟ وقال في ذلك يزيد بن خالد الكوفي المعروف بابن حَبِيبات :

حذا خالدٌ في جوده حذو برمكٍ فمجدُّ له مستطرفٌ وأثيلٌ
وكان بنو الأعدام (2)، يُعزَّون قبله إلى اسمٍ على الإعدام فيه دليلٌ
يُسمُّون بالسُّؤال في كلِّ موطنٍ و إنَّ كان فيهم نابهٌ وجليلٌ
فسأهم الزُّوار سترًا عليهم وذلك من فعلِ الكِرام نيلٌ

وذكر الصَّولي هذا الخبر لغير خالد باسناد له أنَّ المُساور بن النُّعمان لما ولي كور فارس أتاه النَّاسُ، فقيل له : قد اجتمع سُؤالك، فقال : ما أقبح هذا من اسم، هؤلاء الزُّوار، فسَمُّوا به من ذلك اليوم . وفيه يقول

(1) خالد بن برمك (90 - 163 هـ) : أبو البرامكة، وأول من تمكَّن منهم في دولة بني العباس . ولَّاه السَّفاح ديوان الخراج وديوان الجند وحلَّ منه محلَّ الوزير . وقلَّده المنصور بلاد فارس، ثمَّ عزله ونكبه . ورضي عنه بعد ذلك وأمره على الموصل . مات في ولاية المهديِّ وكان سخيًّا سريًّا، فيه نل (الأعلام 2 / 295) .

(2) الإعدام : الفقر والخصاصة .

زياد الأعجم (3) :

إن المساور أعطى في عطيته سُؤاله أحسن الأسماء للبشر
كانوا يُسمّون سُؤالاً فصيرهم دون البرية زوواراً ولم يُجر

ويقال : فلان من أصحاب الجراب والمخرب، وفلان من قراء سورة
يوسف لأن قراء السُّؤال يستكثرون من قراءتها في الأسواق والمجامع
والجوامع لأنها أحسن القصص.

قال محمد بن وهب :

لئن كنت للأشعار والنحو حافظاً لقد كنت من قراء سورة يوسف

ويقال : فلان خليفة الخضر (4)، إذا كان جوالاً في الأسفار جواباً للبلاد
في الكدية.

وقد يُوصف بهذه الكناية من تكثر نهضاته وتصل حركاته وإن كان لغير
الاستباحة. ورؤي بعضهم يسأل في قرية، فقيل له : ما
تصنع ؟ فقال : ما صنع موسى والخضر، يعني أنها استطعا أهل القرية.

(3) زياد الأعجم (توفي نحو 100 هـ) : من شعراء الدولة الأموية. جزل الشعر فصيح
الألفاظ، وكانت في لسانه عجمة فلُقّب بالأعجم. ولد ونشأ في أصفهان، وانتقل إلى خراسان
وسكنها ومات فيها. وكان هجاءاً. وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وهجاء بخلاتهم. وكان
الفرزدق يتحاشى أن يهجو بني عبد القيس (وزياد مولا لهم) خوفاً منه. (الأعلام 3/ 54)
(4) الخضر . هو في المعتقد المسيحي إيليا بن إلياس، وفي المعتقد الإسلامي صاحب موسى،
الذي ورد ذكره في القرآن الكريم سورة الكهف في سياق حكاية موسى مع غلامه : « فوجدنا
عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علماً. »، وهو مدار إهتمام المتصوفة،
باعتباره صديقاً معمرًا قادرًا على الظهور بأشكال مختلفة، وفي أماكن متغايرة (المعجم العربي
الأساسي 402). وانظر تهار القلوب، ص 53.

وحدّثني نصر بن سهل بن المرزبان، قال : ولد لأبي العيناء ابن فأتاه أبو علي البصير مهتئاً له فقال : أيّ وقت فارق أمّه ؟ فقال : وقت الصّبح عند ضرب الدّبادب، فقال أبو علي : أرجو أن يُعرّفك الله بركته فما أخطأ وقته، يريد أن السُّؤال إنّما ينتشرون في ذلك الوقت للكدية .

ويقال، سأل رجل بعض المتجملين (٥)، فقال له المسؤول : باطنا كظاهرك والبستان كلّهُ كرفس (٦)، يعني أنه كهوفي الخصاصة والحاجة إلى السُّؤال .

وكتب بعض البلغاء في اقتضاء ميرة لرجل : فلان مقيم على انتظار جوابه وثمره إيجابه، يُكْنَى عن الصّلة بثمره الايجاب، وأحسن جدّاً .

وقلت، أنا في الكتاب «المبهج» : من جلب دُرّ الكلام حلب دُرّ الكرم .

(5) المتجمل : المحتاج يتظاهر بالكفاف تعففاً من السُّؤال .

(6) الكرّفس : عشب من فصيلة الخيميّات، يزرع كنبات طبيّ، كما تؤكل ضلوع أوراقه أو جذوره خضراً أو مطبوخة .

فصل في الكناية من الفقر وسوء الحال

يقال : فلان قد لبس شعار الصالحين أي افتقر.

ويقال : فلان رقت حاشية حاله ، وداره تحكي فؤاد أم موسى ، ويقرأ سورة الطارق ، أي ليس يرى فيها سوى السماء والنجوم .

ويقال : جاءنا فلان في قميص قد أكل عليه الدهر وشرب ، وجبة تقرأ إذا السماء انشقت .

وفلان وطاؤه الغبراء وغطاؤه الخضراء إذا كان لا يستتر من الله بشيء .

ودخل أبو الحسن محمد بن عبد الله المعروف بابن سكرة حمام موسى ببغداد فسُرقت نعله فقال :

تَكَانَفْتُ (١) اللصوصُ عليه حتَّى ليُخْفَى من يسلِّمُ به ويعرا
ولم أفقد به ثوبًا ولكن دخلت محمداً وخرجت بشرا

يعني بشرا الحافي (٢) .

(١) تَكَانَفْتُ : اجتمعت وتعاضدت .

(٢) بشر الحافي (١٥٠ - ٢٢٧) . من كبار الصالحين . له في الزهد والورع أحبار ، وهو من ثقب رجال الحديث ، من أهل مرو ، سكن بغداد وتوفي بها . قال المأمون لم يبق في هذه الكورة أحد يُستحيى منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث (الحافي) (الأعلام ٥٤ / ٢) .

فصل في الكناية عن الصّفع

كان أبو هفّان يقول : أنا لا أمزح إلّا باليدين والوالدين يُكَنِّي عن الصّفع والشّتم. ومن أبلغ ما سمعت في الكناية عن الصّفع قول اسماعيل السّبحي في أبي نواس :

ولما تصدّى لأعراضنا ولم يك في عرضه منتقم
كتبنا الهجاء على أخدعيه⁽¹⁾ بمزدوجٍ من أكفّ الخدم

ومما استظرف قول ابن لنكك⁽²⁾ في أبي ريش (3) :

(1) الأخدعان : واحده الأخدع ، عرقان خفيّان في موضع الحجامة من العنق ، وربّما وقعت الشرّطة على أحدهما فنزف صاحبه لأنّ الأخدع شعبة من الوريد.

(2) ابن لنكك (توفي نحو 360 هـ) شاعر ، وصفه الثّعالبي بفرد البصرة وصدر أدبائها. وقال : أكثر شعره مُلح وطُرف ، جلّها في شكوى الزّمان وأهله وهجاء شعراء عصره ، وهو صاحب البيت المعروف :

نعيب زماننا ، والعيب فينا ولو نطق الزّمان إذا هجانا.
له ديوان شعر إطلع عليه الثّعالبي وأورد منه مختارات. وكان معاصراً للمتنبي وهجاءه . (الأعلام 20/7)

(3) أبوريّاش اليماميّ : ذكر ياقوت الحموي في ترجمة ابن لنكك « أنّ التّقدّم كان في زمنه (ابن لنكك) لأبي الطّيب المتنبّي وأبي ريش اليماميّ ، فكسدت بضاعته بنقاق سوقهما (. . .) ، فولع بثلبهما والتشقي بهجوهما وذمّهما . فمن هجائه لأبي ريش قوله :

نُبئت أنّ أبا ريش قد حوى علم اللّغات وفاق فيما يدّعي
من تخبري عنه ؟ فأنّي سائل من كان حنكه بأيّر الأصمعي ؟
(معجم الأدباء 9/19)

أصابعه من الحلواء صفرٌ ولكنّ الاخادع منه حمُرُ

وقوله :

لَمْ أَقْبَلْ فَاهَ لَكِنْ قَبِلْتُ كَفِّي قَفَاهُ

وأستحسن قول منصور الفقيه :

يَا مَنْ يَرَانِي وَالْبَرِيَّةَ كُلَّهَا فِي الْعِلْمِ دُونَهُ
صَنْ مَا تُزِرُ عَلَيْهِ طَوْ قَكَ إِنْ بَدَأَ لَكَ أَنْ تَصُونَهُ

وأستجيد ما أنشدنيه أبو بكر الخوارزمي لبعضهم في إنسان وقح
صفعان :

سَلَاحُهُ فِي وَجْهِهِ وَمَالُهُ فِي هَامَتِهِ
فَكُلُّ مَا يَمْلِكُهُ يُجْمَعُ فِي عِمَامَتِهِ

وما ألفت قول السري الموصلي في الكناية عن الصّفع :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمَلُوكُ وَفُودَهُمْ نَفَضَتْ عِمَائِهِمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

ولم يُر في هذا المعنى أملح مما أنشدنيه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان
لابن سُكْرَةَ فِي ابْنِ قُرَيْعَةَ (4) :

(4) ابن قُرَيْعَةَ (302 - 367 هـ) : قاص من أهل بغداد، إشتهر بسرعة البديهة في الجواب عن جميع ما يُسأل عنه. ودوّنت « أجوبته » في كتاب أقل الناس على تداوله، وفيها الظّريف المضحك. وكان مختصاً بالوزير أبي محمد المهلب، ونادم عزّ الدولة بن بويه، فكان لا يُفارقه. وولي قضاء « السّندية » وغيرها من أعمال بغداد. (الأعلام 6/190).

رَأَيْتُ قَلَنْسَوَةً تَسْتَغِيثُ وَمِنْ فَوْقِ رَأْسٍ تُنَادِي تُحَذُونِي
وَقَدْ قَلَقْتُ فِيهَا طَوْرًا تَمِيلُ مِنْ عَنْ شِمَالٍ وَمِنْ عَنْ يَمِينٍ
فَقُلْتُ لَهَا مَا الَّذِي قَدْ دَهَاكَ فَقَالَتْ مَقَالَ كَثِيبٍ حَزِينٍ
دَهَانِي أَنْ لَسْتُ مِنْ قَالِبِي وَأَخْشَى مِنَ النَّاسِ أَنْ يُنْكِرُونِي
وَأَنْ يَأْخُذُوا فِي مَزَاحٍ مَعِي وَإِنْ فَعَلُوا ذَاكَ بِي قَطَّعُونِي

فصل في الكناية عن الصناعات الدنيّة

سُئِلَ الشَّعْبِيُّ (١) عَنْ رَجُلٍ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ : إِنَّهُ لَيَنَّ الْجُلُوسَةَ ، نَافِذَ الطَّعْنَةِ ، فَرُؤُوجٌ ، فَإِذَا هُوَ خِيَّاطٌ .

وَحَكَى الْجَاهِظُ عَنِ النَّظَّامِ (٢) أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى عَنِ الْحَائِكِ بِأَخْصَرِ الْبَطْنِ ، يَعْنِي أَنَّ الْخَسْفَ (٣) قَدْ خَصَرَ (٤) بَطْنَهُ .

وَسُئِلَ حَجَّامٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ ، فَقَالَ : أَنَا أَكْتُبُ بِالْحَدِيدِ وَأَخْتَمُ بِالزَّجَاجِ .

وَمَنْ أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ فِي هَذِهِ الْكِنَايَةِ مَا يَحْكِي أَنَّ الْفَرَزْدَقَ دَخَلَ عَلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ (٥) وَهُوَ فِي ذِمٍّ مَضْرُومٌ وَمُدَّحٍ الْيَمَنِ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : إِنَّ

(١) الشَّعْبِيُّ (١٩ - ١٠٣ هـ) رَاوِيَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ ، يُصْرَبُ الْمَثَلُ بِحِفْظِهِ وَلَدَ وَشَاءَ وَمَاتَ بِالْكُوفَةِ اتَّصَلَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَكَانَ بَدِيمَهُ وَسَمِيرَهُ وَرَسُولَهُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ . وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ الثَّقَاتِ . اسْتَقْضَاهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَكَانَ فَقِيهًا شَاعِرًا (الأعلام ٢٥١ / ٣)

(٢) النَّظَّامُ (تُوِفِّيَ سَنَهُ ٢٣١ هـ) مِنْ أُمَّةِ الْمُعْتَزَلَةِ تَبَحَّرَ فِي عُلُومِ الْفَلَسَفَةِ وَأَطْلَعَ عَلَى أَكْثَرِ مَا كَتَبَهُ رِجَالُهَا مِنْ طَبِيعِيِّينَ وَهَمِيَّينَ ، وَانْفَرَدَ بِأَرَاءٍ خَاصَّةٍ تَابَعَتْهُ فِيهَا فِرْقَةٌ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ سُمِّيَتْ « النَّظَّامِيَّةُ » نِسْبَةً إِلَيْهِ وَقَدْ أَلْفَتَ كِتَابَ خَاصَّةٍ لِلرَّدِّ عَلَى النَّظَامِ وَفِيهَا تَكْفِيرٌ لَهُ وَتَضْلِيلٌ .

(الأعلام ٤٣ / ١)

(٣) الْخَسْفُ . الْهَزَالُ وَالذَّلُّ

(٤) خُصِرَ : اسْتَدْقَ وَضُمِرَ وَغَارَ .

(٥) بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ (تُوِفِّيَ سَنَهُ ١٢٦ هـ) . أَمِيرُ الْبَصْرَةِ وَقَاصِيهَا . كَانَ رَاوِيَةً فَصِيحًا أَدِيبًا وَلَهُ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ سَنَةَ ١٠٩ هـ ، فَأَقَامَ إِلَى أَنْ قَدِمَ يَوْسُفُ بْنُ عُمَرَ التَّقْفِيُّ وَعَمِلَهُ وَحَسَّهُ ، فَمَاتَ

فضل اليمن لا يُدفع ، سيّا الواحدة التي بان بها أبو موسى (٦) ، فقال بلال : إنّ فضائل أبي موسى كثيرة فأيتها تعني ؟ فقال [. . .] (٧) بنفسه عن رسول الله ﷺ حين غلبه دمه ، يعني أنّه كان حجمه في بعض أسفاره ، فقال بلال : أجل قد فعل ذلك برسول الله ، ولم يفعل بأحد قبله ولا بعده ؟ فقال الفرزدق : إنّ الشيخ كان أتقى لله وأعلم به من أن يُقدم على نبيه بغير حذق . فسكت بلال وحقدّها على الفرزدق وعُدّت في جوابات الفرزدق المُسَكِّتة .

ومن نادر ما كُنّي به عن الحجام ومشهوره قول عتبة الأعور لابراهيم بن سيّار (٨) :

يا بن الذي عاش غير مضطهدٍ (٩) [يرجمه] (١٠) الله أيما رجل
له رقابُ الملوك خاضعةٌ [ما بين حافٍ منهم ومُتعلٍ] (١١)

سجينا . كان ثقة في الحديث ، ولم تحمد سيرته في القضاء . وكان يقول : إنّ الرجلين ليختصمان إليّ فأجد أحدهما أخفّ على قلبي ، فأقضي له . وهو ممدوح ذي الرمة الشاعر . (الأعلام 2 / 72)
(6) أبو موسى الأشعريّ (21 ق . هـ - 44 هـ) : صحابي من الشجعان الفاتحين ، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما معاوية وعلي بعد حرب صفين . ولي البصرة في عهد عمر وعزله عثمان فانتقل إلى الكوفة فكان أميرها إلى أن قتل عثمان ، فأقرّه عليّ . وكان من رأيه القعود في الفتنة ، فعزله عليّ . وتوفي بالكوفة . له 355 حديثا . (الأعلام 4 / 144)

(7) نقص في الأصل المطبوع .

(8) في « جمع الجواهر في الملح والنوادر » للحصري « ابن سيابة » ، أمّا ابراهيم بن سيّار فهو اسم أبي إسحاق النّظام .

(9) في « جمع الجواهر » : « مُهْتَضَمٍ » .

(10) في الأصل المطبوع « يرحمك » ، ومّا أثبتناه من « جمع الجواهر » وهو ما يقتضيه السياق .

(11) في الأصل المطبوع « من بين حافٍ ومُتعلٍ » ، وفي خلل ، ومّا أثبتناه من « جمع الجواهر » .

أَبوك أَوْهَى النَّجَادُ (12) عَاتَقَهُ كَمَ مِنْ كَمِي (13) أَدْمَى وَمِنْ بَطَلٍ
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يُنْمَسِ مِنْ ثَائِرٍ (14) عَلَى وَجَلٍ
بَكْفِهِ (15) مَرَهْفٍ يَقْلِبُهُ يَقْطَعُ (16) أَعْنَاقَ سَادَةِ نُبُلٍ

وَأَخَذَ الطَّائِفَ (17) بِالْكُوفَةِ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ مِنْ أَنْتِ فَأَنْشَدَ :
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَا يَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ إِذَا مَا مَضَى وَفَدُ أَتَتْهُ وَفُودُ (18)
فَخَلَّى عَنْهُ حَسْبَهُ ابْنُ بَعْضِ الْأَشْرَافِ، فَإِذَا هُوَ ابْنُ بَاقِلَانِي (19).

وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ لِأَبِي بَكْرِ الْعَلَّافِ فِي الرَّجَاجِيِّ النَّحْوِيِّ (20)
لَكَ وَدٌّ قَدْ جَبَرْنَا هَ فَاَعْيَانَا صَدُوعَهُ
فَإِذَا وَدَّكَ تَمَمَّا كُنْتَ بِالْأَمْسِ تَبِيعَهُ

(12) النَّجَادُ : مَا وَقَعَ عَلَى الْعَاتِقِ مِنْ حِمَائِلِ السَّيْفِ.

(13) الْكَمَى : الشَّجَاعُ الْمَتَكَمَّى فِي سِلَاحِهِ لِأَنَّهُ كَمَى نَفْسَهُ، أَيْ سَتَرَهَا بِالذَّرْعِ وَالْبَيْضَةِ،
وَالْجَمْعُ كُهَاً.

(14) فِي « جَمْعِ الْجَوَاهِرِ » : « دَائِرٍ »

(15) فِي « جَمْعِ الْجَوَاهِرِ » : « كَفَّهُ »

(16) فِي « جَمْعِ الْجَوَاهِرِ » : « يَقْدُّ »

(17) الطَّائِفُ : عَسِيسُ اللَّيْلِ.

(18) الْبَيْتَانِ فِي « جَمْعِ الْجَوَاهِرِ »، وَفِي رِوَايَةِ الْبَيْتِ الثَّانِي اخْتِلَافٌ :

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودٌ

(19) انْظُرِ الْخَبْرَ بِكَامِلِهِ فِي « جَمْعِ الْجَوَاهِرِ »، 239.

(20) الرَّجَاجِيُّ (تُوِفِّي سَنَةَ 337 هـ) : شَيْخُ الْعَرَبِيَّةِ فِي عَصْرِهِ. وَلَدَ فِي نِهَاوَنْدٍ وَنَشَأَ فِي بَغْدَادَ

وَسَكَنَ دِمَشْقَ وَتُوِفِّي فِي طَبْرِيقَةِ. مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ : « الْجَمَلُ الْكَبِيرُ » وَ« الْإِيضَاحُ فِي عِلَلِ النَّحْوِ »

وَ« مَجَالِسُ الْعُلَمَاءِ ». (الْأَعْلَامُ 3/ 299)

الباب الخامس

في الكناية عن المرض والشَّيب والكبر والموت

فصل في المرض

هذا الفصل مقصور على ألفاظ البُلغاء من أهل العصر في الكناية عن المرض يقع في فصول هذا الباب.

فمنها، قولهم [جَمَشَه] (١)، الزَّمان وهو من قول أبي الطَّيب المتنبي
لسيف الدَّولة :

[يُجَمِّشُكَ] (٢)، الزَّمان هوى وحُبًّا وقد يؤذى من المقة (٣) الحبيب (٤)

(١) في الأصل المطبوع « خَمَشَه » وما أثبتناه هو الصَّواب استنادا إلى ما ورد في الشَّاهد الشعري
(٢) في الأصل المطبوع « تَجَمَّشُكَ » ، وما أثبتناه من ديوان المتنبي بشرح عبد الرَّحمن البرقوقي
والتَّجَمُّش شبه المغازلة والملاعبة بين الحبيبين . قال أبو العباس ثعلب : قيل للمغارلة تجميش
من الجمش وهو الكلام الخفي .
(٣) المقة : المحبة وأصلها ومَقٌّ .

(٤) البيت من قصيدة قالها المتنبي في سيف الدَّولة وقد إشتكى من دُمَل ، ومعناه « إِنَّ الَّذِي أَلَمَ
بِكَ إِنَّمَا هُوَ تَجْمِيشٌ مِنَ الزَّمانِ لِحَبِّهِ إِيَّاكَ وَتَعَلَّقَهُ بِكَ لِأَنَّكَ جَمالُهُ وَأَمِثْلُ أَهْلِهِ ، وقد يكون الحُبُّ
سببا لا يذاء المحبوب . » (شرح ديوان المتنبي لعبد الرَّحمن البرقوقي 201/1)

ومنها : قولهم عرضت له فترةٌ أصابت عُوده ، اشتكى الكرمُ لشكايته ،
عرض له ما يجعله الله تمحيصًا لا تنغيصًا ، وتذكيرًا لا نكيرًا ، وأدبًا لا
غضبًا ، عرض له ما يمحو ذنوبه ويكفر سيئاته .

وكنى الصاحب عن الجرب بقوله لأبي العلاء الأسدي من أبيات :
أبا العلاء ملك (5) الهزل والجذد كيف النجوم التي تطلعن في الجلد (6) ،
وسمعت الأستاذ الطبري يقول في ذكر مريض شارف التلف : قد
اختلف إليه رسل أبي يحيى (7) .

وكتب أبو منصور الشيرازي في ذكر اشتداد علة بعض الرؤساء : طالع
الكرم يترجح نجمه بين الإضاءة والأفول وتميل شمسُه بين الاشرار
والغروب .

(5) في اليتيمة « هلال » .

(6) في اليتيمة « للجذد » . والبيت من البسيط .

(7) أبو يحيى : كنية الموت .

فصل في كنايتهم عن الشَّيب

أقبل ليَّله، نورُ غَضْنِ شَبَابِه، ذَرَّتْ يَدُ الدَّهْرِ كَافُورًا عَلَى مِسْكِه،
[فُضُّضَ] (1) أَنْبُوبِه، [لَجَّ] (2) الْأَقْحَوَانِ (3) فِي بِنَفْسِجِه (4).

وأحسن هذا كله قول الله عزَّ اسمُه : ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ (5)

ويُنشد أصحاب المعاني قول بعض العرب :
ولما رأيتُ النَّسْرَ عزَّ ابن دأية وعشَّش في وكُريه جاشت له صدري
وللنَّسر كناية عن الشَّيب وابن دأية الغراب، وكُنِّي به عن الشَّباب.

(1) لا وجود لمادَّة « فُضُّضَ » في القاموس، وَ الشَّيْءُ الْمَفْضُضُ . أي الممَّوءة بالفضَّة أو المرصَّع، وهذا المعنى يليق بالمقام .

(2) لا وجود لمادَّة « لَجَّ » في القاموس، ولعلَّ المقصود هَوَلَجَّ : وتنادى في الأمر أو ولجَّ بمعنى دخل وغشى وتفشَّى، وكلاهما يصلح للمقام .

(3) الْأَقْحَوَانِ : نبات زهره أبيض أو أصفر، وهو هنا كناية عن الشَّيب

(4) البنفسج : جنس أزهار شذية الرائحة .

(5) سورة فاطر، الآية 37 .

فصل في كنايتهم عن الاكتهال

استبدل بالأدهم (١) الأبلق (٢) وبالغراب العقعق (٣)، ارتاض بلجام
الذهر، نفض غبرة الصبا ولبى داعية الحجى (٤)، تجلّ ملابس أهل
العقول، أدرك زمان الحنكة.

(١) الأدهم : الخالك السواد.

(٢) الأبلق : من البلق وهو البياض الذي يخالطه سواد.

(٣) العقعق : طائر ذولوتين أبيض وأسود طويل الذنب، وهو من نوع الغربان.

(٤) الحجى : العقل.

فصل في كنايتهم عن الشيخوخة

والكبر والهرم ومشاركة الموت : قد فُسح له في المهل ، قد تضاعفت عقود عمره ، تناهت به السن ، قد صَحَّت الأيام الحالية (١) ، فلان شمس العصر على القصر ، قد بلغ ساحل الحياة ، ووقف على ثنية الوداع وأشرف على دار المقام ، وكاد يلحق باللطيف الخبير (٢) .

ولما سقطت ثنية (٣) معاوية (٤) في الطست اشتد جزعه فقال له أبو الأعور السلمي : خَفِّض (٥) عليك يا أمير المؤمنين ، فوالله ما بلغ أحد سنك إلا نقض بعضه بعضاً (٦) .

(١) كذا في الأصل المطبوع ، ولعلها « الخالية »

(٢) نهج شرح البلاغة (٤٨ / ٥) .

(٣) ثنية : واحدة الثنايا من السن ، الثنية من الأصراس أول ما في الفم . وثنايا الانسان في فمه الأربع التي في مقدم فيه : ثنتان من فوق وثنان من أسفل .

(٤) معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق . هـ - ٦٠ هـ) : مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار . كان فصيحاً حليماً وقوراً أسلم يوم فتح مكة وكان من كتاب الرسول . شق عصا الطاعة إثر مقتل عثمان بن عفان ، وكان والي الشام من قبله ، فنتسبت حروب انتهت باستلائه على الخلافة بعد مقتل علي وتنازل ابنه الحسن ومات في دمشق له ١٣٠ حديثاً اتفق البخاري ومسلم على أربعة منها (الأعلام ٢٦٢ / ٧)

(٥) خَفِّض عليك : هَوَّن عليك .

(٦) وشبيه بهذا ما أورده الجاحظ في « البيان والتبيين » (٢٧٠ / ٢) : « دخل رجل على معاوية . وقد سقطت [بعض] أسنانه فقال : يا أمير المؤمنين إن الأعضاء يرث بعضها بعضاً ، فالحمد لله الذي جعلك وارثها ولم يجعلها وارثك . »

فصل في الكناية عن الموت

استأثر الله به ، أسعده الله بجواره ، نقله الله إلى دار رضوانه ومحلّ غفرانه ، كُتِبَتْ له سعادة المحتضر وأفضت به إلى الأمر المنتظر، أختار الله له النُّقْلة من دار البوار إلى محلّ الأبرار، وأنا أستحسن قول المرقش الأكبر (١) :
ليس على طول الحياة من ندم ومن وراء المرء ما يعلم

وحدّثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال : دخل ابن مُكرّم إلى أبي العيّناء عائداً، فقال له : إرتفع فديتك، قال : رفعك الله إليه، أي أماته .

وتولّع رجل ببعض الظرفاء فقال له : رأيتك تحتي، قال : مع ثلاثة مثلي، يعني في رفع جنازته .

وسمعت بعض الحكماء يقول في الكناية عن موت صديق له : قد استكمل فلان حدّ الانسان، لأنّ حدّ الانسان أنه حيّ ناطق، وكثيراً ما يُكَنّون عن القبر بالتربة والمضجع والمرقد والمشهد .

(١) المرقش الأكبر (توفي نحو سنة 75 ق. هـ) : شاعر جاهليّ، من المتيمين الشجعان . عشق ابنة عمّ له اسمها « أسماء » وقال فيها شعرا كثيرا . وكان يُحس الكتابة . وشعره من الطبقة الأولى ، ضاع أكثره إتصل مدّة بالحارث أبي شمر الغساني ونادمه ومدحه . واتّخذ الحارث كاتباً له . وتزوّجت عشيقته برجل من بني مراد، فمرض المرقش زمناً، ثمّ قصدها فمات في حبّها .
(الأعلام 95/5)

فصل في الكناية عن القتل

صُلي بَحَرَ المناصل (١)، قبل حر النار، وسقى الأرض من دمه بطلّ
ووابل، عُدِم برد الحياة، وذاق حرّ المرهفات، أروى منه غُلّة السيف،
وأحسن من هذا كله قول الله تعالى : ﴿ فوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ (٢)
أي قتله.

وحدّثني أبو النصر محمّد بن عبد الجبار (٣) قال : كان وزير الوقت سلّم
بعض أفاضل العُمّال إلى ابن أبي البغل عند نهوضه إلى رأس عمله
بالأهواز، وأمره بتصرفه من أعماله فيما يستصلحه له ليَجبر به خلل حاله،
فاستعمله على بعض أموال بيت المال، ثمّ قتله تحت المطالبة بما جمعه حُكْم
الاستيفاء عليه، وخاف من درك الانتقام من جانيته على وديعة من لزمه
شكر صنيعته، فأفضى [به] (٤) الفكر إلى تمحلّ ما يخرج من عهدة
بادرته ويحلّه من ربة جانيته، فلم يجد لذلك معنىً مُحيلاً ولا لفظاً يُكون
على المراد دليلاً. وطلب من يفصح عنه بالمعذرة ويوجب له سبب

(١) المناصلُ : واحدها المنصل والمنصل : السيفُ.

(٢) سورة القصص، الآية ١٥.

(٣) محمّد بن عبد الجبار (توفي سنة ٤٢٧ هـ) مؤرّج من الكتاب الشعراء. أصله من الريّ
نشأ في خراسان وولي نيابتها. ثمّ استوطن نيسابور. وانتهت إليه رئاسة الانشاء في خراسان
والعراق، وناب عن شمس المعالي قاسوس بن وشكمير في خراسان إلى أن توفي من
مصنّفاته : « لطائف الكتاب » في الأدب و« اليميني » في التاريخ. (الأعلام ١٨٤/٦ - ١٨٥)

(٤) ما بين الحاصرتين زدناه ليستقيم التركيب

الأنفصال من تبعة تلك المعاملة على شريطة حايِظِمْ خَطَرُهُ، ويظهر في سدّ خصائصه الحال أثره (5)، إلى أن دُلَّ على شيخ من أرباب الصّناعة قد أقعدته المحنة وأكسدتَه العُطلة، فدعاه واستنشأه كتابًا إلى الوزير في مُهمّاتٍ من وجوه المعاملات.

ومن حديث القتل في ضمن الكلام، فقال له : اكتب عذرًا لهذا (6)، المعنى، فكتب : أمّا فلان، فإنّ الوزير رسم باستعماله فلما [استعمله استخونه فأدّبه فوافق، الأدب الأجل] (7)، فتعجب ابن أبي البغل (8) من قدرته وسرعة فطنته وقوّة خاطره على استخلاصه ما للفظ الوجيز والمعنى المحيل عن عُهدة جنائته، ووصله بَمالٍ جزيل وشغله بعمل جليل.

(5) كذا في الأصل المطبوع، وفي التّركيب خلل ظاهر، ولعلّ الصّواب « ويظهر في سدّ خصائصه الحال أثره ».

(6) كذا في الأصل المطبوع، ولعلّ الصّواب « بهذا »

(7) في الأصل المطبوع « استعملته استخوته فأدّيته فوافق الأدب الأجل » ولا معنى له، وما أثبتناه هو الصّواب استنادًا إلى السّياق.

(8) أبو الحسين محمّد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل : من رجال الدّولة العبّاسيّة. كان عاملاً على أصبهان ورغب في الوزارة، وتوسّطت له أمّ موسى القهرمانه، وأحسن الخاقانيّ الوزير بذلك فقبض عليه، واستنقذته أمّ موسى فأعيد إلى أصبهان. ولما قبض على أمّ موسى، صرف من عمله وصور أولًا وثانيًا واعتقل. وكان في خشية القتل لما ورد الخبر بعزل الوزير ابن الفرات. (نشوار المحاضرة للتّوحي 152/2)

قال مؤلف الكتاب : أظنّ الشّيخ أَلَم في معنى ما كتبه بتوقيع لعبد الله ابن طاهر (9) فزاد في تحسينه ولطّف تهذيبه، وقد كان عبد الله ضرب بعض قُوداه ضرباً مبرحاً فمات منه فُرفع خبره اليه، فوقّع : ضَرَبْنَاهُ لِذَنْبِهِ فمات لِأَجَلِهِ.

(9) عبد الله بن طاهر، الخِزَاعِيّ بِالْوَلَاء (182 - 230 هـ) : أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العبّاسي. ولي إمرة الشّام مدّة ثمّ نقل إلى مصر ومنها إلى الدّينور، ثمّ ولّاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته، واستمرّ فيها إلى أن توفّي بمرو. وكان من أكثر النّاس بذلاً للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشّعراء فيه مرات كثيرة. (الأعلام 93/4 - 94)

الباب السادس

في ما يُوجِبُه الوقت والحال من الكَنَاية عن الطَّعام
والشَّراب وما يتَّصل بهما

فصل

في الأطعمة وما يتعلّق بها

دخل الشَّعبي إلى صديق له، فعَرَض عليه الطَّعام وقال : أي
التُّحفتين أحبُّ اليك، تحفة مريم أم تحفة إبراهيم (١) ؟ فقال : أمّا تُحفة
إبراهيم فعهدي بها السَّاعة، فأخرج اليه سلّة رطب. وإنّا كنّا عن اللّحم
لأنّ في قصّته عليه الصّلاة والسّلام (٢) ﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيذٍ ﴾ (٣).
وكنّا بتُحفة مريم عن الرُّطب لأنّ في قصّتها : ﴿ وَهَزَّيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ
النَّخْلَةِ تَسَاقُطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنًّا ﴾ (٤).

(١) ثمار القلوب، ص 44

(٢) المقصود إبراهيم .

(٣) سورة هود، الآية 69 .

(٤) سورة مريم، الآية 25

وسمعتُ أبا سَعْدٍ أَحْمَدَ بنَ مُحَمَّدَ بنِ مَلَّةَ الهُرَوِيِّ يَقُولُ : اجْتَازَ الْمُبَرَّدُ
بِسَدَابِ الْوَرَّاقِ وَهُوَ عَلَى بَابِ دَارِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَسُرَّهُ بِدُخُولِ مَنْزِلِهِ
وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى مَا حَضَرَ، فَقَالَ لَهُ الْمُبَرَّدُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : يَا سَيِّدِي ،
عِنْدِي أَنْتَ وَعَلَيْهِ أَنَا، يَعْنِي اللَّحْمَ الْمُبَرَّدَ وَعَلَيْهِ السَّدَابُ (٥) فَضَحِكَ مِنْهُ
وَأَجَابَهُ .

وسمعتُ أبا الْفَضْلِ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ أَحْمَدَ الْمِيكَائِيلِي يَقُولُ : قَالَ أَعْرَابِيٌّ
لَاْمَرَأَتِهِ : أَيْنَ بَلَغْتَ قِذْرَكُمْ ؟ فَقَالَتْ : قَدْ قَامَ خَطِيبُهَا، تُكَنِّي عَنْ
الْغَلْيَانِ .

وَقِيلَ لِلجَمَّازِ : أَيُّ الْبَقُولِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ : بِقَلَّةِ الذُّئْبِ (٦) ، يَعْنِي
اللَّحْمَ .

وَدَخَلَ إِلَيَّ يَوْمًا بَعْضُ الظُّرَفَاءِ مِنَ الْفُقَهَاءِ فَطَاوَلَنِي الْحَدِيثَ ثُمَّ قَالَ لِي
مَا قَبْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ (٧) . فَقُلْتُ آتِنَا
غَدَاءَنَا، قَالَ : فَاعْمَلْ عَلَيْهِ، فَاسْتَظَرَفْتُ هَذِهِ النَّادِرَةَ، وَأَمَرْتُ بِتَقْدِيمِ مَا
يَتَنَاوَلُهُ .

وَكَانَ الطَّبْرِي يَقُولُ : إِذَا رَأَيْتَ النَّدِيمَ يَقْتَرِحُ أَنْ تُغْنِيَ هَذَا الْبَيْتَ :
خَلِيلِي دَاوَيْتُمَا ظَاهِرًا فَمِنْ ذَا يَدَاوِي جَوِّي (٨) بَاطِنًا
فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَائِعٌ يَرِيدُ أَنْ يَطْعَمَ .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَمْ نَعْتَزِلْهَا عَلَى تَفْسِيرِ .

(٦) ثَمَارُ الْقُلُوبِ ، ص ٣٨٨

(٧) سُورَةُ الْكَهْفِ ، آيَةُ ٦٢ .

(٨) الْجَوِّي : الدَّاءُ

قال، ولهذا قصّة. وهي أن رجلاً دخل دعوة وبه جُوع شديد، فسأله المُطرب عن المُقترح من الغناء فأقترح هذا البيت، ففطنت لمراده جاريةُ صاحب المنزل؛ وقالت لمولاها : أطعم الرجل فإنه جائع.

وقيل لبعضهم : أيّ الجوارشات أحبّ إليك ؟ فقال : جوارش (9) الحنطة، يعني الخبز.

وللصّوفية كنايات عن الأطعمة (10) استظرفت منها قولهم للحمل الشهيد ابن الشهيد، وللقطائف (11) قبور الشهداء، وللفالوذج خاتمة الخبر، وللأرز بالسّكر الشّيوخ الطبريّ بالطّيلسان العسكريّ، وللوزينج أصابع الحور. وكان الجاحظ يأكل يوماً مع محمّد بن عبد الملك الزيّات (12)، فجيء بفالوذجة فتولّع محمّد بالجاحظ، وأمر أن يُجعل من جهته مارق من الجام (13)، فأسرع في الأكل حتّى نظّف ما بين يديه، فقال محمّد : يا أبا عثمان، قد تقشّعت سماؤك قبل سماء الناس، فقال : أصلحك الله، لأنّ غيمها كان رقيقاً.

(9) الجوارشات : ما لم يحكم سحقه ولم يُطرح على النّار بشرط تقطيعه رقائقاً، من الشّعير والرّ وغيره.

(10) انظر بهذا الخصوص ثمار القلوب، ص 174، مادّة : « أكل الصّوفي ».

(11) القطائف : طعام يُسوى من الدّقيق المُرَقّ بالماء، شُهِت بخمَل القطائف التي تفرش

(12) محمّد بن عبد الملك الزيّات (173 - 233 هـ) : وزير المعتصم والواثق العباسيين، وعالم باللّغة والأدب، من بلغاء الكتاب والشّعراء. نشأ في بيت نحارة وسع، فتقدّم حتّى بلغ رتبة الوزارة. وعوّل عليه المعتصم في مهامّ دولته. وكذلك انه الواثق ولما مات الواثق، عمل ابن الزيّات على تولية ابنه وحرمان المتوكّل، فلم يُصلح. وولي المتوكّل فنكبه وعذّبه إلى أن مات ببغداد وكان من العقلاء الدّهاة، وفي سيرته قوّة وحزم وله « ديوان شعر » (الأعلام 248/6)

(13) كذا في الأصل المطبوع، ولعلّ الصّواب « حاماً من المرق »

فصل

في الكناية عن الشراب والملاهي وما يُضاف إليهما

الأصل في هذا الفصل قول الشاعر :

ألا فاسقني الصُّهباء من حلب الكرم ولا تسقني خمرًا بعلمك أو علمي
أليست لها أسماء شتى كثيرة فهات أسقنيها واكن عن ذلك الاسم

ويقال، استمطر فلان سحاب الأُنس واستدرّ حلوبة السُّرور، وقُدح
زند اللُّهو، واقتعد غارب الطُّرب، وفلان يروم دَم العناقيد، ويفصد عُروق
الدُّنان وينظم عُقود الإخوان.

وحكى الصُّولي قال : كان خلّاد (1)، ينقل أخبار أبي حفص بن أيّوب
إلى ابن طولون (2)، فقال له حفص : يا سيّدي أبا الفضل إنّما مجلسُ
المدام مجمع الأنسة ومسرح اللبّانة و [مذاذ] (3)، اُهم ومرتع اللُّهو ومعهد
السُّرور، [و إنّما توسطته عند من لا يُتَّهم غيبه] (4).

(1) في « جمع الجواهر في الملح والنوادر » للحصري : « ابن جُدار »

(2) في نفس المصدر : « العباس بن أحمد بن طولون ».

(3) في الأصل المطبوع « هداد »، وما أثبتناه من « جمع الجواهر ».

(4) في الأصل المطبوع « أو بهما توسطته لأنك عندي تَمَن لا يُتَّهم غيبه »، ولا معنى له، وما
أثبتناه من « جمع الجواهر ». ونظرا لما بين الروايتين من اختلاف نورد فيما يلي الخبر كما ورد عند
الحصري (ص 74) : « وكان ابن جُدار ينقل أخبار أبي حفص إلى العباس بن أحمد بن
طولون، فصار إليه يوما فقال : أعزك الله، إنّما مجلس المدام حُرمة وأنس، ومسرح لبّانة، ومذاذ
همّ، ومرتع لهو، ومهد سرور؛ وإنّما توسطته عند من لا يُتَّهم غيبه، وقد بلغني ما تُنْهيه إلى أميرنا
أبي الفضل من أخبار مجالسي. »

وكتب الصّاحب : يَنْشُطُ مولانا لتناول ما يستمدّ [به] (5) السّرور ويستجلب الأنس ويشرح الصّدر.

وكتب آخر : إذا حَرُمَ الانبساط في وجوه المطالب حلّ ما يجمع شمل الإخوان ويفرق أنواع الأحزان.

وكنى عنه بعضهم بإكسير السّرور (6) وكيمياء الفرح (7) وترياق (8) الهموم وصابون الغُوم ولحام أرحام الكرام (9).

وكتب آخر : عدنا لقداح اللّهُو فأجلّناها ولمراكب السّرور فامتطيناها. وذكر الطّبري في كتاب « الأمثال المولّدة » أنّه يقال للسّكران إذا بلغ غاية السّكر : قد عبر موسى البحر.

وسُئل عبيد راوية الأعشى عن معنى قول الأعشى :
وسبيئة (10) ثَمّا تُعْتَقُ بَابِلُ، كدم الذّبيح سلبتها جُريالها (11)
فقال : قد سألت الأعشى عن ذلك، فقال : قد شربتها حمراء وبلّتها حمراء. والجريال لون الخمر.

ويُروى عن الشعبي أنّه قال : ما سمعت في الكنايات والمعارض

(5) ما بين الحاصرتين أضافناه ليستقيم التّركيب.

(6) ثمار القلوب، ص 686، وفيه . « قُطب السّرور ».

(7) نفس المصدر.

(8) التّرياق : دواء السّموم، والعرب تُسمّي الخمر ترياقا وترياقا لأنها تذهب بالهم.

(9) نفس المصدر، وفيه : « صابون الفرج وجام الكرام ».

(10) السّبيئة . الخمر المشتراة.

(11) الجريال : صبغ أحمر استعاره للون الخمرة. انظر الديوان ص 150 .

أحسنّ تما دار بين عبيد الله وبين الحارث بن بدر، قال له يوماً : ما هذا الخدش بوجهك ؟ فقال : إني سقطت عن فرس لي أشقر، يعني الخمر، فقال : أين أنت عن (12) الأشهب الوطيء يعني الماء ؟

ويقال في الكناية عن القليل الشرب، فلان مسعطي وهو من قول ابن لنكك :

فديتك لو علمت ببعض ما بي لما جرّعتني إلا بمسعط
وحسبك أن كرمًا في جواري أمرّ ببابه فأكاد أسقط

وأنشدني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي لبعضهم :
ويدعي الشرب في رطل (13) وباطية (14) وأمّ عنبرة العنسي تكفيه

يعني زبيبة، وكان اسم أمّ عنبرة زبيبة.

ومثل هذه الكناية، وإن كان من غير هذا الباب قول ابن طباطبا :
منعم الحسم يحكي الماء رفته وقلبه قسوة يحكي أبا أوس

يعني حجرًا، فوضع مكان الحجر أبا أوس وأبو أوس حجر.

ثم نعاه عليه أبو مسلم محمد بن بحر فكتب اليه :
أبا حسن حاولت إيراد قافية مصلبة المعنى فجاءتك واهية
وقلت أبا أوس تريد كناية عن الحجر القاسي فأوردت داهية

(12) كذا في الأصل المطبوع، والصواب « من ». وانظر تفاصيل الخبر في شرح نهج البلاغة .

(13) الرّطل والرّطل : الذي يُوزن به ويكال، وقدره اثنتا عشرة أوقية بأواقي العرب، والأوقية أربعون درهماً، فذلك أربعمائة وثمانون درهماً.

(14) الباطية : إناء من الزجاج، وهي عظيمة ثملاً من الشراب وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون.

فإن جاز هذا فأكسرن غير صاغِرٍ فمي بابُ القرم (15) الهمام معاوية

يعني صخرًا، وهو اسم أبي سفيان :
وإلا نصبنا بيننا لك وقعةً فتصبحُ ممنوعًا بصفين ثانية

عاد الحديث إلى شرط الفصل .

كتب الطبري يصف مُطربًا : فلان طبيب القلوب والأسماع ومحبي
مَوَات الخواطر والطُّباع .

وقال غيره : فلان يُطعم الأذان سُروراً ويقدح في القلوب نورًا . وكتب
الصَّاحِب : أعلام الأنس خافقة وألُسُنُ الملاهي ناطقة .

وكتب أبو الفرج البيّغاء (16) : قد فَضَّ اللّهُو أختامه ونشر الأنس
أعلامه .

وقال غيره : قد سمعنا ما يرفع حجاب الأذن ويأخذ بمجامع القلب
ويمتزج بأجزاء النفس .

(15) القرم . الشَّجاع

(16) أبو الفرج البيّغاء (توفي سنة 398 هـ) : شاعر مشهور، وكاتب مُترسِّل من أهل
نصَّيبين . إتَّصل سيف الدَّولة، ودخل الموصل وبعداد . ونادم الملوك والرَّؤساء . له « ديوان
شعر » . (الأعلام 4/ 177)

الباب السابع

في فنون شتى من الكناية والتعريض مختلفة الترتيب

فصل

في الكناية عن العزل والهزيمة

وبعض الألفاظ السلطانية

قال الرشيد (1) ليحيى بن خالد (2) : قد أردت أن أجعل الخاتم الذي إلى أخي الفضل (3) إلى أخي جعفر واحتشمت من الكتابة إليه ، فكتب

(1) هارون الرشيد (149 - 193 هـ) : خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم . ولد بالري ، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان ببيع الخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 ، فقام باعائها وازدهرت الدولة في أيامه ، واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان . وكان الرشيد عالماً بالأخبار والأدب والحديث والفقه ، فصيحاً ، وله شعر . وكان يلقب بجبار بني العباس . أوقع بالرامكة في ليلة واحدة وتوفي بطوس . (الأعلام 62/8)

(2) يحيى بن خالد البرمكي (120 - 190 هـ) . سيد بني برمك وأفضلهم . وهو مؤيد الرشيد العباسي ومعلمه ومربيته ، وكان يدعوه أبي قلده الرشيد أمره فعلا شأنه . واشتهر بجودة وحسن سياسته . واستمر إلى أن نكب الرشيد الرامكة فقبض عليه وسجنه إلى أن مات (الأعلام 144/8)

(3) الفضل بن يحيى البرمكي (147 - 193 هـ) : وزير الرشيد العباسي وأخوه في الرضاع . كان من أجود الناس إستوره الرشيد مدة قصيرة ثم ولّاه خراسان فأقام فيها إلى أن فتك الرشيد ،

أنت إليه اكفنيه، فكتب يحيى إليه : قد رأى أمير المؤمنين أن يُحوّل الخاتم من شمالك إلى يمينك. فأجاب : سمعاً وطاعة، وما انتقلت عني نعمة صارت إلى أخي.

وكتب عامل إلى المصروف به فألطف وطرف: قد قلدت العمل بناحيتك فهناك الله بتجديد ولايتك، وأنفذت خليفتي بخلافتك فلا تُخله من هدايتك إلى أن يُمنّ الله بزيارتك، فأجابه بهذه الأحرُف : ما انتقلت عني نعمة صارت اليك، ولا خلوت من كرامة اشتملت عليك، وإني لأجد صرفي بك ولاية ثانية وصلة من الوزير وافية لما أرجوه بمكانك من حسن الخاتمة ومحمود العاقبة.

ومن ألفاظ الكناية عن العزل : قد أغمد سيف كفايته وعُطل الدّيوان من رياسته، حُطّ عنه ثقل العمل.

وقد يُكنّى عن العزل بالصّرف وعن المصادرة بالمواقعة، وعن الهزيمة بالتراجع والتحيز كما كتب أبو اسحاق الصّابي عن بختيار إلى صاحب طرف بازاء عدوّ : وإن حزبك أمر يجب الاحتراس منه عملت إلى التحيز إلى الحضرة فإنها ممهّدة لك غير نائية عنك.

ويكنّى عن شغب العسكر باللّوثة، كما كتب أبو الحسن التّومي عن أبي علي الصّغاوي : وقد بدرت من الحشم لوثة أعان الله على استداركها ومداواتها.

= بالبرامكة، وكان الفضل عنده ببغداد، فقص عليه وعلى أبيه يحيى، وتوفي الفضل في سجنه بالرقّة (الأعلام 5/151 - 152)

ويُكْنَى عن التَّقِيد فيقال : استوثق منه بالحديد .

ويُروى أن الحجاج قال لِلْغَضَبَانِ بنِ الْقُبُعَثَرِيِّ : لأُحْمَلَنَّكَ عَلَى الْأَدْهَمِ
يَكْنَى عن القيد فتغابى عليه ، وقال : مثل الأمير يُحْمَلُ عَلَى الْأَدْهَمِ
وَالْأَشْهَبِ . قال : إِنَّهُ الْحَدِيدُ ، قال : لَأَنْ يَكُونَ حَدِيدًا (4) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَنْ يَكُونَ بَلِيدًا .

ويُكْنَى عن الرِّشْوَةِ بِصَبِّ الزَّيْتِ فِي الْقَنْدِيلِ .

وربما قيل لذلك الْقَنْدَلَةُ .

وكان يحيى بن خالد ولى ديوان الخراج رجلا من أهل خراسان يقال له
أبو صالح ، فارتشى فعزله وولى مكانه سعدان بن يحيى ف قيل فيه :
صَبَّ فِي قَنْدِيلِ سَعْدَانَ مَعَ التَّسْلِيمِ زَيْتًا
وَقَنَادِيلَ بَنِيهِ قَبْلَ أَنْ يَخْفَى الْكَمِيتَا

فعزله يحيى وأعاد أبا صالح ف قيل فيه :

قَنْدِيلُ سَعْدَانَ عَلَى ضَوْئِهِ فَرَخٌ لِقَنْدِيلِ أَبِي صَالِحٍ
تَرَاهُ فِي مَجْلِسِهِ أَحْوَالًا مِنْ لَحْهِ لِلدَّرْهِمِ اللَّائِحِ

وفي هذه الكناية أنشدت لابن لنكك :

أقول لعصبة بالفقه صالت وقالت ما خلا ذا العلم باطل
أجل لا علم بوصلكم سواء إلى مال اليتامى والأرامل
أراكم تَقْلِبُونَ الْحُكْمَ قَلْبًا إِذَا مَا صُبَّ زَيْتٌ فِي الْقَنَادِلِ

(4) حَدِيدًا : شَدِيدًا ، صَعْبَ الْمَرَّاسِ .

وسمعت أبا زكريا يحيى بن اسماعيل الحرّبي يقول : قد كُنّي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن استخراج الخراج والعُشْر وسائر حقوق بيت المال بقوله : وأدِرّوا لَقْحَةً (٥) المسلمين . أراد بـلَقْحَتهم درّة الفِئء (٦) ، والخراج التي منها عَطَايَاهُمْ .

ومن ذلك أن سيّدنا عثمان بن عفّان لما ولي الخلافة عزل عمرًا بن العاص (٧) عن مصر ، وكان أميرًا عليها من يوم فتحها في خلافة الفاروق إلى أن ولي عثمان ، وولّى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح (٨) ، فأرسل الخراج لسنة أربعة عشر ألف ألف دينار ، وعمرو بن العاص حاضر إذ ذاك عند عثمان ، وكان عمرو يُرسلها ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، فقال عثمان : قد درّت اللَّقْحَةُ يا عمرو ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ولكنكم أـجـحـقـتم فصاها (٩) .

(٥) اللَّقْحَةُ وَ اللَّقْحَةُ . النَّاقَةُ الحلوب الغريرة اللَّبَن ، ولا يوصف به

(٦) الفِئء : الظَّلّ والخراج والغنيمة

(٧) عمرو بن العاص (٥٠ ق . هـ - ٤٣ هـ) : فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرّأي والحزم والمكيدة فيهم . كان في الجاهليّة من الأشدّاء على الاسلام ، وأسلم في هدنة الحديبيّة . استعمله الرّسول على عمان ، ثمّ كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشّام في زمن عمر . ولما كانت الفتنة بين عليّ ومعاوية ، كان عمرو مع معاوية ، فولّاه معاوية على مصر سنة ٣٨ وأطلق له خراجها ستّ سنين فجمع أموالا طائلة . وتوفّي بالقاهرة . وله في كتب الحديث ٣٩ حديثا . (الأعلام ٧٩/٥)

(٨) عبد الله بن أبي سرح (توفي سنة ٣٧ هـ) . فاتح إفريقية وفارس بني عامر ، من أبطال الصّحابة . ولي مصر سنة ٢٥ هـ فاستمرّ نحو ١٢ عامًا زحف خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا عليّ ، وعبد الله بن عبّاس وعقبة بن نافع ، فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة ودانت له إفريقية كلّها . إعتزل الحرب بين عليّ ومعاوية زمن الفتنة ، ومات بعسقلان . وهو أخو عثمان بن عفّان من الرّضاع . (الأعلام ٨٨ - ٨٩) .

(٩) فصاها : واحدها الفيصلُ : ولد النّاقة إذا فُصل عن أمّه

فصل في الكناية عما يُتَظَيَّر من لفظه

يَكْنَى عن اللَّديغِ بالسَّليم^(١)، وعن الأعمى بالبصير^(٢)، وعن المهلكة
بالمفازة^(٣)، وعن ملك الموت بأبي يحيى^(٤). وقد ظَرَفَ الصَّاحِبُ في وصف
أخوين مليح وقبيح، حيث قال :

يحيى حكى المحيّا ولكن له أخ حكى وجه أبي يحيى

ويُكْنَى عن الحبشيّ بأبي البيضاء^(٥)، كما قال الشاعر :

أبو صالحٍ ضدَّ اسمه واكتنائه كما قد ترى الزنجي يُدعى بعنبر
ويكنى أبا البيضاء واللونُ حالك ولكنهم جاؤوا به للتطير

(١) « ثمار القلوب »، ص 246

(٢) شرح نهج البلاغة « (52/5) .

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر، وزاد ابن أبي الحديد « كأنهم أرادوا أنه قد مُتَّعَ ببقاء إحدى عينيه، ولم
يُجرم ضوءهما معًا ».

(٥) « ثمار القلوب »، ص 250، و « نهج شرح البلاغة » (53/5) .

ولما ورد الخبر على المنصور (٥)، بخروج محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن (٦)، بالبصرة وهو في بستان له ببغداد نظر إلى شجرة، فقال للرّبيع : ما اسم هذه الشّجرة ؟ فقال : « طاعة » (٨)، يا أمير المؤمنين، وكانت خلافاً فتفاءل المنصور بذلك وعجب من ذكائه (٩).

ونظير هذه الكناية وإن كانت ليست في معناها ما يُحكى أنّ رجلاً مرّ في صحن دار الرّشيد ومعه حزمة خيزران، فقال الرّشيد للفضل بن الرّبيع : ما ذاك ؟ فقال : عُروق الرّمّاح يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول الخيزران لموافقة اسم والده الرّشيد (١٠).

فأمّا الكناية عمّا لا ينبغي أن يُكنّى عنه فهاهنا حكاية فيها ذكر ابن عبدوس (١١)، في كتاب « الوزراء والكتّاب » أنّه عرض على المتوكّل أسماء

(٦) المنصور (٩٥ - ١٥٨ هـ) : عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، تاي حلفاء بني العباس وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب. كان عارصاً بالفقه والأدب، مقدّماً في الفلسفة والفلك، محباً للعلماء. وهو باني مدينة بغداد سنة ١٤٥ هـ وجعلها دار ملكه بدلاً من الهاشمية التي بناها السفّاح وهو والد الخلفاء العباسيين جميعاً. وكان أفلحهم شجاعة وعزماً إلاّ أنّه قتل حلّفاً كثيراً حتّى استقام مُلكه - توفّي في ضواحي مكّة محرّماً بالحجّ (الأعلام ١١٧/٤)

(٧) محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن - نائر علويّ، خرج في زمن أبي جعفر المنصور، فظفر به جيش العباسيين وقتله.

(٨) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد « وفاق »

(٩) انظر الخبر في المصدر (٥٤/٥).

(١٠) انظر هذا الخبر في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (٥٤/٥)

(١١) ابن عبّدوس الجهمشيارى (توفّي سنة ٣٣١) . مؤرّج من الكتّاب المترسّلين، من أهل الكوفة. نشأ مع أبيه في بغداد. وكان أبوه حاجباً للوزير علي بن عيسى، فخلفه على الحجابة له، ثمّ للوزير حامد بن العباس في خلافة المقتدر بالله. ونُكب يوم قبض على ابن مقلّة فأدّى ٨٠ ألف دينار وأطلق، وكان من أصحابه. ومات ببغداد مستتراً. من مُصنّفاته . « كتاب الوزراء والكتّاب » و« أخبار المقتدر العباسي » و« أسفار العرب والعجم والروم وغيرهم » . (الأعلام ٢٥٦/٦)

جماعة من الكتاب لِيُقْلَدُوا الأَعْمَالُ، فكانَ تَمَنُّ عُرْضَ عَلَيْهِ اسْمُ طَهَّاسِ ابْنِ
أَخِي إِبرَاهِيمَ بْنِ العَبَّاسِ فَضْرَبَ عَلَيْهِ، وَقَالَ : لَا يُؤَلَّى وَلَا كَرَامَةٌ فَإِنَّهُ
يَبْكِي مِنَ الْحِجَامَةِ، وَيَسْمِي الشَّمْسَ العُدْوَةَ (12).

ويكنى عن الحية بالطويلة وعن الجن بعمار الدار.

(12) كذا بالأصل .

فصل في الكناية عن مَرْمَّة (1) البدن

سمعت الطّبري يقول : كنت يومًا بين يدي سيف الدولة بحلب
فدخل عليه ابن عمّ له فاستبطّاه الأمير، وقال له : أين كنت اليوم وبمّ
اشتغلت ؟ فقال : أيد الله مولانا. حلقت رأسي وأصلحت شعري
وقلّمت أظفاري . فقال له : لو قلت أخذت من أطرافي كان أوجز وأبلغ .
وأحسن من هذا قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ (2)

قال أبو منصور الأزهري في كتاب « تهذيب اللغة » : لم يفسر أحد من
اللّغويين التّفث كما فسّره النّضر بن شُمَيْل إذ جعل التّفث الشّعث، وجعل
قضاءه إذهابه بدخول الحّمّ والحلق والأخذ من الشّعرونتف الابط وحلق
العانة .

ومن لطائف الأطباء كنياتهم عن الاسهال بالاستفراغ وعن القيء
بالتّعالج .

ووجدت بخطّ أبي الحسن السّلامي (3) في دفتر من منتخب شعره أتخف

(1) المَرْمَّة : متاع البيت، وهي هنا بمعنى إضلاح البدن .

(2) سورة الحجّ، الآية 29 .

(3) أبو الحسن السّلاميّ (توفي سنة 374 هـ) : شاعر، له إشغال بالحديث والتّاريخ
والأدب، من أهل بغداد. رحل إلى سمرقند وبلخ وسُخارى، ومات بها أو بمرور. صنّف كُتبا في
« التّواريخ » و« نوادر الحكّام » (الأعلام 141/4) .

فصل

في ما شذ من هذا الباب من كنايات أخبار النبي ﷺ

يُروى عن أبي أمامة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال : « لا يقولن أحدكم خُبت نفسي وليقل لِقِست (1) نفسي » .

ويُروى أن بني قريظة (2) وكعب بن أسعد لما عاقدوا النبي ﷺ على المودعة قبلها منهم . فلما كان عام الخندق أتاهم جبير بن أخطب ، وحملهم على نقض العهود ، فنقضوها ، وأتى الخبر إلى النبي ﷺ ، فبعث رجالاً ليتعرفوا الخبر ، وقال لهم : « إن كان حقاً فألحنوا به إلي لحناً أعرفه ولا تفتوا (3) في أعضاء الناس ، وإن كانوا على الوفاء فصّرحوا واجهروا به » .

فأتوهم ، فحرقوا كتابهم الذي عاقدوا عليه رسول الله ﷺ ، ورجع القوم ، فقالوا : عضل و القارة ، يُكنّون عن أنهم غدروا كما غدرت عضل والقارة ، وهم بنو الهوز بن خزيمة قدموا على النبي ﷺ ، فقالوا إنا فينا برسول الله ﷺ إسلاماً ، فابعث إلينا نفراً من أصحابك يعلموننا ، فبعث معهم سبعة نفر أميرهم مرثد بن مرثد فلما كانوا ببطن الرجيع وهو ماء لبني هذيل ، قال العضليون لمرثد : أقيموا حتى نرتاد لكم منزلاً ، ومضوا حتى أتوا بني لحيان فقالوا : هؤلاء نفر من أصحاب محمد نذكركم عليهم على أن

(1) لِقِست نفسه إلى الشيء . نارغته إليه وحرصت عليه ، ولقست نفسه ، أي غثت .

(2) بنو قُريظة : قبيلة من قبائل اليهود التي كانت مُقيمة في المدينة على عهد الرسول .

(3) فت في عضده : وهنّ عزيمته .

به أبا الحسن محمد بن عبد الله الكرخي أبياتاً له بديعة في الكناية عن
النُّورَة (4) :

لَمَّا التحي أضحتُ عمامته السوداء تحكي محضرَ الحنكِ
وصار يحتالُ أو بلى (5) بحلق الشعر عن ردِّفه الفتك
في كلِّ يومٍ تراه متزراً بالروض بين الحياض والبرك
وما علمنا بأنه قمرٌ حتى اكتسى قطعةً من الفلكِ

(4) النُّورَة : حجرٌ يُحرق ويُسوَّى منه الكِلْس ويُحلق به شعر العانة .

(5) كذا في الأصل المطبوع ، ولم نهند لمعانها ولعلها « يُبين » .

ما أصبتم من هذا بيننا وبينكم، قالوا : نعم، فاستأسر بعضهم وأبى بعض، فقتلوا من لم يستأسر. فهذه قصّة عضل والقارة.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قعدوا عنده كأنّ على رؤوسهم الطير، فأنبرى يوماً حسان (4)، فأنشده قول الأعشى (5) :

كِلَا أَبَوَيْكُم كَانَ فِرْعَا دَعَامَةً، وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحَتْ نَاقِصَا
تَبْتَونَ فِي الْمَشْتَاةِ مَلَأَى بَطُونَكُمْ، وَجَارَاتِكُمْ غَرْنَى يَتْنِ خَمَائِصَا

فقال له رسول الله ﷺ : « لا تنشد هجاء علقمة فإن أبا سفيان شغب مني عند هرقل فغرب عليه علقمة » فقال حسان : يا رسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره، فما سمع في الكناية عن الوقعة بأحسن من قوله شغب مني، ولا في الكناية عن الانكار والاحتجاج كقوله فغرب عليه ولا في الاعتذار كقول حسان : من نالتك يده وجب علينا شكره.

(4) حسان بن ثابت الأنصاري (توفي سنة 54 هـ) : صحابي وشاعر النبي وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الاسلام، وعمى قبيل وفاته. لم يشهد مع النبي مشهدا لعلّة أصابته. وكان شديد الهجاء، فحل الشعر. وتما كتب في سيرته وشعره « أخبار حسان » للزبير بن بكار. توفي في المدينة. (الأعلام 2/ 175).

(5) البيتان في الديوان من قصيدة بعنوان « هل كنتم إلا عبيدا ؟ يهجو فيها الأعشى علقمة بن علاثة.

فصل في ضد الكناية

ومعناه تقييح الحسن كما أنّ معنى الكناية تحسين القبيح .

دخل بعض الظرفاء كرمًا فنظر إلى الحصرم فقال : اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه . ويقال إنّ سليمان بن كثير قاله وقد جرى بين يديه ذكر أبي مسلم الخراساني (١) ، فسمى الحديث إلى أبي مسلم فعاتبه عليه فأنكر أن يكون قاله فيه ، فقال أبو مسلم : أخبرني الثقة عنك بهذا ، فقال : نعم قلته ، ولكن في كرم كذا لما نظرت إلى الحصرم فاسأل الحاكي عن ذلك ، فإن ذكر لك حديث الكرم فصدّقني ، فإن ذكر أنّي قلته في مكان سوى الكرم فالأمر علي ما ظننت . وقد نظم بعض هذا الشّر من لم يوفه حقّه ، إذ قال :

مررتُ على عنقود كرمٍ معلقٍ بقُطْرُبُلٍ (٢) يومًا وقد كان حصرمًا (٣)
فقلتُ أراني الله وجهك أسودًا وأسقيتُ يا عنقودَ من جوفك الدّما

(١) أبو مسلم الخراساني (٠٠ - ١٣٨ هـ) : مؤسس الدولة العباسيّة ، وأحد كبار القادة . هزم مروان بن محمد ، آخر ملوك الأمويين في الشام . ورأى منه المنصور ما أخافه أن يطمع بالملك ، وكانت بينهما ضغينة ، فقتله برومة المدائن . وكان فصيحًا بالعربيّة والفارسيّة . داهية حازما ، راوية للشعر . وللمرزباني كتاب « أخبار أبي مسلم » في نحو مئة ورقة . (الأعلام ٣ / ٣٣٧ - ٣٣٨)
(٢) قُطْرُبُل : كلمة أعجميّة ، اسم قرية بين بغداد وعُكْبُرَا ينسب إليها الخمر ، وكانت مُتَنَزَّها للبطالين وحانة للخمّارين ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها . (معجم البلدان ٤ / ٣٧١) .

(٣) الحِصْرِمُ : أول العنب ، ولا يزال العنب ما دام أحضر حِصْرِمًا

فصل

في ما شذَّ عن الكتاب من كناياتٍ لأهل بغداد

يُكَنُّونَ عن اللَّحِيَّةِ بالمحاسن ، فيقولون لمن بلحيته قذاة : يدك على محاسنك . ويُكَنُّونَ عن الزَّنية شتمةً بالزَّاي . قال بعض أهل العصر : صديقٌ لنا قد كساه الزَّما نٌ ثيابَ الغنى رافعاً شأنه نراه غليظَ مزاجٍ الكلام إذا كسر التَّيه أجفانه يُخاطَبُ بالكاف إخوانه ويشتم بالزَّاي غلمانه

ويقولون فيمن يُسخر به وهو لا يدري : رُقَص في زورقه .

ويذَّعونَ على من يعادونه فيقولون : سلَّط الله عليه من لا يَجْتَرُ، يعنون السَّبع ، ويُكَنُّونَ عن القَواد بالنَّقيب . قال الصَّاحب :
يا ابن يعقوب يا يقيبَ البدور كن شفيعي إلى فتى مسرور
قلْ له إنَّ للجمال زكاةً فتصدَّق بها على المهجور

مرَّ ابن مكرم على أبي العيناء وهو على مُصَلَّى له فأراد أن يجلس عليه معه فقال : لا تقدر على مصلاي ، فقال : بل هو مُتمرِّغ فسقك .

ولما ولي سعيد بن حميد ديوان البريد بالحضرة ، قال فيه أبو علي البصير :
بأبي نفسٌ سعيدٍ إنها نفسٌ شريفة
لم يزل يحتال حتى صار غمَّاز الخليفة

فصل في فنون من التعريضات

العرب تستعمل التعريض في كلامها فتبلغ ارادتها بوجهه هو اللفظ وأحسن من الكشف والتّصريح .

ويعيبون الرّجل إذا كان يكشف في كلّ وجه يقولون : فلان لا يحسن التعريض إلا ثلبًا .

وقد جعله الله في خطبة النساء جائزًا فقال : ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكنتم في أنفسكم ﴾ (1) . ولم يُجزّ التصريح .

والتّعريض في الخطبة أن يقول للمرأة : والله إنك لشابة ولعلّ الله أن يرزقك بعلاً صالحاً، وإنّ النساء لمن حاجتي، وأشباهه من الكلام .

وروى بعض أصحاب اللغة أن قومًا من الأعراب خرجوا يمتازون، فلما صدروا خالف رجل في الليل إلى عكم (2) صاحبه وأخذه وجعله في عكمه، فلما أراد الرحلة وقاما يتعاكمان رأى عكمه يشول وعكم صاحبه يرجح ويثقل، فأنشأ يقول :

عكمّ تعشى بعض أعكام القوم لم أر عكمًا سارقًا قبل اليوم

(1) سورة البقرة، الآية 235 .

(2) العكم : عكم المتاع : شدّه بثوب، وهو أن يسطه ويجعل فيه المتاع ويشدّه .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل
حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ ولا تؤاخذني بما نسيت ﴾ (3) قال : لم
ينس ولكنها من معارضض الكلام . وأراد ابن عباس أنه لم يقل إني نسيت ،
فيكون كاذباً ولكنه قال : « لا تؤاخذني بما نسيت » فأوهمه النسيان
تعريضاً .

وساير شريك النُميري (4) عمر بن هُبيرة الفزاري على بغله فجازت
برذون عمر فقال له عمر : اغضض من لجامها ، فقال شريك : إنها
مكتوبة ، أراد عمر قول الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً (5)

وأراد شريك قول الآخر :

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصلك وأكتبها بأسيار (6)

والتقى تميمي ونُميري في مجلسٍ وخاضا مع الخائضين ، فقال التميمي
يُعجبني من الجوارح البازي ، فقال النُميري : لا سيما إذا كان يصيد
القطاة . وإنما أراد التميمي قول الشاعر :

أنا الباز المطل على نمير أتبع من السماء لها انصباباً (7)

(3) سورة الكهف ، الآية 73 .

(4) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد « سنان بن أحس النُميري » .

(5) البيت لجرير .

(6) البيت لابن دارة .

(7) البيت لجرير ، الديوان ، 72 .

وأراد النميري قول الطرمّاح (8) :
 تميّم بطرق اللّؤم أهدى من القطا ولو سلكت طرق (9) المكارم ضلّت (10)
 ودخل رجل من محارب على عبد الله بن يزيد الهلالي وهو بأرمينية فقال
 عبد الله : ما لقينا البارحة من شيوخ محارب ، ما تركونا ننام ، يعني
 الضفادع ، ويريد قول الأخطل :
 تنقّ (11) بلا شيء شيوخ محارب وما خلتها كانت تريش ولا تبّري (12)
 ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدلّ عليها صوتها حيّة البحر (13)
 فقال : أضلحك الله ، إنهم أضلّوا البارحة برقعاً فكانوا في طلبه ، يريد
 قول الشاعر :
 لكلّ هلاّلي من اللّؤم جنة ولا بن يزيد برقع وجلال

(8) الطرمّاح (توفي نحو 125 هـ) : شاعر إسلامي فحل . ولد ونشأ في الشام ، وانتقل إلى الكوفة ، فكان معلّماً فيها . واعتقد مذهب « الشّراة » من الأزارقة . واتّصل بخالد بن عبد الله القسريّ ، فكان يكرمه ويستجيد شعره . وكان هجاءاً ، معاصراً للكميت صديقا له ، لا يكادان يفترقان . له ديوان شعر صغير . (الأعلام 225/3)
 (9) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد : « سُبَل » .
 (10) انظر الخبر في « شرح نهج البلاغة » (23/5)
 (11) تنقّ . تصدر أصواتاً كأصوات الضفادع .
 (12) لا تريش ولا تبّري . استعارة معناها لا تقدّم في الحرب ولا تؤخّر .
 (13) اليتان في الديوان ، وهما من قصيدة في مدح عبد الملك بن مروان وهجاء القيسيين .

ومن التعريضات بالفعل :

ما يروى أنّ معاوية أرسل إلى عمرو بن العاص بكلام فقال للرسول : انظر ما يردّ عليك، فلما تكلم عضّ عمرو إبهامه حتى فرغ الرسول ولم يزد على ذلك. فلما رجع إلى معاوية أخبره بفعله، فقال له معاوية : ما أراد ؟ قال : لا أدري، فقال : إنما قال أتقرّ عني وأنا ألوّك شكيمة قارح ؟ (١) .

وكان الفضل بن الربيع مطعوناً عليه في نسبه لأنّ الربيع كان مملوكاً ولكنه ينتمي إلى يونس بن محمّد بن أبي فروة مؤلّى عثمان، وذلك أنّ جارية ليونس ولدت الربيع فأنكره يونس، فلما ترعرع باعه وتقلّبت به أحوال وأملاك حتّى اشتراه زياد بن عبد الله الحارثي خال السفّاح، فلما رأى عقله وأدبه أهداه إلى المنصور، فلما اعتقه واضطّعه بلغه أنّه ينتمي إلى يونس فأدّبه، وقال : اعتقتك واستنجبتك ثمّ تدّعي ولاء عثمان ؟ فلهذه القصة كان جعفر بن يحيى يُكنّى الفضل بن الربيع أبا رُوح لأنّ اللّقيط به يُكنّى .

وأهل المدينة يسمّون اللّقيط فرخاً وهو عندهم فرخ زنا. فيُحكى أنّ الرّشيد كان يأكل يوماً مع جعفر فوضعت لهما ثلاثة أفراخ، فقال الرّشيد لجعفر يمازحه : قاسمني لنستوي في أكلها، فقال : قسمة عدل أم قسمة جور ؟ قال : قسمة عدل، فأخذ جعفر فرخين وترك واحداً، فقال له الرّشيد : أهذا العدل ؟ قال : نعم معي فرخان ومعك فرخان، قال : فأين الآخر ؟ قال : هذا، وأوماً إلى الفضل بن الربيع، وكان واقفاً

(١) القارح . الفرس إذا انتهت أسنانه، أي اكتملت .

على رأسه، فتبسم الرشيد وقال : يا فضل لو تمسكت بولائنا لسقط هذا عنك. ولم يفهم الفضل ما قالاه إلا بعد مدة.

ويُروى أنَّ رجلاً من بني فزارة رمى إلى رجل من بني ضبة بخاتم أزرق فشدّ عليه الضبي سيراً وردّه إليه، وإنما أراد قول الفزاريّ قول الشاعر :
لقد زرت عيناك يا ابن مكعبٍ كما كل ضبي من اللؤم أزرق

وعرض الضبي بقول الآخر :

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصلك واكتبها بأسيار (2)

وذكر أبو علي السلامي في كتاب « ننف الطرف » أن عبد الله بن طاهر ولّى بعض بني أعمامه مرو فاشتكاها أهلها فوفد جماعة منهم على عبد الله وشكوه إليه، وأكثروا القول فيه فقدّر أنّهم يتزيّدون عليه، فلم يعزله، فلمّا انصرفوا قال بعض المشايخ بها : أنا أكفيكموه. وورد على عبد الله فسأله عن حال البلد فأخبر بالهدوء والسكون، ثم سأله عن خبر واليهم فوصفه بالفضل والأدب وما يجمعه الأمير من النسب، وبالع في ذكر الجميل، ثم قال : إلا أنّه، ونقر بأصبعه على رأسه نقرة، يعني أنّه خفيف الدماغ.

(2) جاء هذا الخبر في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (31 / 5 - 32)، ونحن نورده في ما يلي : « حكى أبو عبيدة، قال : بينا نحن على أشراف الكوفة وقوف، إذ جاء أسماء بن خارجة الفزاريّ فوقف، وأقبل ابن مكعب الضبيّ فوقف متنحياً عنه، فأخذ أسماء خاتماً كان في يده، فصّه فيروز أزرق، فدفعه إلى غلامه، وأشار إليه أن يدفعه إلى ابن مكعب، فأخذ ابن مكعب شسع نعله، فربطه بالخاتم، وأعادته إلى أسماء، فتهازحاً ولم يفهم أحد من الناس ما أراد، أراد أسماء بن خارجة قول الشاعر :

لقد زرت عيناك يا ابن مكعبٍ كذا كلّ ضبيّ من اللؤم أزرق.
وأراد ابن مكعب قول الشاعر :

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصلك واكتبها بأسيار.

فقال عبد الله : ما للولاة والطيش ، أغزلوه ، فعزله وأنصرف الشيخ إلى مرو فأعلمهم أنه عزله بنقرة .

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : ولد لابن مكرم ابن فجاءه أبو العيناء مهنياً ، ولما خرج خلّف عنده حجراً يعرض بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر (3)

وحكى ابن عبدوس في كتاب « الوزراء والكتّاب » أن سليمان بن وهب (4) كان يتقلّد الخراج والضّياع بمصر والحسين الخادم المعروف بعرق الموت يتقلّد البريد بها ، فحضر يوماً عند الحسين وكان يُمازحه كثيراً فاستدعى شربة سكبجية وجيء بها ، فلما شربها قال : يا غلام ائتني بخلال ، فعجب من حضر من طلبه الخلال عقب الشراب ، وإنما عرض بالحسين الخادم وأشار إلى أنّ الخدم إذا أسنّوا صنعوا الأخلّة ، فقال الحسين : يا غلام أئتنا بخلالين ، ووضع إحدى سبّابتيه على الأخرى كهيئة الصليب يُعرض بسليمان بأنه كان نصرانياً ، وكان يُتهم بممالة النصارى والله سبحانه وتعالى أعلم .

تمّ كتاب « النهاية في فنّ الكناية » وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

(3) انظر « شرح نهج البلاغة » (35/5) .

(4) سليمان بن وهب (توفي سنة 272 هـ) : وزير ، من كبار الكتّاب ، من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق ولد ببغداد ، وكتب للمأمون وهو ابن 14 سنة . وولي الوزارة للمهتدي بالله ، ثمّ للمعتد على الله . ونقم عليه الموفق بالله ، فحبسه ، فمات في حبسه . له « ديوان رسائل » . وكان من مفاخر عصره أدبا وعقلا وعلمًا ولأبي تمام والبحري مدح به وبأهله .
(الأعلام 3/137)

المصادر والمراجع

- 1 (أخبار القضاة . وكيع .
- 2 (أخبار النساء . ابن قيم الجوزية . تحقيق الدكتور محمد قميحة - دار الفكر اللبناني - بيروت 1990
- 3 (أدب الكاتب . ابن قتيبة . تحقيق محمد الدالي - مؤسسة الرسالة - تونس 1982
- 4 (الديارات . الشَّابُثِيُّ . تحقيق كوركيس عواد . دار الرائد العربي - بيروت 1986
- 5 (الأغاني (1 - 25) أبو الفرج الأصبهاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت 1963
- 6 (أخلاق الوزيرين . أبو حيان التوحيد . تحقيق محمد تاويت الطنجي - دار صادر - بيروت 1992
- 7 (الإمتاع والمؤانسة (1 - 3) أبو حيان التوحيد . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين - المكتبة العصرية - بيروت 1953
- 8 (الأعلام . الزركلي
- 9 (أخبار أبي نواس . ابن منظور (ملحق الأغاني . مجلد 25) . تحقيق عبد علي مهنا - دار الكتب العلمية - بيروت (بدون تاريخ) .
- 10 (أخبار أبي نواس . لأبي هفان . (مخطوط)
- 11 (البيان والتبيين (1 - 4) . الجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1960 .

- 12 (التوفيق للتلفيق . الثعالبي . تحقيق هلال ناجي والدكتور زهير زاهد . مطبعة المجمع العلمي العراقي - 1985 .
- 13 (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . الثعالبي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة 1985 .
- 14 (جمهرة الأمثال (1 - 2) أبو هلال العسكري . دار الجليل - بيروت 1988
- 15 (جمع الجواهر في الملح والنوادر . الحصري - تحقيق علي محمد البجاوي - دار الجليل - بيروت 1987 .
- 16 (ديوان ابن الرومي (1 - 6) - تحقيق عبد الأمير علي مهنا - دار مكتبة الهلال - بيروت 1991
- 17 (ديوان ابن المعتز (1 - 2) . تحقيق الدكتور محمد بدیع شریف - دار المعارف القاهرة 1977 .
- 18 (ديوان أبي نواس . تحقيق الأستاذ علي فاعور - دار الكتب العلمية - بيروت 1987
- 19 (ديوان الأخطل . شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين - دار الكتب العلمية - بيروت 1986
- 20 (ديوان الأعشى . تحقيق الدكتور حنا نصر الحتي . دار الكتاب العربي بيروت 1992
- 21 (ديوان البحري (1 - 2) دار صادر - بيروت - بدون تاريخ
- 22 (ديوان بشار بن برد . شرح مهدي محمد ناصر الدين - دار الكتب العلمية بيروت 1993
- 23 (ديوان عنتره . الخطيب التبريزي . تحقيق مجيد طراد - دار الكتاب العربي - بيروت 1992
- 24 (ديوان الميكالي . جمع وتحقيق جليل العطية عالم الكتب - بيروت 1985

- 25 (ديوان جرير. دار صادر - بيروت 1991)
- 26 (ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان أخت طرفة بن العبد. رواية أبي عمرو بن العلاء. تحقيق يسري عبد الغني عبد الله - دار الكتب العلمية بيروت 1990)
- 27 (ديوان النابغة الذبياني. شرح الدكتور حنا نصر الحتي - دار الكتاب العربي - بيروت 1991)
- 28 (ديوان الفرزدق (1 - 2) - دار صادر بيروت .
- 29 (ذم الهوى. ابن الجوزي - تصحيح وضبط أحمد عبد السلام عطا. دار الكتب العلمية - بيروت 1993)
- 30 (رسائل الجاحظ (1 - 4) تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة 1965)
- 31 (روضة المحبين ونزهة المشتاقين. ابن قيم الجوزية. تحقيق الدكتور السيد الجميلي. دار الكتاب العربي - بيروت 1985)
- 32 (زهر الآداب. (1 - 2) أبو اسحاق الحصري. تحقيق الدكتور زكي مبارك - دار الجيل بيروت - بدون تاريخ)
- 33 (شرح مقامات الحريري. الشريشي (1 - 4) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة 1976)
- 34 (شرح نهج البلاغة (1 - 20) ابن أبي الحديد. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة 1965)
- 35 ؛ شرح ديوان المتنبي - البرقوقي - دار الكتاب العربي - بيروت 1980)
- 36 (طبقات الشعراء - ابن المعتز. تحقيق عبد الستار أحمد فراج - دار المعارف - القاهرة 1976)
- 37 (العقد الفريد (1 - 7) ابن عبد ربه. تحقيق علي شيري - دار إحياء

التراث العربي - بيروت 1989

38 (عيون الأخبار (1 - 4) ابن قتيبة . تحقيق الدكتور يوسف علي طويل

- دار الكتب العلمية - بيروت 1986

39 (الكامل (1 - 4) المبرد . تحقيق محمد أحمد الدالي - مؤسسة

الرسالة . بيروت 1986

40 (لسان العرب (1 - 18) ابن منظور - دار إحياء التراث العربي 1988

41 (مجمع الأمثال (1 - 4) الميداني . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -

دار الجليل - بيروت 1987

42 (مروج الذهب (1 - 4) المسعودي . تحقيق محمد محيي الدين عبد

الحميد - المكتبة العصرية - بيروت 1988

43 (المحاسن والأضداد - الجاحظ . تحقيق جماعة من الأساتذة . دار الهلال

- بيروت 1991

44 (المستطرف في كل أدب مستظرف (1 - 2) . الإبيشي . شرح

الدكتور مفيد قميحة . دار الكتب العلمية - بيروت 1983

45 (معجم الأدباء (1 - 20) . ياقوت الحموي - تحقيق مرجليوت - دار

الفكر - بيروت 1980

46 (معجم البلدان (1 - 5) ياقوت الحموي - بيروت - دار صادر -

1979

47 (المنتظم (5 - 10) ابن الجوزي - حيدر آباد الدكن - 1358 هـ

48 (المنتخب من كُنَايَاتِ الْأَدْبَاءِ وإشارات البلغاء - الجرجاني . تحقيق

محمد شمسي . حيدر آباد الدكن 1983

49 (الوافي بالوفيات (1 - 22) الصفدي . تحقيق مجموعة من المحققين

العرب والمستشرقين المعهد الألماني - بيروت 1991

- 50 (وفيات الأعيان (1 - 8) ابن خلكان . تحقيق إحسان عباس - دار
الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ .
- 51 (يتيمة الدهر (1 - 5) الثعالبي . تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة
- دار الكتب العلمية - بيروت 1983

الفهارس العامّة

- 1 (فهرس الآيات القرآنية
- 2 (فهرس الحديث
- 3 (فهرس الأعلام (خاص بالشعراء فحسب)
- 4 (فهرس أسماء الكتب الواردة في الكتاب
- 5 (فهرس القوافي
- 6 (فهرس الكنايات
- 7 (محتوى الكتاب

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة
34	187	البقرة
15	223	البقرة
34	223	البقرة
166	235	البقرة
34	21	النساء
34	34	النساء
89	43	المائدة
34	189	الأعراف
53	189	الأعراف
50	31	هود
145	69	هود
34	26	يوسف
51	1	النحل
117	8	النحل
117	22	الكهف
145	25	مريم
28	5	المؤمنون
89	7	الفرقان

89	7	الْفُرْقَان
141	15	الْقَصَص
137	37	فَاطِر
121	64	يَسَس
28	33	ص
13	21	فُصِّلَتْ
16	36	الْوَاقِعَة
117	5	الْجُمُعَة
28	12	التَّحْرِيم
114	83	الْمُطَفِّين

فهرس الحديث

90	إِتَّقُوا الْمَلَاعِينَ
28	إِتْيَانُ النِّسَاءِ فِي مَحَاشِيهِنَّ . . .
111	أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلَّةُ .
161	إِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحِنُوا . . .
110	أَنَا مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ .
21	إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ .
50	تَدْعُ الصَّلَاةَ إِحْدَاهُنَّ . . .
80	جُرْدُ مُرْدٍ مُكْحَلُونَ . . .
28	حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ . . .
16	رَفَقًا بِالْقَوَارِيرِ . . .
163	لَا تُنْشِئْ هَجَاءَ عُلُقَمَةٍ . . .
161	لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبِثَتْ . . .
113	مَا أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ . . .
31	مَنْ تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ . . .
31	مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ مَا بَيْنَ فُكَيْهِ . . .
50	نَاقِصَاتُ عَقْلِ وَدِينٍ . . .

فهرس الأعلام (اقتصرنا فيه على الشعراء)

حرف الألف

أحمد بن برأكويه الزنجاني 74
أحمد بن طاهر 122
الأخطل 25 ، 168
إسماعيل السبّحي 128
الأعشى 18 ، 25 ، 163

حرف الباء

البُحتري 30 ، 38
بديع الزّمان الهمداني 84
البُستي (أبو الفتح) 32 ، 76
بشار بن برد 81
البُكْتُمريّ (أبو الفتح) 92

حرف التّاء

أبو تمام 76

حرف الثاء

الثعالبي 91

حرف الجيم

الجَمَّاز 70 ، 86 ، 122

الجوهري الجرجاني 17 ، 38 ، 65 ، 69 ، 84

حرف الحاء

ابن حبيبات 124

ابن حسا 104

الحسن المروزي 68

حماد عجرد 46 ، 81 ، 85 ، 109

حميد بن ثور 14

الحميري (أبو الحسن) 123

حرف الخاء

أبو الخطّاب 72

الخوارزمي (أبو بكر) 129

حرف الدال

دِغْبَل 32 ، 62

أبودلف الخزرجي 116

دُوشْت (أبو سعد) 62 ، 66 ، 98 ، 120

حرف الراء

رَاشِد بن إِسْحاق (أبو حَكِيمَة) 29
الرَّبِيع بن زِيَادٍ 36
رَزِينُ العَرُوضِي 74
ابنُ الرُّومِي 32 ، 59 ، 73 ، 80 ، 123
أَبُورِيَّاش 128

حرف السين

السَّرِي الرَّقَاء 68 ، 75 ، 129
سَعِيد بن حَمِيد 68 ، 119
ابنُ سَكْرَةَ الهاشِمِي 82 ، 127 ، 129
سَهْل بن المَرْزُبَان 71

حرف الشين

الشَّاشِي المطْرَافِي 61 ، 70

حرف الصاد

الصَّابِي (أبو إِسْحاق) 43 ، 62 ، 80 ، 81
الصَّاحِب بن عَبَّاد 44 ، 69 ، 83 ، 86 ،
101 ، 102 ، 120 ، 136 ، 157 ، 165
أَبُوصَعْتَرَة 90
أَبُوالصَّلْت 57
الصَّنُوبَرِي 61

حرف الطاء

ابن طباطبا العلويّ 58 ، 64 ، 110 ، 150
الطبري (أبو بكر) 39 ، 100 ، 102 ،
103 ، 119
الطرمّاح 168

حرف العين

عبد الصّمد بن المعدّل 77
عبد العزيز السّوسيّ 31
عبد الله بن الحجّاج 46 ، 55 ، 87 ،
113
عبد الله بن النّجم 74
عُتْبَةُ الْأَعْوَر 132
عثمان بن الوليد 106
ابن العميد 45
العلاف (أبو بكر) 133
أبو عليّ البصير 59 ، 165
عَمْرُو بْنُ بَآنَةَ 103
عنّرة العبّسيّ 14 ، 18
عوف بن محمّد 107

حرف الفاء

أبو فراس الحمداني 51
الفرزدق 53 ، 118 ، 131 ، 132

حرف الـلّام

اللّحام (أبو الحسن) 111
ابن لُنْك 128 ، 150 ، 155

حرف الكاف

كُشاجِم 115

حرف الميم

المتنبّي 18 ، 97 ، 135
محمّد بن عبد الله الكرخيّ 123
محمد بن عيسى الدّامغانيّ 75
محمّد بن وهب 125
مُخلّد الموصليّ 121
المُرَقّش الأكبر 140
ابن المعتزّ 73 ، 77
منصور الفقيه 91 ، 101 ، 129
الميكاليّ (أبو الفضل) 45 ، 74 ، 133

حرف النّون

أبو نعامّة 31
أبو نواس 37 ، 66 ، 78 ، 79 ، 83 ،
95 ، 108 ، 115 ، 118

حرف الياء

اليَعْقُوبيّ 46

فهرس أسماء الكتب الواردة في الكتاب

اسم الكتاب	المؤلف	الصفحة
[ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح]	جرب الدولة	54
التنبه على مساوي المتنبي	الصاحب بن عباد	26
تهذيب اللغة	الأزهري	41 ، 160
لباب الأدب	[ابن منقذ]	83
المستنير	بدون عزو	85 ، 89
المبهيج	الثعالبي	33 ، 126
تف الطرف	أبو العلاء السلمي	178
الوزراء والكتاب	ابن عبدوس الجهشياري	158 ، 171

فهرس القوافي

الصفحة	عدد الأبيات القائل	القافية
* الهمزة *		
122	بدون عزو	الحوباء
121	بدون عزو	الرقباء
90	أبو صعتر	ماء
102	الطبري	الهجاء
* حرف الباء *		
64	ابن طباطبا	إطرائه
36	بدون عزو	الآعبه
118	أبونواس	ثيابه
135	المتنبى	الحبيب
66	الرجاني	ربيب
19	المتنبى	الضباب
18	الرجاني	يذهب
70	الجماز	يعاب
167	بدون عزو	انصبابا

48	بدون عزو	2	تركبا
81	الجرجاني	2	حبا
74	رزين العروضي	4	صعبه
1 23	أبو الحسن الحميري	2	الغربة
1 04	منصور الفقيه	3	العجبا
1 67	بدون عزو	1	كلابا
26	بدون عزو	1	يغضب
48	بدون عزو	2	يركب
93	بدون عزو	1	التجنب
81	بشار بن برد	2	الذيب
1 29	السري الرقاء	1	الأبواب
98	أبو سعد دوست	2	قليبي
1 13	بدون عزو	2	الكرب

* حرف التاء *

31	محمد السوسي	1	تبلت
1 55	بدون عزو	2	زيتا
73	ابن المعتز	6	توبته
55	بدون عزو	3	خشونته
1 20	أبو سعد دوست	2	خرية
76	أبو الفتح البستي	3	شفته
1 68	الطرماح	1	ضلت
71	سهل بن المرزبان	1	الظلمات

78 ، 77	بدون عزو	6	هَبَايَةُ
129	الخوارزمي	2	هَامَتُهُ
114	ابن الحجاج	3	اللِّبَاقَةُ
110	ابن طباطبا	2	مَجْتَدِيَّة
47	ابن الحجاج	4	فُسْتَقَّة
* حرف الجيم *			
120	أبو سعد دوست	2	حَجَّاجُ
73	ابن الرومي	2	اللِّجَاجَةُ
38	أبونواس	2	بُرْج
* حرف الحاء *			
43	الصُّولي	2	مَبَاحُ
45	ابن العميد	3	ارْتِيَاخَا
155	بدون عزو	2	صَالِح
104	رجل من بني نهشل	2	الْوَضَحُ
* حرف الخاء *			
82	ابن سكرة الهاشمي	2	طَبَاخُ
75	السري الرفاء	2	مَنَاحُ
* حرف الدال *			
133	ابن عزو	2	تُعُودُ
123	ابن الرومي	1	شَدِيدُ
110	بدون عزو	1	أَدَّ

105	بدون عزو	1	الأجد
136	الصاحب بن عباد	1	الجلد
84	بديع الزمان الهمداني	1	حديد
49	بدون عزو	1	سعد
118	الصاحب بن عباد	1	للصيد
69	السري الرفاء	6	تعاذيتها
101 ، 69	بدون عزو	2	العشجد
103	الطبري	2	العمود
86	الصاحب بن عباد	2	العود
93	بدون عزو	1	لبد
110	ابن طباطبا	2	يدي
56	بدون عزو	1	الولائد
74	عبد الله بن النجم	2	الجلد
31	بدون عزو	2	فساده
حرف الراء			
80	الصابي	2	أحرار
90	بدون عزو	1	بخار
39	الطبري	1	الحجول
129	ابن لنكك	1	حمر
110 ، 109	حماد عجر	3	خير
44	الصاحب بن عباد	1	الدّر
120	الصاحب بن عباد	1	قصار

93	بدون عزو	1	المُحْصُورُ
52	بدون عزو	4	المُسِيرُ
83	الصَّاحِبُ بن عَبَّاد	1	يَقْمَرُ
57	أبو الصَّلْت	2	العَرَا
108	أبو نَوَاس	1	عُذْرَا
127	ابنُ سُكْرَةَ	2	الشُّعْرَا
116	أبو دُلْف الخَزْرَجِي	2	الأَمْرِ
14	بدون عزو	2	إِزَارِي
33	بدون عزو	2	الأَزْر
35	الأَخْطَل	1	أَطْهَار
36	الرَّبِيعُ بن زِيَاد	1	الأَطْهَارِ
167 ، 170	بدون عزو	1	بِأَشْيَارِ
77	ابن المَعْتَزْ	3	حَذَر
122	الجَمَّازُ	2	الحَرَّ
157	بدون عزو	2	بَعْنَبِ
62	دَعْبِل	2	دِينَارِ
87	ابن الحَجَّاج	3	ظَهْرِي
108	الصَّاحِبُ بن عَبَّاد	1	السُّكْرِ
118	بدون عزو	1	العَذْر
109	الطَّبْرِي	3	العَطْرِ
125	زِيَادُ الأعْجَم	2	لِلْبَشْرِ
132	عَتَبَةُ الأَعْوَر	5	رَجُلِ
137	بدون عزو	1	صَدْرِي

108	أبو نواس	1	كالبدْرِ
165	الصَّاحِب بن عبَّاد	2	مشرُّورٍ
18	بدون عزو	1	معمرٍ
32	دعبل	2	الطَّواميرِ
63	أبو سعد دوست	2	المنكرِ
119	سعيد بن حميد	4	الهصيرِ
168	الأخطل	1	يبري
92	أبو الفتح البكتمري	4	ايشاره
78	أبو نواس	3	إزاره
68	الحسن المروزي	2	دازه
70	بدون عزو	2	السَّاحرة
31	أبو نعامه	2	طومار
17	بدون عزو	1	قوصرة
62	الصَّولي	4	المتصّر

*** حرف السّين ***

150	ابن طباطبا	1	أوسٍ
108	بدون عزو	2	بلقيس
101	الطبري	3	تجنيسا

*** حرف الصاد ***

163	الأعشى	2	ناقصا
-----	--------	---	-------

* حرف الضاد *

79	بدون عزو	2	تبيضُ
32	ابن الرومي	1	بعضه

* حرف الطاء *

150	ابن لنك	2	بمسعط
-----	---------	---	-------

* حرف العين *

133	أبو بكر العلاف	2	صدوغة
77	أبو تمام	2	الجامع
46	حماد عجرد	3	القلاع
35	الأعشى	2	المضاجع
29	راشد بن اسحاق	3	المنفعة
129	بدون عزو	5	معة

* حرف الفاء *

84	بدون عزو	2	الأسف
38	البحثري	1	الشنف
111	اللحام	2	منصرف
125	محمد بن وهب	1	يوسف
75	براكويه	2	يوسف
129	ابن لنك	1	قفاه
150	محمد الموسوي	1	تكفيه
103	عمرو بن بانه	2	خافيه
165	أبو علي البصير	2	شريفه

115	كُشَاجِم	1	مَوْصُوفَةٌ
91	الثَّعَالِبِي	4	طَرَفًا
46	المِيكَالِي	2	الْهَدَفُ
55	ابن الْحَجَّاجِ	3	نَظِيفٌ

* حَرَفُ الْقَافِ *

105	ابن حَسَا	1	بَلَقُ
14	حميد بن ثور	1	تَرَوْقُ
18	الأعشى صدر بيت		طَالِقُ
38	الْجُرْجَانِي	3	الْفَرَقَا
97	الْمَتَنَّبِي	1	مَاقِيَا
59	أبو علي البصير	2	أَتَّقِيهِ

* حَرَفُ الْكَافِ *

162	محمد الكرخي	4	الْحَنَكُ
84	الْجُرْجَانِي	2	أَخْلَاقَنَا
53	الْفَرَزْدَقُ	2	البَوَاكِيا
35	الأعشى	2	عَزَائِكَا
58	ابن الرُّومِي	2	عَشَّاشُكَ
46	الْبِعْقُوبِي	1	الْفَلَكَ
70	الشَّاشِي	3	كِرْمَكُ

* حَرَفُ اللَّامِ *

124	ابن حَبِيبَات	4	أَثِيلُ
-----	---------------	---	---------

39	الطبري	2	الحُجُولُ
168	بدون عزو	1	جَلَالُ
79	أبو نواس	1	الحَمْلُ
66	أبو نواس	2	القبْل
68	سعيد بن حميد	4	مُسْتَقْبَلُ
115	أبو نواس	2	الرَّسُولُ
149	الأعشى	1	جرياها
94	بدون عزو	1	اكتَهَلَا
38	بدون عزو	1	بَخْلُ خَالِيَا
39	الطبري	2	رَجَلَاهَا
155	ابن لنكك	3	بَاطِلِ
91	بدون عزو	2	الحَالِ
66	أبو سعد دوست	2	الحَمْلِ
72	أبو الخطاب	4	الْخَلِيلِ
77	ابن المَعْدِلِ	2	الْخَلِيلِ
132	عتبة الأعور	5	رَجُلِ
74	أبو نواس	1	السَّاحِلِ
115	أبو سعد دوست	2	الرُّسُلِ
78	بدون عزو	2	مَقِيلِي
108	بدون عزو	1	الْمَنَادِيلِ
70 - 69	الصَّاحِب بن عبَّاد	2	الْجَزِيلَةُ
112	بدون عزو	1	خِيَالِيَّة
66	الهمداني	4	الزَّلُّ
83	بدون عزو	1	نَزْلُ

* حرف الميم *

106	عثمان بن الوليد بن عتبة	2	هَاشِمُ
96	أبونواس	2	الْمُتَّهَمَا
124	بدون عزو	2	حَصْرَمَا
166	بدون عزو	1	اليوم
102	بدون عزو	1	الأقلام
64	الطبري	1	أَكْثَمَ
61	الشاشي	2	دَمَ
163	بدون عزو	1	طَعَامَ
148	بدون عزو	2	علمي
80	ابن الرومي	2	للخواميم
121	مخلد الموصلي	2	مَرَّيْمَ
77	أبو تمام	2	مُحْتَشِمَ
80	بدون عزو	1	مِيمَ
140	المرقش الأكبر	1	يَعْلَمَ
81	بشار بن برد	4	الغَنَمَ
82	بدون عزو	1	سَلْمَةً
91	منصور الفقيه	1	تَعْلَمَ
69	الصاحب بن عباد	2	قَلَمَ
128	اسماعيل السبحي	2	مُنْتَقِمَ
61	الصنوبري	2	المَدَامَةُ

* حرف النون *

58	ابن طباطبا	2	تصونُ
59	بدون عزو	1	مسخنُ
76	بدون عزو	2	التين
130	ابن سُكره	5	خذوني
122	أحمد بن طاهر	2	الزمان
122	ابن زريق الكوفي	2	طاقينُ
86 - 85	حماد عجرد	4	أوطانا
146	بدون عزو	1	باطنا
75	الدامغاني	1	فرزانا
129	منصور الفقيه	2	دونه
165	بدون عزو	3	شأنه

* حرف الياء *

150	محمد بن بحر	4	واهية
157	الصاحب بن عباد	1	يحيى

فهرس الكنايات

* الهمزة *

148	اُقْتَعَدَ غَارِبَ الطَّرَبِ
104	الأُبْرَشُ
140	اِسْتَأَثَرَ اللّٰهُ بِهِ
149	اِكْسِيرُ السُّرُورِ
25	اِتَّصَالَ الحَبْلِ
54	أَحْلَبْتُ نَاقَتَكَ أَمْ أَجَلَبْتُ ؟
154	أُغْمِدَ سَيْفُ كِفَايَتِهِ
32	إِمَامُ اللّٰهُ
157	أَبُو يَحْيَى
44	الْاِفْتِضَاضُ
157	أَبُو الْبِيضَاءِ
51	الْأَمِيرُ يَفْتَصِدُ
140	أَسْعَدَهُ اللّٰهُ بِجَوَارِهِ
160	الْاِسْتِفْرَاغُ
101 - 69	أَسْجَدُ مِنْ هُذْهِدٍ
131	أَخْضَرُ الْبَطْنِ

84	آخِرُ الْعُشَاقِ
137	ابْنُ دَأْيَةٍ
88	الِاخْتِلَافُ
138	اسْتَبْدَلَ الْأَذْهَمَ بِالْأَبْلَقِ
109	أَكْرَمُ الْخَلْقِ وَالْأَمْهَمُ
138	إِرْتَاضَ بِلِجَامِ الدَّهْرِ
112	أَحْضَرُ مَعَهُ وَتَدًّا
137	أَقْبَلَ لَيْلَهُ
78	إَصْبَغُ الْبَطْنِ
141	أَرَوَى مِنْهُ غُلَّةَ السَّيْفِ
74	أَطْلُبُ رِزْقَ اللَّهِ عَلَى السَّاحِلِ
148	اسْتَمْطَرَ سَحَابَ الْأَنْسِ
82	أَكَلُ الْفِرَاجِ
147	أَصَابِعُ الْحُورِ
83	أَحْرَقَتْ فَضَّةٌ خَدَّهُ
148	اسْتَدَّرَ خَلْوَةَ السُّرُورِ
138	أَدْرَكَ زَمَانَ الْقُبْلَةِ

* حرف الباء *

18	البقرة
157	البصير
25	البرّة

146	بَقْلَةُ الذُّبِّ
31	الْبَلْبَلَةُ
48	بَخَاتِمِ رَبِّهَا (فَلَانَةُ)
59	بَاقَةُ تَرْجِسُ
92	الْبُسْتَانُ
126	الْبُسْتَانُ كُلُّهُ كَرَفَسُ
98	بِأُذُنِي بَعْضُ مَا بِرُوحِكَ

* حرف التاء *

149	تَرْيَاقُ الْهُمُومِ
145	تُحْفَةُ إِبْرَاهِيمَ
145	تُحْفَةُ مَرْيَمَ
138	تَحَلَّلْ مَلَابِسَ أَهْلِ الْعُقُولِ
42 - 41	التَّحْمِيضُ
46	تَفْرِيقُ الشَّمْلِ
25	تَأْلِيفُ الشَّمْلِ
59	تَسْخِينُ الْأَرْضِ
61	التَّطْهِيرُ وَالطَّهْرُ
87	تَفَرِّقَ ظَهْرَهُ
89	التَّعَالُجُ

* حرف الثاء *

44	ثَقُبُ اللَّوْلُوْ
75	تُلْتُ الْمَالَ

* حرف الحاء *

15 - 13	الْحَرْثُ
25	الْحُرَّةُ
38 - 37	الْحَلْجُ
51 - 50	الْحَيْضُ
66	الْحَمْلُ
154	حَطَّ عَنْهُ ثِقَلُ الْعَمَلِ
93 - 92	الْحُشَّ
120	الْحَدُّ
96	حَشَفًا وَشَوْءَ كَيْلَةٍ

* حرف الخاء *

21	خَضِرَاءُ الدَّمَنِ
93	الْخَلَاءُ
147	خَاتَمَةُ الْخَيْرِ
33	خَتَمُ اللَّهِ

58	خُصِّلَتَا الْجَنَّةِ
88	الْخَلْفَةُ
98	خَفِيفٌ عَلَى الْقَلْبِ
100	يُنْجِبُ الْعَصَا فِي الدَّهْلِيزِ الْأَقْصَى
116	الْخِرَاطُ
116	الْخَلِيجِي

* حَرْفُ الدَّالِ *

39	دَوَاءُ السَّهَرِ
56	دَيْنُ كَسْرَى
74	دُخُولُ الْكُعْبَةِ
82	دُنْيَا وَآخِرَةٌ
89	الدَّلِيلُ
105	يُدَاوِي الْعَاجَ بِالْمَزَاجِ

* حَرْفُ الذَّالِ *

137	ذَرَّتْ يَدُ الدَّهْرِ كَافُورًا عَلَى مَسِكَهِ
27	الذَّيْلُ
141	ذَاقَ حَرَّ الْمُرْهَفَاتِ

* حرف الراء *

165	رُقِصَ فِي زَوْدِقِهِ
25	الرَّيْحَانَةُ
76	الرَّفْعُ وَالنَّصَبُ
119	رائحةُ الشباب

* حرف الزاي *

124	الزُّوَارُ
36	زَعَزَعَةُ السَّرِيرِ

* حرف السين *

157	السَّلِيمُ
165	سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يُجْتَرُ
25	السَّقِيفَةُ
32	سورة النون
15 ، 14 ، 13	السَّرْحَةُ

* حرفُ الشَّينِ *

14 ، 13	الشَّاةُ
158	شَجَرَةُ الخِلاَفِ
165	شَتَمَهُ بِالزَّايِ
147	الشَّهيدُ ابنُ الشَّهيدِ
147	الشَّيْخُ الطَّبْرِي
64	شَرَطُ يَحْيَى بنِ أَكْثَمَ
67	الشَّاهِدُ
80	شَرَطُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ
77	شِفَاءُ الغَلِيلِ

* حرفُ الصَّادِ *

73	صَيْدُ الجَبَالِ
73	صَيْدُ السُّهولِ
79	صَيْدُ البَرِّ
149	صَابُونُ الغُموْمِ
141	صُلِّيَ بِحَرِّ المَنَاصِلِ
155	صَبَّ الزَّيْتُ فِي القِنْدِيلِ
79	صَيْدُ البَحْرِ
82	يَضْطَاذُ مَا بَيْنَ الكُرْكِيِّ إِلَى العَنْدَلِيبِ
82	يَصِيدُ الطَّيْرَيْنِ

37	صُرِيرُ الْفَرْشِ
87	صُرِيرُ التَّحْتِ-

* حرف الطَّاءِ *

32 - 31	الطُّومَارُ
33	طَاهِرَ الذَّيْلِ
159	الطَّوِيلَةُ
76	الطَّعْنُ بِالْقِتَاءِ فِي الطَّيْنِ
83	طَرَزَ دِيَاجَ وَجْهِهِ

* حرف الظَّاءِ *

18 - 13	الظَّلَّةُ
18	الظَّبَاءُ

* حرف العينِ *

16 - 13	الْعَتَبَةُ
31	عُمَيْرَةُ
33	عَفِيفُ الْإِزَارِ
64	الْعَلَقُ
149	عَبْرَ مُوسَى الْبَحْرَ
154	عُظَّلَ الدِّيَوَانُ مِنْ رِثَاسَتِهِ

158	عُرُوقُ الرِّمَاحِ
141	عُدِمَ بَرْدُ الْحَيَاةِ
83	عَلِقَتْهُ يَدُ الْحُسَيْنِ
120	الْعَارِضَةُ
29 - 28	الْعُسَيْلَةُ
78	عَيْنُ الظَّهْرِ

* حرفُ الغينِ *

17 - 13	الْغُلُّ
120	غُلَامُكَ مُسْتَعْصِمٌ

* حرفُ الفاءِ *

16 - 13	الْفِرَاشُ
64	فُلَانٌ مِنَ الْبَاجَةِ
80	فُلَانٌ مِنَ الْعَطَّارِينَ
100	فُلَانٌ يَنْجُبُ الْعَصَا
101	فُلَانٌ يَخْرُجُ لِلأَذْقَانِ
101	فُلَانٌ غُرَابٌ
108	فُلَانٌ نَظِيفُ الْمَطْبَخِ
108	فُلَانٌ نَقِيٌّ الْقَدْرِ

108	فلانٌ نظيفٌ منديلِ الخِوانِ
111	فلانٌ من المستريحين
111	فلانٌ من أهل الجنة
111	فلان نعته لا ينصرفُ
112	فلانٌ وصيُّ آدمَ
112	فلانٌ دُرَّةٌ وحْدَقَةٌ ووجنةٌ مطرقةٌ
112	فلان فارغُ الغرفة
112	الفاختةُ عنده أبو ذرّ
113	فلانٌ يلطمُ عينَ مهران
113	فلان من بقيّة قوم موسى
113	فلان يكثرُ الزّعفران
113	فلان فالوذجُ السوق
114	فلان خطه خطُ الملائكةِ
114	فلان تربيّةُ القاضي
115	فلان ابن عمّ النّبيّ من الدّلْدُلِ
116	فلانٌ حرّ
116	فلان من الأحرار
116	فلانٌ قد عبَرَ
117	فلان ثامنُ أصحاب الكهفِ
117	فلان ملتهبُ المِعدةِ
117	فلان تسافرُ يده على الحيوان
117	فلان يرعى أرضَ الجيران
46	فلانٌ يفضُّ الصّدْفَ

118	فلان أظفاره حمأ
118	فلان يعرضُ الجُنْدَ
119	فلان يجمعُ شملَ الأحبابِ
119	فلان يأتي الحبيبَ
119	فلان يجرُّ أحدًا بشعْرةٍ
120	فلان أبوه قصيرُ الحائطِ
120	فلان مكتوبُ القميصِ
120	فلان شديدُ العارضةِ
121	فلان تبيُّ الشَّعرِ
122	فلان من آلة الصَّيْفِ
125	فلان من أصحابِ الجرابِ والمحرابِ
125	فلان من قُرَّاءِ سورة يوسف
125	فلان خليفةُ الخضرِ
127	فلان لبسَ شِعَارَ الصالحينَ
150	فلان مسعطيّ
127	فلان في حاشية حاله
127	فلان جاء في قميصٍ قد أكل عليه الدُّرُ وشرب
127	فلان وطاؤه الغبراءُ وغطاؤه الخضراءُ
55	في فم القنينة ليْفُ
139	فلان شمسُ العصرِ على القصرِ
139	فلان وقف على ثنية الوداعِ
139	فلان أشرف على دار المقامِ
46	فَتَحَ الحصنَ

45	فتح الموضع المغلق
45	فتح الموضع المقفل
45	فك الكيس عن ختمه
1 39	فلان كاذ يلحق باللطيف الخبير
148	فلان يروم دم العناقيد
148	فلان يفصد عروق الدنان
148	فلان ينظم عقود الإخوان
138	فضض أنبويه
119	فلان يؤلف ما بين الضب والنون
82	فلان يدعن للقصاص

* حرف القاف *

14 - 13	القلوص
16 - 13	القاررة
17 - 13	القوصرة
17 - 13	القيد
35	القروء
79	يقول بالطباء
79	لا يقول بالسماك
82	قلم برأسين
82	يقبض الديوانين
82	يقول بالدنيا دون الآخرة

95	قَرَابَاتُ الْيَمَنِ
96	قَمَرُ الثَّلَاثِينَ
109	قِلَّةُ النَّمْلِ وَالذُّبَابِ وَالْجُرْذَانِ وَالْهَرَّةِ
146	قَامَ خَطِيبُ الْقَدْرِ
147	قُبُورُ الشَّهَدَاءِ
148	قَدَحَ زَنْدَ اللَّهْوِ
31	الْقَضِيبُ

* حرف الكاف *

25	الكَرِيمَةُ
25	كَبِيرَةُ الْبَيْتِ
33	كَرِيمُ الْمَضْجَعِ
84	الْكُسُوفُ
94	الْكَنِيفُ
107	الْكُوكِبِيُّ
117	كَأَنَّ فِي أَحْشَائِهِ مُعَاوِيَةَ
149	كَيْمِيَاءُ الْفَرَحِ
140	كُتِبَتْ لَهُ سَعَادَةُ الْمُحْتَضَرِ

* حرف اللّام *

70	لَا يَشْبَهُ الْعِنْوَانُ مَا فِي الْكِتَابِ
----	--

71	ليس وراء عبادان إلا الخشبَاتُ
79	لا يحبض ولا يبيضُ
82	لحافٌ ومُضَرَّةٌ
83	لذَّةٌ لا تُوجدُ في الجنةِ
88	له حاجةٌ لا يقضيها غيرهُ
91	لا رأيَ لحاقنٍ ولا لحاقِبٍ
99	ليل الشتاءِ
149	لحامٌ أرْحامُ الكِرامِ
128	لا يَمْزَحُ إلا باليدَيْنِ والوالِدَيْنِ
138	لئى دَاعِيَةِ الْحَجَى
137	لَجَّ الْأَقْحُوَانُ فِي بَنَفْسِجِهِ

* حرف الميم *

18	الْمَهَا
25	مَنْ وراءَ السَّترِ
26	مَطْلَبُ الْأَنْفِ
33 - 26	الْمَازِرُ
28	الْمَحْشُ
30	مَطَامِيرُ الْهَوَى
33	مِفْتَاحُ اللَّذَّةِ
33	مِفْتَاحُ اللَّهِ
42	الْمَالِكِيَّةُ

54	الْمَوْزُ
64	الْمَطْبُوعُ
64	الْمَوَاسِي
64	الْمَعَاشِرُ
71	مُؤَاجِرُ
81	مَسَحَ الْيَمِينُ بِالْقَلَمِ
89	الْمَاءُ
92	الْمُسْتَرَاخُ
92	الْمَبْرُزُ
92 - 93	الْمَذْهَبُ
92	الْمَتَوَضُّعُ
92	الْمِيضَاءُ
106	الْمُحْجُوبُ
107	الْمُمْتَعُ
107	الْمُكْتُوبُ
108	الْمُقْتَصِدُ

الفهرس

المقدمة	5
خطبة الكتاب	9

الباب الأول

في الكناية عن النساء والحرم وما يجري معهن ويتصل
بذكرهن من سائر شؤونهن وأحوالهن

- فصل في الكناية عن المرأة	13
- فصل في الكنايات عن الحرم	22
- فصل في الكناية عن عورة المرأة	26
- فصل يتصل به في الكناية عن عورة الرجل	31
- فصل في الكناية عما يجري بين الرجال والنساء من اتباع الشهوة والتماس اللذة وطلب النسل	34
- فصل في افتضاض العذرة	44
- فصل في الكناية عن الحيض	50
- فصل في الحبل	53
- فصل في نوادر وملح في كنايات هذا الباب	55

الباب الثاني

في ذكر الغلمان والذكّران ومن يقول بهم والكناية عن أوصافهم وأحوالهم

- فصل في الاحتلام والختان 61
- فصل في الكناية عن الغلام الذي عبث به ووصف فراهيته
- وسائر أوصافه 64
- فصل في الكناية عما يتعاطى منهم 72
- فصل في الكناية عن اللّواط وأهله 79
- فصل في الكناية عن خروج اللحية مدحًا وذمًا 83

الباب الثالث

في الكناية عن بعض فضول الطعام وعن المكان المهيأ له

- في مقدمته 85
- فصل في عاقبة الأكل 88
- فصل في الكناية عن المكان الذي تقضى تلك الحاجة فيه 92

الباب الرابع

في الكناية عن المقابح والعاهات والمثالب

- فصل في القبح والسّواد 95
- فصل في الثقل والبرد 98
- فصل في الكناية عن الدّاء الذي لا دواء له إلا بمعصية الله ... 100
- فصل في الكناية عن البرص 104
- فصل في الكناية عن عدّة عاهات 106
- فصل في البخل 108

- فصل في الكناية عن جملة من المعائب والأخلاق المذمومة 111
- فصل في الكناية عن ذم الشعراء والشعر 121
- فصل في السؤال والكُذبة 124
- فصل في الكناية من الفقر وسوء الحال 127
- فصل في الكناية عن الصّفع 128
- فصل في الكناية عن الصناعات الدنيّة 131

الباب الخامس

في الكناية عن المرض والشيب والكبر والموت

- فصل في المرض 135
- فصل في كنايتهم عن الشيب 137
- فصل في كنايتهم عن الاكتهال 138
- فصل في كنايتهم عن الشيخوخة 139
- فصل في الكناية عن الموت 140
- فصل في الكناية عن القتل 141

الباب السادس

في ما يوجبه الوقت والحال من الكناية عن الطعام

والشراب وما يتصل بهما

- فصل في الأطعمة وما يتعلق بها 145
- فصل في الكناية عن الشراب والملاهي وما يضاف إليهما .. 148

الباب السابع

في فنون شتى من الكناية والتعريض مختلفة الترتيب

- فصل في الكناية عن العزل والهزيمة وبعض الألفاظ السلطانية .. 153
- فصل في الكناية عما يُتَطَيَّرُ من لفظه 157
- فصل في الكناية عن مَرَمَةِ البدن 160
- فصل في ما شذَّ من هذا الباب من كنايات أخبار النبيّ .. 161
- فصل في ضدّ الكناية 164
- فصل في ما شذَّ عن الكتاب من كنايات لأهل بغداد 165
- فصل في فنون من التعريضات 166
- ومن التعريضات بالفعل 169

الحب عند العرب	العلامة احمد تبمور
الغزل في تاريخ الأدب العربي	الأستاذ احمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض	لأبي منصور الثعالبي
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ..	للفاضلي الجرجاني
طوق الحمامة في الألفة والألاف ..	إبن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوتين	للإمام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع	الأستاذ الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية	الدكتور سعيد عاشور
رجوع الشيخ إلى صباه	لأحمد بن يوسف التيفاشي
الوشاح في فضل النكاح	لجلال الدين السيوطي
تحرير المرأة	لقاسم أمين
كتاب النساء	لمحمد عبد الله بن قتيبة
جوامع اللذة	لأبي الحسن علي بن نصر

تم سحب ثلاثة آلاف نسخه من هذا الكتاب

تدمك : 9 - 243 - 16 - ISBN 9973

الشمس 000 4 د ن أو ما يعادلها بالعملات الأخرى

الطبعة الأولى . جوان 1995 .